العدد الثالث
اذار (مارس) ١٩٥٨
السنة السادسة
No. 3 Mars. 1958
6ème année

الآداب
مجلة شهرية تعنى بشؤون الفكر
بيروت
ص.ب. ٤١٢٣ – تلفون ٣٢٨٣٢
AL-ADAB REVUE MENSUELLE CULTURELLE
BEYROUTH. LIBAN B.P. 4123
Tél. 32832

رئيس التحرير والمدير المسؤول
الدكتور سهيل ادريس
Rédacteur en chef et directeur
SOUHEIL IDRISS

الدمع العذب

قصة بقلم الدكتور سهيل ادريس

سألتني ، حين رأتني ارتدي ثيابي :

– كنت اظن انك لن تخرج .. ان الراديو يكاد يبدأ اذاعة الاحتفال .

فأجبتها باقتضاب :

– سأستمع اليه من النادي .

– ولماذا النادي ؟ ابق الى قربي . انني احب ان نستمع اليه معا .

فنظرت اليها بحنان ، ودنوت منها الامس خدها بشفتي وأنا اتمتم :

– اود ان اراهم ...

فلم يبد في عينيها الاقتناع ، فأضفت قائلا :

– احب ان اكون بينهم في هذه اللحظات ، ولن اتأخر كثيرا ... انتظريني .

وحين فتحت الباب ، وهممت باغلاقه خلفي ، سمعتها تناديني قائلة :

– لحظة ... لحظة ... الا تريد ان ترى « رورو » ؟

وكانت بعد ثوان امام الباب والطفلة بين ذراعيها تنظر الي بعينين فيهما تلك الدهشة الابدية التي تنبعث منهما منذ ان ولدت . ثم ابتسمت « رائدة » . فأقبلت عليها أقبلها في وجنتها وأنا اتساءل « متى تفهم ما اقول ؟» ثم قلت لها :

– سأعود بعد قليل يا بابا ...

وانفتلت عنها متجها الى المصعد . وللمرة الاولى سمعتها تنفجر خلفي بالبكاء ، فاذا بي اعود اليها ملهوفا آخذها بين ذراعي واغمر وجهي في عنقها الطري البض . وأسمع زوجتي تقول :

– لقد بدات تفهم ...

وعدت فدخلت البيت ، وجعلت اتحايل عليها حتى تمكنت من الهائها بلعبة صغيرة أخذت تحدثها باللغة التي تفهمها. وسمعت في تلك اللحظة صوت المذيع يعلن ان الموكب قد بدأ بالمسير ، فأسرعت بالخروج وفي نيتي ان ابلغ النادي في دقائق .

وسمعت وأنا اجتاز الطريق الرئيسي في حينا ، اصوات الموكب تمر سياراته ودراجاته الصاخبة بين الوف من الناس الهاتفين المصفقين .. لقد كانت اجهزة الراديو في حينا مطلقة اصواتها الى اقصى ما تبلغ هذه الاصوات من الارتفاع والهدير . لكأن سكان الحي قد اتفقوا على ذلك . بيد انهم لم يكونوا على مقربة من اجهزتهم ، لقد تركوها في الداخل تصيح ، وخرجوا الى عتبات الابواب ، في البيوت والحوانيت ينظرون ، كأنهم ينتظرون بغموض ان يمر الموكب بعد قليل بحيهم فينضمون اليه ويهتفون ويصفقون .

وحين بلغت النادي ، رايت سبعة او ثمانية منهم متحاقين حول الراديو . وحييتهم بانحناءة من رأسي ، ثم جلست الى جانب احمد ، من غير ان انبس بكلمة . وحين اجلت فيهم نظري لم أر بينهم عزت . اما حسان ، فكان حانيا ذراعه فوق الراديو يرتشف كل كلمة يطلقها المذيع. وكانت عيناه الزرقاوان تطوفان بالجلوس بين الفينة والفينة وفيهما تساؤل ، وتطيلان الوقوف على وجه جميل الذي كان غارقا في كرسيه بجسمه السمين ، مطرقا الى الارض بنظره الطفولي . واما نزار فكان مختفيا وراء نظارتيه ، وطيف ابتسامة على شفتيه . وهمَّ مختار يقول : « يا اخوان ... اليوم ... » ولكنه آثر ان يؤجل تعليقه حين ارتفع صوت المذيع يعلن وصول الموكب الى دار الرئاسة . وفتح حسان

علبة « باستيل » كانت في جيبه وقدم منها للجميع . فلم يأخذ مختار . بينما اخذ احمد حبتين اثنتين . وفي تلك اللحظة انبعث صوت المذيع هادرا ، فراودته بحة . فالتفت جميل الى حسان يقول له وهو يشير الى الراديو : « قدم له حبة ! » فانفجر سامي ضاحكا ، واكتفى نزار بأن يطلق طيف ابتسامته الرابض على شفتيه . اما انا ، فاعجبتني النكتة ، ولكني كتمت الضحكة في صدري . وعاد مختار يقول : « يا اخوان ... الحقيقة » فانبعث من يميني صوت يدعوه الى السكوت . وعرفت فيه صوت عبد الحفيظ الذي كان قد نهض وتوجه الى الراديو . حتى اذا حاذاه ، التفت الينا وقال « والله العظيم ... انه يوم ... » فهب مختار يشير اليه بيده ويصفر بفمه : « هسسسسسسس » كأنما لينتقم منه .

وكنت قد وضعت رأسي بين كفي حين اعلن مولد الجمهورية العربية المتحدة .

ومن خلال غشاوة رانت على عيني ، رأيت الباب يفتح ويدخل عزت ، متابطا كتبه . وحين سمع مرة اخرى « الجمهورية العربية المتحدة » انهار على مقعد قريب من الباب . وأخذ البكاء يهز جسمه حتى سقطت كتبه من يده ، فاستقر اثنان على ركبتيه ، وثلاثة على الارض . وعند ذاك اقترب عبد الحفيظ ، وانحنى بقامته المديدة فالتقط الكتب على مهل ، ورفع ذراعه فألقاها على كتف عزت . وحين أجلت بصري فيهم ، كانت في عيونهم جميعا دموع .

وشعرت بقطرة تحرق خدي ، وتظل تسيل حتى تبلغ شفتي العليا . وتذوقتها بلساني وتمصصتها دمعا عذبا . لقد حلا الدمع المر . منذ عشر سنوات مر على لساني كالحنظل . ولقد احسست له بمذاق مرير لم يذهب به الا مذاق النبيذ الذي استحضره حمدي ، وأنشأ يصب لي ولنفسه منه الكؤوس . وقد شربت مع حمدي تلك الليلة كؤوسا كثيرة ، فثملنا وعربدنا . ثم رأيت حمدي يتقيأ على بساط الغرفة ، فشعرت بأني لم اكن انا نفسي الا نقطة رشاش من هذا القيء الكثير . منذ عشر سنوات ، في باريس . اما هذا الدمع الان ..

ورأيت عزت يمسح عينيه . ونزع نزار نظارتيه عن عينيه . وأغمضت انا عيني . فانبعثت خلف جفني اطيافهم جميعا وقد انتصبوا واقفين وبدأوا يتكلمون . الحقيقة يا اخوان .. انه يوم ... انا لا اصدق . من كان يظن . كنا بحاجة الى مؤمن هذا الايمان العظيم بالقضية . والى بطل يؤمن بالتضحية والفداء . ان الرعشة لا تزال في اطرافي . يا احمد : انك لا تتصور اية خطوة عظيمة هذه التي خطوناها . حسبها ان ترد لنا ايماننا بأنفسنا . لقد زالت عقدة الذل . والاحساس بالغربة في ارض الوطن . تدفق النهر مكتسحا صخور العبودية . اضطربت الموجة الجامدة بالحياة . وستقتلع الاعشاب الطفيلية . وستزيل الحجارة التي تعرقل تدفقها . ألم اقل لك يا سامي انهم سيطلقون عليها اسم الجمهورية العربية المتحدة . لا ، قلت : الدولة العربية المتحدة . هناك فرق . كنت اقول ان قوميتنا ستظل شعارات ما لم تمتزج بالدم من جديد . ما لم تعمد . ولقد عمدت في بور سعيد ووهران . وهي ما زالت بحاجة الى دم . انها ما فتئت عطشى ، ولا بد ان تروى . يقولون: عاطفة ! سخفاء هم ! متى كانت الاعمال العظيمة تتحقق اذا لم ترفدها العاطفة ، الحماس ، الهوس ، الجنون . والايمان. ليس هو اقتناعا فحسب . انه عاطفة هوجاء . ان المؤمنين ليسوا فلاسفة . انهم ادباء ، شعراء . انهم هم الذين يخلقون الحقيقة من جديد . ينكرون الواقع ابدا ليصنعوا واقعا اجمل وأروع ، وما يفتأون يعملون حتى يؤمن الناس بهذا الواقع الخيالي ، وآنذاك يبدأ هذا الواقع بالتحقق . والله العظيم يا اخوان ، حلمت يوم امس ... أما تزال تحلم يا مختار ؟ لقد آن لك ان تستيقظ ، انظر . اسمع ، انها الحقيقية بين يديك . في ضميرك . انها هناك ، في دمشق في القاهرة . وعما قريب في عمان وبغداد والخرطوم وبيروت .. في كل مكان . ان الشعب الان يريد . لقد ظلت امانيه مكبوتة محرومة منذ عشرات العقود . اما الان . فانه يترك لاحلامه التي كانت تداعب خياله بغموض ان تتجسد واقعا حيا نابضا لا يكاد يصدق ، واقعا رائعا يوشك ان يكون مروعا ، واقعا معجزة . لانه يا عزت الواقع الامنية. الواقع المستقبل ، الواقع المصير . كانوا يقولون لنا يا جميل. كونوا واقعيين ... ولكن ما عسى ان ينتهي اليه مصيرنا لو كنا واقعيين كما يحبون ؟ اما كنا نظل طويلا في ظل الاستعمار المثلث ؟ اما كنا نحرم الامل في ان نتحد يوما ؟ أما كنا نحرم الامل في ان نسترد الارض المغصوبة في فلسطين ، ونحرم الامل في ان ننصر قوميتنا في الجزائر ، ونحرم الامل في ان نستعيد مكاننا تحت الشمس ؟ اما كنا نصبح عبيد الواقع لو كنا مثلهم واقعيين ؟ وكيف كان لنا ان نزيح الملك الطاغية ، ونؤمم القنال ، ونقاوم في بورسعيد؟ كيف كان لشكري ، هذا الذي يعلن الان مولد الطفل الجميل. ان يقدم على التضحية ... كانت جباهنا يا شباب ممرغة في وحول المذلة ، وكانت عقدة الدونية واليأس تتعقد في

نفوسنا يوما بعد يوم . ولكم اصيبت امتنا في القرن الاخير بالتمزق النفسي والخجل . غير ان ذلك الذي تطاول عملاقا هناك نهض ليشعرنا بأن قدرنا ما زال عظيما ، وان هذا الذل الذي يلطخ جبيننا لا بد ان يمحى . لقد خطت القدم الخطوة الاولى ، الخطوة الجبارة ، وهي لن تتعثر بعد ابدا .. ما كان هذا قصدي يا عزت .. بل ... اسمعوا يا اخوان . انه يتكلم . فليتكلم ما حلا له . فليتكلموا جميعا . فليس يهمنا كثيرا بعد ان نستمع اليهم ، لانهم لن يقولوا الا ما نقولـه نحن .. وما دام العمل قد تم ، فليست قيمة الكلام بعد كبيرة . بوسع الكلمة الان ان تنام ، هذه الكلمة التي كانت اخطر افيون يخدروننا به . وانت ما رأيك يا نزار ؟ دعني اجيب عنه : فهو سيبدأ بالقاء المواعظ والدروس . ليس هذا وقت المواعظ والدروس ، اسكتوا قليلا يا اخـــوان .. اسمعوا . .

ورفعت رأسي على صوت عزت يدعوهـــم للصمت . فرأيتهم جميعهم مطرقين لا ينبسون . واخذنـي العجب . كيف صمتوا كلهم دفعة واحدة بعد ان قالوا هذا الكـــلام الكثير ؟ ثم شككت بسمعي : لعلهم كانوا صامتين منذ ساعة، ولم ينغم احدهم بحرف ، وانما يخيل اليك انت ..

ورأيت عزت ينهض ، فيضع كتبه على مقعده ويقول: « تهانينا ايها الاخوان » ثم يقبل على نزار فيعانقه . ومـــا يلبث احمد وجميل ومختار وعبد الحفيظ وانيس ورفيق وحسن ان يتصافحوا ويتعانقوا . وكنت كلما عانقت احدهم شعرت وانا اقبله برطوبة الدمع على وجنتي وشفتي . وكنت أتمصص ذلك الدمع العذب .

وفتح الباب فجأة بعد لحظات ، ودخل سامي حاملا العلم العربي الكبير الذي كان معلقا في صدر القاعة الكبرى . وما كاد يتوسط الحجرة حتى احطنا بالعلم ، ثم ركعنا جميعا ، وتجاذبنا اطرافه نقبلها .

وبعد دقائق ، كنا مجمعين على تفاصيل مهرجان الوحدة العربية الذي اعتزمنا اقامته .

وحين عدت اعبر الطريق الرئيسي في حينا ، كانـــت اجهزة الراديو ما تزال مطلقة اصواتها الى اقصى ما تبلغ هذه الاصوات من الارتفاع والهدير . ورأيت سكان الحي ما زالوا واقفين على عتبات الابواب ، في البيوت والحوانيت، كأنما قوي ايمانهم بأن الموكب سيمر بعد حين ، فينضمون اليه ويهتفون ويصفقون .

وفتحت الباب على مهل متوقعا ان اجد زوجتي قد اوت الى فراشها بعد ان قاربت الساعة العاشرة . ولكني وجدتها جالسة الى الراديو الذي لا بد ان يكون صوت هديره قـد حجب صوت دخولي . والواقع انها فوجئت بي على مقربة منها وأصابها بعض الذعر ، فنهضت من مقعدها وأحاطت عنقي بذراعيها وهي تقول « لقد ارعبتني » ! وظل رأسها على كتفي لحظات ، ثم احسست بجسمها تهزه الرعشات . وضممتها الى صدري ومشيت بها خطوات حتى جلسنا على الاريكة . وقلت لها انني لم ارها من قبل على مثل هذا الجمال ، ولم احبها كما احببتها في تلك اللحظات ، ولم اكن يوما سعيدا بها كما كنت ذلك اليوم . ولم اشكر لها انها كانت الى جانبي في فترات القلق والتشاؤم والتمزق تحاول ابدا ان تبدد غيوم القلق والتشاؤم والتمزق . ولم أقل لها انها في حياتي رمز الامل .

ــ لقد بدأ املك يتحقق يا عزيزي .

لمثل هذا خاصة احبكِ . انك من رهافة الحس بحيث تشاركينني ابدا اجوائي وهمومي ، من غير ان احدثك عن اجوائي وهمومي .

ــ وهذا الشعب الحبيب الطيب ... لقد آن له ان ينفجر بمثل هذه الفرحة التي كانوا يخنقونها دائما في صدره . انني افهم ان يسكر هذا السكر ويأخذه ذلك الهوس والجنون .. لقد التقى بقدَره من جديد .

ثم اضافت زوجتي وانا اتأمل عينيها :

ــ ولكن امامنا طريقا طويلة بعد .. الا تعتقد ذلك ؟

فأجبتها وأنا الامس وجنتها بشفتي :

ــ بلى يا عزيزتي ... غير اننا بدأنا المسير ، ونحن الان نعرف الطريق ...

وكان العملاق في تلك اللحظة قد بدأ يتكلم ، هناك فـي العاصمة الكبرى . وانفجرت الاصوات تهتف وتنادي وتحيي . ورأيت زوجتي ترهف سمعها باتجاه غرفة النوم ، ثم تنهض وهي تقول :

ــ لقد افاقت رورو ... انها تبكي ...

وعادت بها بعد لحظات ، وهي ما تفتأ تبكي ، ولكنها ما كادت تراني حتى كفت عن البكاء ، ثم ابتسمت ، والدمعة ما تزال في عينيها ، واتجه نظرها الى جهاز الراديو الصاخب، فظلت لحظة تستمع ثم رفعت يدها الصغيرة واخذت تلوح بها وهي تصرخ صرخات صغيرة ، كأنها الهتافات .

وشدتها امها الى صدرها وأخذت تقبلها في خدها وجبينها وشعرها ، ثم التفتت الي تسألني :

ــ ألم أقل لك انها بدأت تفهم ؟

سهيل ادريس

الحدث العظيم

بقلم رئيف خوري

ليست فكرة الوحدة العربية بالظاهرة الجديدة في وجود العرب . ان جذورها لتمتد عميقا الى العصر الذي انبروا فيه على مسرح التاريخ . وان سلكها ليمتد ملموسا ، بارزا ، عبر العصور التي عاشها العرب ناهضين او عاثرين .

ولا انكار ان تاريخ العرب كان مسرحا لكثير من التفرقة المبنية على العصبية لقبيلة ، او العصبية لاسرة ، او العصبية لدين او لطائفة ، او لاقليم ، او لاصل من الاصول العنصرية البعيدة .

ولكن سلكا من فكرة الوحدة العربية كان ابدا يمتد مخترقا هذه الالوان كلها من العصبيات ، مذكرا العرب انهم امة واحدة وشعب واحد .

ولكن فكرة الوحدة العربية ، شأنها شأن الافكار كلها ، كانت ابدا في حاجة الى اسباب وملابسات تهيء لها الظهور من عالم الذهن الى عالم التجسد الواقعي . وما نريد هنا ان نرجع الى ماضي التاريخ البعيد لنستعرض تجارب العرب وكيف تحقق لهم نوع من الوحدة تحت ظل الراشدين والامويين ، ثم ، كيف بدأت تتفكك عرى هذه الوحدة تحت حكم العباسيين ، الى ان كان الفتح العثماني الذي « وحد »كثيرا من العرب ولكن تحت سيطرة السيادة الاجنبية ، والى ان كان عصر الاستعمار الحديث الذي قطع العرب تقطيعا ليسهل عليه حكمهم من جهة وليوجد ضربا من التسوية بين الدول الاستعمارية المتناحرة .

حسبنا ، هنا ، القول ان فكرة الوحدة العربية التي ظلت منذ انطواء عهد الراشدين والامويين ، تنتظر الاسباب والملابسات التي تهيء لها الظهور من عالم الذهن الى عالم التجسد الواقعي ، قد انبعثت ونبضت نبضا قويا في فترة انحلال الامبراطورية العثمانية وبدأت مفاهيمها تتبلور تبلورا جديدا يخرجها من دنيا الابخرة العاطفية والاخيلة الوهمية ، لتتخذ اشكالا اقرب الى رعاية الواقع والممكن في عالم له اوضاعه واحواله التي لا بد من دراستها .

وبعبارة اخرى ، بدأ يتجلى ان التفكير عربيا وعلى اساس الوحدة العربية لا بد فيه من التفكير على اساس الواقع الداخلي والواقع العالمي ايضا .

وانه لمن الطبيعي لقومية مستضعفة ، ممزقة ، تنشد حقوقها وامانيها ، ان تعمد الى المناورة بين القوى المتصارعة على مسرح العالم . ولكن اعظم القوى المتصارعة على مسرح العالم في ابان انحلال الامبراطورية العثمانية كانت تتمثل في دول كبرى تتزاحم على الاستعمار وتستعمل في هذا التزاحم حتى شعارات الحرية والتقدم التي تنادي بها الشعوب المغلوبة.

وهكذا ، لم يكن متاحا للقومية العربية ، قبل الحرب الكونية الاولى ، الا ان تناور بين قوى الاستعمار المتزاحمة عليها ، تريد خلاصا من الاستعمار التركي ، فتنحاز الى الاستعمار البريطاني ، او الفرنسي ، فيقضى عليها ان تكون كالطائر الذي يفر من المقلى ليقع في الموقدة !

وجزأ الاستعمار الاوروبي القومية العربية تجزئة بين اكبر دولتين استعماريتين في ذلك العهد وهما بريطانيا وفرنسا ، تتبعهما ايطاليا . وبرغم ذلك ، برغم التجزئة ، والنقلة من نير استعمار الى آخر،كان الحادث تقدما بالقياس الى القومية العربية التي تنشد الوحدة والحرية .

كان ذلك تقدما بسبب ارتفاع الشعور القومي العربي الى مستوى اعلى من الوعي والقوة ، نتيجة التجربة التي مرت بالشعب العربي محاربا للاستعمار التركي ، مخدوعا بالاستعمار الاوروبي ، مضطرا لمتابعة نضال لم ينته بعد .

وكان ذلك تقدما بسبب الثغرة الهائلة التي حدثت في جبهة الاستعمار الاوروبي حين انهارت روسيا القيصرية ، وقامت مقامها دولة جديدة كرهتها الدول الاستعمارية الغربية وحاولت ان تتدخل فيها عسكريا ، ثم اكتفت بأن تطوقها بطوق عازل ، فأصبح بيننا وبين هذه الدولة نوع من شركة قضى بها الوضع العالمي ، هي الشركة لحفر قبر الاستعمار الغربي .

حتى اذا كانت الحرب الكونية الثانية ، وانهزمت الدولة النازية الهتلرية كان ذلك تقدما اخر عظيما ، بالقياس الى القومية العربية . ومع ان الاستعمار الغربي كسب مكاسب بنتيجة هذه الحرب ، واهمها انضمام الولايات المتحدة الاميركية ، الى صفوفه ، فان هذا الاستعمار خسر خسائر قاصمة للظهر . فقد اصيبت المانيا الهتلرية ، الدولةالاستعماريةالناشئة القوية ، بضربة صرعتها ارضا . وكذلك اصيبت فرنسا الاستعمارية بمثل هذه الضربة الفادحة ، ولا عبرة بمحاولاتها الجنونية لاستعادة هيبتها الاستعمارية ، فانها لن تنجح باكثر من مراكمة الحماقات والاوزار على نفسها . وكذلك خرجت بريطانيا الاستعمارية مضعضعة متراخية . وفي الوقت نفسه ظهرت جمهوريات الاتحاد السوفياتي ، ودول الديمقراطية الشعبية ، على مسرح النفوذ العالمي ظهورا بدل التوازن الدولي والعلاقات الدولية ، كما ان عددا من شعوب الارض كسر نير الاستعمار الغربي واحرز استقلاله وسيادته ، او حظا اوفر من الاستقلال والسيادة ، وبين هذه الشعوب الشعب العربي في كثير من بقاعه ، وكل هذا لم يكن في شيء من مصلحة الاستعمار الغربي ، كل هذا كان خسارة للاستعمار الغربي لا يعادلها انضمام الولايات المتحدة الاميركية ، الى صفوفه .

واذا ، فقد حدث في العالم ، بعد الحرب الكونية الثانية وضع جديد بالقياس الى القومية العربية الصاعدة، وهو وضع اكثر ملاءمة واكثر مؤاتاة لاماني القومية العربية في الاستقلال والسيادة والوحدة. فبينما كانت القومية العربية قبل الحرب الكونية الاولى ، لا تجد سبيلا الى التعامل الا مع الاستعمار العثماني او الاستعمار الغربي ، وبينما كانت القومية العربية بعد الحرب الكونية الاولى ، لا تجد سبيلا الى التعامل الا مع هذا الاستعمار الغربي او ذاك ، اصبحت الدنيا بعد الحرب الكونية الثانية لها بوابتان بحيث تستطيع القومية العربية ، ان يعاملها الغرب بما يتفق وحقوقها وامانيها ، ان تعامل دول اوروبا واسيا الاشتراكية ، او دول اسيا وافريقيا المتحررة .

ولقد اوشك ان يفسد هذا الوضع خطأ وقع فيه القادة السوفيات بعد الحرب الكونية الاخيرة . فقد ابوا ان يعترفوا الا بان العالم كتلتان : غرب وشرق ، ورفضوا ان يدركوا امكان الحياد الايجابي ، وفاتهم ان حركات التحرر الوطني في الشعوب المستضعفة لا يمكن ان تكون رهنا بقيادة الاحزاب الشيوعية ، او وقفا على الانقلابات الاشتراكية فأوشكوا ان يعزلوا انفسهم، وان يقضوا على الدور الذيتؤديه الاشتراكية في المساعدة على تصفية النظام الاستعماري في العالم .

ولكنهم ما لبثوا ان ادركوا خطأهم الذريع ، فأصبح يمكن التعامل مع جمهوريات الاتحاد السوفياتي والدول الاشتراكية ، دون قبول النظام

الشيوعي او النظام الاشتراكي ، ودون قبول لقيادة الاحزاب الشيوعية . وكان هذا ايضا كسبا كبيرا للقومية العربية .

ففي هذا الجو العالمي امكن ان تولد الجمهورية العربية المتحدة من اندماج جمهوريتي مصر وسوريا ، وان يكون لهذه الجمهورية الجديدة اسس متينة ثابتة تمكنها من البقاء والنمو .

لقد وُجدت في الوضع العالمي الدعامة التي تستطيع ان تتركز عليها اول نواة للوحدة العربية ، تجسد في الواقع الحي تلك الفكرة القومية التي نبض بها قلب كل عربي ، وهي ان يجتمع العرب كلهم في كيان سياسي واحد.

على ان هذه الدعامة التي وجدت في الوضع العالمي ما كانت لتكفي لولا ان جاوبها ما قام في الوضع العربي من دعامة يمكن ان تتركز عليها النواة الاولى المنبثقة للوحدة ..

وهنا لا بد من شيء من التفصيل .

متى تصبح الوحدة صحيحة ؟

ان القومية المشتركة ، مدعاة قوية للوحدة . لا شك في ذلك . ولكنها ليست المدعاة التي تكفي بنفسها . فقد تكون قومية مشتركة بين اجزاء شعب مقسم ، ثم لا تصح الوحدة السياسية بين اجزائه . لماذا ؟ لان بعض هذه الاجزاء لم يستكمل اسباب سيادته واستقلاله وحريته .

فلا يصح عندئذ الحاق الاجزاء التي استكملت سيادتها واستقلالها وحريتها بالاجزاء الخاضعة للسيطرة الاجنبية ، ما لم تخلع هذه الاجزاء ، او تساعد على خلع نير السيطرة الاجنبية عنها .

وكذلك ينبغي اعتبار نوع الحكم الوطني في كل من الاجزاء التي يراد توحيدها . فاذا كان نوع الحكم مختلفا كأن يكون جمهوريا وملكيا مثلا اثر ذلك بشكل الوحدة بين ان تكون تامة ، او فدرالية او حتى كونفدرالية .

يضاف الى ذلك ان الوحدة ، تكون اصح ما تكون اذا حدثت رضى واختيارا .

والناظر في هذا التوحيد الذي قام بين جمهوريتي سوريا ومصر يراه وافيا بكل هذه الشروط المبدئية ، الخطيرة ، التي لا تقوم الوحدة بدونها قياما عمليا صحيحا .

فمصر وسوريا دولتان عربيتان مستقلتان تمام الاستقلال ،ليس فيهما جيوش اجنبية ، ولا هما مرتبطتان ارتباطات خارجية ، تحد من استقلالهما وسيادتهما وحريتهما . وهما الى ذلك تخضعان لنظام من الحكم جمهوري وطني. فالوحدة بينهما ، اذا ، عملية صحيحة، لا تعترضها عوائق يستعصي اذلالها ، او عوائق يكون من الحمق اغفالها .

اما انقطاع الصلة البرية بينهما فليس من العوائق التي لا يمكن اذلالها بعد الذي نشاهده من تقدم وسائل النقل جوا وبحرا ، وبعد الذي نلمسه من ترقي وسائط الدفاع العسكري.

والذي يزيد في متانة هذه الوحدة انها انبثقت من ارادة السوريين والمصريين بلا ضغط ولا اكراه ، وان هذه الوحدة ليست سوى نواة حية ستنمو وتقوى ، وقد اخذت تنمو وتقوى حقا باستعداد اليمن ان تنضم اليها على اساس فدرالي .

ويزيد في متانة هذه الوحدة انها تلبي حاجة الامة العربية التي تواجه اخطارا مشتركة تتمثل في قيام اسرائيل ورغبتها في الامتداد ، وتتمثل في ضراوة الاستعمار الغربي وشهوته على استعادة ما فقد ، وفي ضراوة الاستعمار التركي عميل الاستعمار الغربي ، وفي مؤامرات عملاء الاستعمار في داخل الاقليمين السوري والمصري وفي خارجهما . ولا شك ان الاقليمين المصري والسوري يكمل احدهما الاخر بنوع خاص. فسوريا تشكو قلة في السكان بينما تشكو مصر اليوم زحمة السكان . وفي مصر وسوريا امكانات زراعية وامكانات صناعية عظيمة ، وفيها رساميل وطنية تستطيع ان تتضافر على احياء الزراعة والصناعة في الاقليمين .

ان انبثاق الجمهورية العربية المتحدة حدث تاريخي ياتي في مصلحة العرب من اي الوجوه قلبته . وهو حدث قومي في تطور الامة العربية لم تشهد مثله منذ عصور نهضتها الاولى. انه بشير بعودة هذه الامة الى مسرح التاريخ بوجه جديد .

وفي الان نفسه هو حدث عالمي يقوي ركيزة من ركائز الحياد الايجابي في هذه المنطقة الحساسة من العالم ، منطقة الشرق الاوسط وبذلك يقوي امكانات السلام العالمي وتقويض صرح الاستعمار تقويضا اقرب الى الهدوء ، يقي الانسانية والحضارة الانسانية ، شر سقوط انقاض هذا الاستعمار عليها واحداث افظع القتل والدمار فيها . يبقى ان كثيرا سيتوقف على مقدار ما تثمره الجمهورية العربية المتحدة من ثمار ايجابية تتجلى في تعزيز مكانة العرب ، وتحقيق امانيهم في السيادة والاستقلال والحرية وفي بناء مجتمع ديموقراطي تقدمي يسعد فيه المواطن العربي .

ان بناء المجتمع الديمقوقراطي التقدمي شرط اساسي لنجاح التجربة ونموها حتى تشمل العرب جميعا . ويزيد في بهجتنا ان هذا الشرط الاساسي لم يفت الزعماء الذين وضعوا القواعد لقيام الجمهورية العربية المتحدة ، فاعلن القائد العربي العظيم الحكيم ، جمال عبد الناصر : ان الجمهورية العربية المتحدة دولة ديمقراطية تتيح لجميع المواطنين فرصا متكافئة . وكذلك اعلن الاب الروحي للوحدة العربية الرئيس شكري القوتلي .

والحق ان القومية العربية في الواقع التاريخي اليوم لا يمكنها الا ان تكون تقدمية ، تطورية ، تحررية ، والا فهي مقضي عليها ان تظل «شيئا» ينجرّ وراء عجلة الاستعمار ، متشكلا في شكل لا محتوى له كهذا «الاتحاد العربي» الذي اعلنته ملكيتا العراق والاردن . ان اقل ما يقال في الاتحاد انه ليس بحدث . وهو يذكرني برجل متزوج اصابته النكاية لان اخاه تزوج ، وأقيمت له الاعراس ، فدعا بشيخ او كاهن ليزوجه من زوجته نفسها مرة اخرى . حقا ان التاريخ لا يضحك على ذقنه مثل هذا الضحك.

ان الجمهورية العربية المتحدة تركت باب الانضمام اليها مفتوحا على مصراعيه لمن شاء من العرب بلا تدخل في النظام الداخلي ملكية كان او جمهورية . ولكنها اشترطت شرطا واحدا هو اتباع سياسة الحياد الايجابي، اي ان لا يكون العضو المنضم مرتبطا بارتباطات خارجية تحد من سيادته واستقلاله وحريته ، وتوجب الانحياز الى معسكر من المعسكرات التي تمزقها العالم وتؤدي الى الحرب .

وليس يدهشنا ان يقوم « الاتحاد العربي » بعد قيام « الجمهورية العربية المتحدة » . فالقومية العربية هي ايضا تخضع لقانون التاريخ ان توجد فيها رجعية وتقدمية .

اما الغد فللتقدمية . ونحن العرب ما برحنا نعيش للغد منذ ان قطع الاستعمار ، والحكم الرجعي ، اوصالنا .

لذلك ، في اي مكان شاء الحظ ان نوجد وان نولد ، فنحن مواطنون بكل امانينا وقوانا في الجمهورية العربية المتحدة ، وشعارنا :

عاشت وحدة العرب في ظل الاستقلال والسيادة في مجتمع ديموقراطي متحرر !

رئيف خوري



فكرة ... ورجل ... ودولة !

بقلم محمد النقاش

كانفجار النور من ليل بهيم .. كمهرجان الصبح الجميل .. كان مولد الجمهورية العربية المتحدة .

بهذه الصورة الرائعة اعلن الرئيس جمال عبد الناصر امام مجلس الامة قيام المرحلة الاولى من الوحدة العربية ، حلم الاجيال العظيم ...

وسأل دبلوماسي اميركي مواطنا عربيا مرموقا في لبنان ، عن صدى اعلان الجمهورية العربية المتحدة في الرأي العام ، فأجاب :

ـ انها استجابة السماء لصلوات ودعوات استمرت ستة قرون !

ولقد استقبلت هذه الوحدة في سائر انحاء الوطن العربي بموجة من الفرح ، لم يعرف لها مثيل الا عند الفوز بالاستقلال ، فالاستقلال والوحدة امنيتان قوميتان توأمان ، تأصلتا في اعماق الامة العربية ، فيابعد جذورها غورا ، منذ ان أناخ عليها الفتح ، وفرق شملها الاستعمار . ولهذا كانت موجة الفرح تلقائية عفوية ، فاقيمت الزينات ، وسارت مواكب النصر ، في كل مكان حر من ارجاء الوطن العربي ، في كل مكان لم تفرض فيه السلطات حظرا .. حاكمة على نفسها بقرب الزوال ، لانها تقف في وجه التيار العربي الصاعد .

ومع ذلك ، فالحلم لم يتحقق من تلقاء نفسه ، والوحدة لم تتم بمجرد التمني العاطفي والتفكير المنطقي . لقد لزم لذلك رجال من اولي العزم ، في سوريا ومصر ، عملوا بجهد وصلابة ، صمدوا لكل المغريات وصبروا على كل المكاره ، وتحدوا كل تهديد ووعيد ، ووقفوا بالمرصاد لكل خطر ... رجال من اولي العزم ، صانوا استقلال البلدين اولا ، وحرروهما من كل وهن داخلي وكل ضغط خارجي ، ليدفعوهما بعد في طريق الوحدة ، والا فما معنى الوحدة مع نفوذ الاجنبي ومصافحة الاستعمار ؟

الزعيم

وعلى رأس هؤلاء الرجال في مصر وسوريا ، كان الرئيس عبد الناصر . القائد الثائر المحرر الذي نادى منذ ارتفاعه الى سدة الزعامة في مصر ، بتحرير مصر وتغليب القومية العربية معا . لقد وضع المطلبين على مستوى واحد ، فما ألهته مصر يوما عن القومية العربية ، ولا صرفته القومية العربية عن مصر . ظل منذ اللحظة الاولى منسجما مع مبادئه وآرائه ، لم يقبل اية مساومة عليها . كانت قضية الجزائر عنده كقضية السويس، سواء بسواء . وبهذا الشمول العربي ، القائم على النضال والاقدام ، كسب جمال عبد الناصر قلوب العرب جميعا . ولاول مرة ، وجد العرب في تاريخهم الحديث ، رجلا شابا قوي الشكيمة ، قوي الايمان ، حكيما مقداما في وقت معا ، نفحتهم به الاقدار الحسنة لحمل امانتهم ، وتجسيد فكرتهم . فليس من فكرة ، مهما تكن عظيمة ، استطاعت شق طريق الى الواقع ، دون انسان عازم حازم . ومنذ اللحظة الاولى وقبل ان يكتب النصر لعبد الناصر ، احس الشعب العربي احساسا قلبيا ان خيرا كثيرا سيأتيهم عن طريقه ، وانه سيكون قائد نهضتهم وباعث امجادهم ، فاولوه ثقتهم ، ومحضوه حبهم ، وبذلوا له تأييدهم ، مما زاده حرصا على امانيهم وعزما على تحقيقها .

القوة المادية

ولم يكن كافيا تأصل الفكرة ، ولا قيام زعيم مؤمن بها ، لاخراج الفكرة الى حيز الواقع ، فلا بد من قوة مادية تكفل ذلك . ولو ان جمال عبدالناصر كان مثلا من سوريا او لبنان او الاردن ، لما استطاع بقواه المادية المحدودة ان يؤلف املا حقيقيا للعرب . لكن العناية شاءت ان يظهر حيث ظهر ، ان يظهر في مصر ، اكبر اقطار العرب وأقوى دويلاتهم الحديثة دون منازع .

نعم ، فمن المفروض في الولاية التي تجمع سائر الولايات ، من المفروض في الجزء الذي تلتئم حوله سائر الاجزاء ، ان يكون اقواها واوسعها وأشدها اهمية وخطرا . ومصر برقعتها الواسعة ، بموقعها الجغرافي وسط الوطن العربي ، بين جناحيه الشرقي والغربي ، بمكانتها التاريخية العريقة ، بمركزها الدولي الذي كسبته من قناة السويس ـ اعظم شريان للمواصلات في العالم ، وأهم من هذا وذاك بكتلتها البشرية الضخمة التي تؤلف طاقة كبيرة لا مراء ، طاقة لا يؤلف مثلها اي قطر عربي اخر ، بل ولا قطران مجتمعين .. مصر هذه ، هي الجزء العربي المؤهل من كل الوجوه ، لان تتكتل حوله سائر الاجزاء ، وان يكون بمثابة الام التي تحتضن سائر الابناء .

ولا قيمة لاي ادعاء اخر ، لاي ادعاء بنسب اقرب الى العروبة مثلا .. بمناداة سبقت بالوحدة العربية .. فما دمنا نؤمن جميعا بالقومية العربية ، والوحدة العربية ، ونعتبر مصر جزءا من هذه الامة والقومية ، فطبيعة الاشياء تفرض علينا فرضا ان نقبل بها زعيمة لتحقيق الوحدة ، بل ان نكلفها الزعامة ، لتكون المهمة ايسر وأسرع .

ولئن كان لمصر بحد ذاتها مثل هذه الرسالة ، فكيف الامر وقد جاء على رأسها رجل كجمال عبد الناصر ؟

القوة الروحية

ولا بد لكل مثل اعلى مهما يعل ، من جو صالح يتحقق فيه ، من اطار جميل ينمو في نطاقه ، فالحرية مثلا مثل اعلى ، لكن ما قيمة الحرية في جو من الفوضى.. والاستقلال مثل اعلى ، لكن اية قيمة للاستقلال مع حكم يسوده الطغيان او الفساد ؟..

وكان من الضروري ان يتوفر للوحدة جو تحرري ، جو دينامي تكون في حدوده شيئا حيا يكبر ويزدهر ، ويفيض خيرا على العرب .

لو تمت الوحدة على يد اجنبي ، او بوحي اجنبي ، وكانت اداة استغلال لمصالحه الاقتصادية والحربية ، فأية قيمة لها ؟ لو تمت في نطاق رجعي يسير بالامة العربية مجتمعة الى وراء ، فاي نفع يرجى منها ؟

من حسن الحظ ايضا ، ان المرحلة الاولى من وحدتنا المنشودة ، تمت بين جمهوريتين متحررتين تماما ، من كل نفوذ اجنبي ، ومن كل فساد

داخلي ، ومن كل انانية ورجعية . انها في القطرين المصري والسوري ، بنت ثورة وانقلاب .. ولبدة عقلية جديدة وبعث جديد . انها الجمهورية العربية المتحدة ، اي دولة عصرية تقدمية تعتنق احدث المفاهيم في ادارة شؤونها . دولة للجمهور ، للشعب ، لا لاسرة ولا لسلالة ولا لطبقة . انها للشعب العربي كافة ، لسواده الاعظم ، من الكادحين المكافحين .. انها لمواطنين لا لرعايا ولا لاتباع .. لمواطنين احرار ، لعزهم ، لأمنهم ، لسلامهم ، لرخائهم ..

ولقد اخذت بأحدث نظم الحكم ، النظام الملائم لها منذ قامت دولة في التاريخ : النظام الرئاسي ، نظام البيعة والشورى ، بموجب دستور حديث يقدس كرامة الانسان وحريته ، ويضمن في النطاق الديمقراطي قدرا كافيا من الاستقرار للحاكم ، فلا تتغير الوزارات كل ستة اشهر .. ويفسح مجال الشهوة الى الحكم تناحرا دائما لا عاقبة له الا زعزعة اركان الحكم .

اما الحزب الواحد ، فتدبير موقت . اننا اليوم في حالة حرب مع اسرائيل ، وفي حالة نضال مرير مع الاستعمار ، واعرق الدول ديموقراطية، تنهج هذا النهج في مثل هذه الظروف .. تخنق حزبياتها وتسكت المنافسة الحادة ، وتنصرف بجهد قومي موحد لمواجهة الخطر الخارجي .

فالحزب الواحد يقضي الان على ترف لا يجوز لنا التطلع اليه : ترف الفرقة والانقسام .

كما ان الحزب الواحد يدربنا في جو هادىء على الحياة الحزبية الضرورية في كل نظام ديمقراطي حقا . ونحن ما زلنا على طراوة عود من حيث الاساليب الديمقراطية . وما زال فريق كبير من شعبنا في حاجة الى تعليم وتثقيف ليحسن التمرس باصول الديمقراطية وفروعها .

ان دولتنا العربية الكبرى قامت على اسس حديثة ، على اسس تقدمية فيها كل عناصر الصيرورة والتطور والحركة ، وهي ابعد ما تكون عن دولة موميائية ، محنطة في قوالب عتيقة ، او متمسكة ــ رغم بعض المظاهر العصرية بموروثات العصور الخالية .

الاسس العملية

الى جانب العوامل العاطفية والتاريخية ، ساهمت عوامل حالية في انبثاق المولود الجديد ، مولودا سويا بكل معنى الكلمة ، لا خلل فيه ولا علة ...

الجمهورية العربية المتحدة لم ترتجل ارتجالا ، ولا كانت جوابا مبتسرا على امال تاريخية وعاطفية ، فلقد مهد لها منذ سنوات ، تمهيدا اسلوبيا مركزا جعل تحقيقها بمثابة صب الطعام بعد طهيه .

نعم . منذ سنوات ، منذ خمس سنوات ، ومصر وسوريا تسيران في سبيل واحدة ، كلتاهما قامت بانقلاب على الاوضاع الماضية التي ادت فيما ادت الى كارثة فلسطين ، كلتاهما فسحت للجيش ــ وهو قوة الشباب الفاعل ، مجالا في الشؤون القومية . كلتاهما وقفت في وجه كل محاولة لجرها الى الاحلاف العسكرية الاجنبية . كلتاهما عبرت عن ارادة قوية مصممة على التحرر الصحيح الاكيد من الاستعمار وأعوانه . كلتاهما قررت مكافحة الرجعية الطاغية والاقطاع المستبد ، كلتاهما أزرت القضايا العربية دون تحفظ .

فكان من نتائج ذلك ، ان الدولتين انسجمتا في سياسة واحدة ، كما ان اتفاقا ثنائيا عسكريا وحد القيادة بين الجيشين . واثبت الواقع ان هذا الانسجام ليس مجرد كلام يرسل في الهواء ، ولا وثيقة لا تساوي الورق الذي كتبت عليه . اثبت الواقع يوم مرت مصر بتجربة السويس، ان سوريا هبت هبة الرجل الواحد للوقوف الى جانبها ، عارضة ان تعمل كل ما في مقدورها لدعم مصر في المعركة . اختلط الدم السوري بالدم المصري في القنال ، وأغلقت سوريا باب النفط الاخر ، تضامنا مع اغلاق الباب الاول في السويس ، واندمج البلدان اندماجا كليا في السياسة الخارجية . فلما هدد الحشد التركي سوريا ، خف الجيش المصري لنجدتها ، وجاءت اخوة السلاح تشد صلة الرحم . ثم ان الشعب في القطرين ، اعلن بلسان برلمانييه عن رغبته الملحة في الاتحاد . وعقد المجلسان جلسات مشتركة ، وطلبا الى الحكومتين تنفيذ الاتحاد .

وهكذا ، لم يكن الاتحاد من صنع حكومتين ، ولا من صنع افراد ، ولا نتيجة مباحثات ديبلوماسية او مناورات سياسية . بل جاء وليد ارادة الشعب المطلقة في القطرين . الشعب في مصر ، والشعب في سوريا ، هو الذي اراد الوحدة ، فكانت الوحدة !

وهكذا ، جاءت نواة الجمهورية العربية الكبرى ، في احسن تكوين . جاءت على مثال انعدم نظيره في التاريخ . بلدان يتوحدان دون اراقة قطرة من دماء ، الا دماء شهدائهما في مكافحة الاستعمار . ودون اي ضغط من حاكم .. وانه لمنطلق سعيد حافل بالوعود للمستقبل . وما على بقية الجماعات العربية في سائر الاقطار الا ان تحذو هذا الحذو . وهي منذ الان ، مع الجمهورية الجديدة ، بكل عواطفها وقلوبها ، والمسألة ليست

الا مسألة وقت ، قد يطول وقد يقصر ، تبعا لحيوية هذه الجماعات ، في كسر قيود الرجعية والمصالح العائلية والنفوذ الاجنبي .

اتحاد العراق والاردن

قلنا ان الشعب العربي في كل مكان ، قابل الحدث العظيم بالبشر والترحاب . لكن هذا لم يكن حال بعض الحاكمين ، لاسيما اولئك الذين انحرفوا عن نهج التحرر الكامل والحياد واثروا ان يشدوا الى عجلة من عجلات الخارج ، تحمي نفوذهم المقلقل ومصالحهم المخلعة ، وبديهي ان انصار الاستعمار في الغرب لم ينظروا بارتياح الى قيام هذه الدولة الفتية التي كانت — حتى قبل مولدها ، كانت وما تزال جنينا — حربا على الاستعمار والمستعمرين . وبديهي ان المنحرفين من العرب — تحت ستار مقاومة الشيوعية — مدوا ايديهم مرة جديدة الى اسيادهم ،طالبين الغوث .. ان الجمهورية العربية المتحدة خطر عليهم محقق... فالشعب العربي حيثما كان ، سيطمح ان لم يكن طامحا منذ اليوم ، الى الانضمام للجمهورية الجديدة . ولا بد من عمل شيء لالهاء الشعب .. للتمويه عليه بلعبة يقر بها عينا .

وكان حكام الاردن اسرع الجميع الى التحسس بالخطر الداهم، فالاردن الذي اخذته النشوة بالتحرر من النفوذ الاجنبي ، والسير في ركب التحرر العربي ، لما يستسلم للردة التي سلبته تلك النشوة — وما زال يساس بحكم ارهابي جارف منذ عشرة شهور .. هذا الشعب الذي قصت اجنحته فالقيت في السجون او ابعدت عن البلاد ، ما انفك يتحفز .. وسيكون قيام الجمهورية العربية المتحدة على حدوده فرصة ذهبية لنفض النير ..

وسارع الملك حسين ، فاوفد رسله الى الملك سعود والملك فيصل ، طالبا النجدة .

واكتفى الملك سعود بتقديم الدعاء والبركة .. بينما استجاب الملك فيصل للدعوة .

وبمحادثات سريعة وشبه خاطفة ، تم الاتفاق على دمج المملكتين في اتحاد فدرالي ، يبقي على التاجين والعرشين ، ويوحد بين القطرين في الجيش والسياسة الخارجية .

والعجيب ان هذا الاتحاد — وهو حلم الاجيال — لم يلق اي صدى في شعب العراق والاردن. ولعله لو تم قبل قيام الجمهورية العربية المتحدة ، لحظي بالرضى والقبول والترحاب ، لكن العرب — داخل القطرين المتحدين وخارجها — لم يروا فيه الا ردا مبتسرا على الوحدة بين مصر وسوريا .

وعبثا استنجد الملكان بذكرى جدهما الاكبر ، قائد الثورة العربية الكبرى ، المغفور له الملك حسين ، وعبثا غاصا في اعماق الماضي والحاضر ، فالشعب لم يتحرك ...

وراح العراقيون يرسلون برقيات التهاني الى القوتلي وعبد الناصر ..

اما الاردنيون ، والسجن يهددهم ان فعلوا ، فقد اكتفوا بالوجوم ..

وقيل انهم ارغموا على الاحتفال ارغاما ، فلم يستجيبوا ..

ميثاق بغداد

لم ينطل على الاردنيين انهم سيؤلفون مع العراق دولة اتحادية واحدة، موحدة السياسة ، ويبقوا مع ذلك خارج ميثاق بغداد ...

لهذا ، رأوا في الاتحاد الجديد ، قيدا اكثر مما رأوا فيه بشرى اتحاد وقوة وتحرر .

وهدف القوميين العرب في الاردن كما في سواه ، توسيع رقعة التحرر في دنيا العرب ، لا توسيع رقعة الاستسلام ، والارتباط بواشنطن ولندن وانقرة ...

لهذا ، ففي اغلب الظن ان الاحكام العرفية ستستمر في الاردن ، لاقناع الشعب بحسنات الاتحاد ، كما استمرت لاقناعهم بحسنات الإنفصال عن الركب التحرري المصري — السوري ..

نسخة مقلدة

لقد جاء الاتحاد العراقي — الاردني بمثابة نسخة مقلدة زائفة للجمهورية العربية المتحدة . لذلك ، لم ينبض له عرق فرح ، ولا هز مشاعر احد .

ومع ذلك ، فعلى صعيد المنطق العملي الصرف ، يجد له بعض المراقبين حسنات ...

الحسنة الاولى هو ربح القطرين العراقي والاردني ، بحيث يسهل انضمامهما معا ذات يوم الى الجمهورية العربية المتحدة .

الحسنة الثانية ان يحمل الجيش العراقي ، وهو جيش عربي باسل وقوي — الى حدود اسرائيل . وفي ذلك كسب للعرب ضد العدو المشترك .

الحسنة الثالثة انه قد يحسن احوال الاردن المعيشية ، ويوفر فرصا لابنائه في مزيد من العمل والتعليم .

وهناك حسنة رابعة وهي ان التفاعل بين شعب العراق والاردن ، قد ينمي روح المقاومة ويقرب خطى الانضمام الى الوحدة الكبرى . لان الكلمة الاخيرة هي للشعوب دائما .

ومما لا شك فيه في كل الاحوال ، ان الاتحاد العراقي ـ الاردني لا يؤلف اي خطر على الجمهورية العربية المتحدة ـ فهذه ـ عدا مبادئها التحررية المدعومة شعبيا ـ تؤلف كتلة بشرية تعد سبعة وعشرين مليونا ، والاتحاد لا يتجاوز كتلة الملايين الستة .

ولعل هذا ما دفع الرئيس عبد الناصر الى المسارعة للتهنئة بـه .. شأن الكبير الذي لا يخشى الصغير !

في لبنان وسواه

اكثر الدول العربية لم تهنيء بقيام الجمهورية الجديدة . ولعلهـا تنتظر نتيجة الاستفتاء واوراق الاعتماد الجديدة . هذا الاستفتاء الـذي لم تكن قد ظهرت نتائجه عند كتابة هذه السطور ، لكن من المتوقع يقينـا ان ياتي اجماعيا او شبه اجماعي ، بعد ان صادق برلمانا البلدين بالاجماع على الوحدة ومبايعة عبد الناصر بالرئاسة .

وكان اليمن اسرع البلدان الى ولوج الباب المفتوح في الجمهورية المتحدة لينضم بشكل فدرالي اليها .

واليمن بلد عربي بكر، استعصى على الاستعمار ، فبقيت ثرواته دفينة. ولسوف يتاح للمصريين والسوريين ان يساهموا في نبش هذه الثروات. كما سيتاح لليمن ان تفيد من الضمان العسكري المصري ـ السوري ، ومن خبراء الجمهورية العربية الجديدةفي رفع مستواها الثقافيوالاجتماعي والاقتصادي .

اما لبنان ، فقد استقبل شعبه الحدث العظيم بكثير من البهجة .بعكس فريق من حكامه اولئك الذين جنحوا الى مبدا ايزنهاور وما ينطوي تحت ذلك من موالاة للاميركان خاصة ، والغرب عامة . وهؤلاء الحكام على حق في ان يوجسوا خيفة من الجمهورية الجديدة لانها تدق لهماجراس النهاية.

ولسنا نعني ان لبنان سيضطر الى الانضمام حالا وسريعا الى جارته العربية الوحيدة الكبرى . وانما نعني ان لبنان سيضطر ـ مع بقائـه مستقلا ـ الى مسايرة سياسة هذه الجارة العزيزة . وبالتالي الى تغيير الفريق الذي يحكمه .

فلسنا نعرف في العالم دولة صغيرة تعاكس دولة كبيرة تكاد تحيط بها من كل جانب ، فتمشي في سياسة معادية . ذلك ان الروابط الاقتصادية والمصالح العسكرية ـ بصرف النظر عن كل صلة عاطفية ـ تفرض مسايرة الصغير للكبير .

ولئن عانى لبنان وعكة لا شك فيها يوم ان كانت سوريا بملايينهـا الاربعة تحدق به ، وهو ليس على وفاق معها ، فان الوعكة ستزداد بعـد ان اصبحت هذه الدولة تعد سبعةوعشرين مليونا ، اذا استمر في سياسته الحالية .

زد على ذلك ، ان كثرة الشعب اللبناني ليست راضية عن هذه السياسة ولا مفر من انتظار تغيير جذري فيها .

ختاما نقول ان جمهوريتنا ـ نواة دولتنا العربية الكبرى ـ نهضـت على اسس متينة ، في افضل ظروف ممكنة .وهي بداية وليست نهاية . بمعنى ان عليها ـ كما قال الرئيس عبد الناصر ـ قطع طريق طويل شـاق محفوف بالاخطار . عليها ان تكبح جماح الشهوات في الداخل ، وترد كيد المعتدين في الخارج . ولدت وسط النضال ، وعليها ان تستمر في النضـال .

وعلى مبلغ نجاحها في المهمتين ، سيتوقف مبلغ توفيقها في جـذب بقية الاجزاء العربية اليها ، وفي وقت قريب . واننا لمتفائلون جد متفائلين بمقدرتها على النجاح .

محمد النقاش

خواطر حول الوحدة العربية

بقلم الدكتور عبد الله عبد الدائم

كنا طلابا في جامعة القاهرة عام ١٩٤٣ . وكنا في مقتبل العمر يطوف اكثرنا حول العشرين . وكان همنا الروحي الاول تغذية افكار الوحدة العربية في نفوسنا وفي نفوس من حولنا . وعملنا من اجل ذلك في رابطة جامعية تعرف باسم رابطة الطلاب العرب ، تضم طلابا من اكثر الاقطار العربية ، وعقدنا الندوات ودعونا الى محاضرات ، وحملنا احاديث الوحدة العربية في خلواتنا ونجوانا ، على ضفاف النيل او فوق المروج المرعة امام مكتبة كلية الاداب ... وكنا نشعر اننا ننمو مع هذا الاهتمام ونحس بتيار الحياة يدب فينا قويا حارا كلما امعنا في هذا الاهتمام وغذيناه . وكنا نقرأ في كتاب الواقع الحي وفي كتب الفلاسفة والمفكرين ، نبحث فيها جميعا عن مادة نبلّر بها شعورنا العربي ، ونطفىء ظمأنا الى فكرة عربية اردناها فوق كل فكرة .. وكثيرا ما تأتى لنا ان نرفع هذه الفكرة الى مستوى المطلق ، الى مستوى الحقيقة الخالدة ، متأثرين بمصطلحات الفلاسفة ، محاولين ان ننصب املنا وشعورنا في عالم العبادة وفي محراب الخشوع .

وكنا نصطاد بين الفينة والفينة افكارا لرواد الوحدة العربية تعيد الى نفوسنا ثقتنا بهذا الافق الروحي الذي رسمناه . كان الرائد الاول للفكرة العربية في سوريا ، يتحدث عن قوة هذه الفكرة وحياتها في النفوس . ويشير فيما يشير الى ان الفكرة العربية فكرة حية واقعة ، وأنها ان كبتت بعض الشيء فلأن بعض الصدأ قد اصابها على مر العصور وبعد ازمان من الاستعمار والاستثمار والنسيان . وانها تحتاج الى من يجلوها وينضو عنها ما علق بها لتغدو جارفة قوية تحطم القيود وتنطلق ماردا جبارا .

وفي مقابل هذا كله ووسط هذا الجو الروحي العارم ، كنا نسأل من شدأ حظا اوفر منا في المعرفة وادراك الواقع . كنا نتجه الى بعض الاشخاص الذين عرفوا اذ ذاك بنزعتهم العربية ونطلب اليهم احاديث عن الوحدة ، وندعوهم الى محاضرات عن الفكرة العربية . وكثيرا ما كان أملنا يخيب ، وكثيرا ما كنا ننكر على هؤلاء امعانهم في التحليل العقلي .

كان بعض هؤلاء — ومنهم اقطاب مرموقون — يحاول ان يحد من غلوائنا وان يحدثنا نحن الفتيان بلغة الراشدين المحنكين . كان يحدثنا احدهم في محاضرة من المحاضرات عن الوحدة . وما كان الا من اعمق المؤمنين بها . غير انه كان يزعم لنفسه الواقعية حين كان يبين العقبات الكأداء التي تعترض طريقها ، وحين كان يعدد الصعوبات التي تحول دون العمل على الافق العربي . فهنالك الحكام ورغبتهم في التجزئة ابقاء لنفوذهم ، وهنالك الاستعمار المنبث في تربة العروبة والمقاوم لكل وحدة ، وهنالك الطائفية التي تحارب الفكرة العربية ، وهنالك الفوارق القائمة في الاوضاع الاقتصادية وفي نظم الحكم وفي الثقافة وفي مستوى المعيشة . وهنالك وهنالك ..

وكانت النتيجة التي يخلص اليها مثل هذا التحليل المجزىء الممعن في التعداد والفصل والتمييز ، ان على البلاد العربية ان تعمل بنصيحة سعد زغلول حين سأله احدهم عن الوحدة فأجاب : صفر + صفر + صفر يساوي كم ؟أي ان على كل واحدة ان تتقوى على حدة حتى اذا جمعت لم يكن جمعها جمعا لاصفار، لا وزن لها ولكن لاجزاء من الواحد .

وكنا لا نملك عقله المنظم في البحث ، وكنا نعجب بعرضه الواضح وقدرته على رؤية الصعوبات ونبشها . ومع ذلك ما كنا لنرضى عن هذا التحليل والتجزيء وكنا نشعر ان ثمة ضعفا في عرضه وأسلوبه في البحث لا نقوى على تبينه غير اننا نحسه ، نحسه بايماننا بالفكرة العربية وارادتنا لتحقيقها . كان حدسنا طفلا ولكنه كان صادقا وما كان هذا الحدس الصادر عن واقع العروبة الحي في نفوسنا ليرضى بكل هذا الظاهر من العقل والتعقل ،وبذلك التعطيل الذي يسمونه واقعية . وكنا نفضل ان نأوي الى مثاليتنا ونجدها اكثر واقعية من أي شيء .

وعبثا كنا نعترض على اصفار سعد زغلول : ان وحدة البلدان العربية ليست جمعا عدديا ، وليست مزجا وخلطا . وانما هي اتحاد عميق وتفاعل بين الاجزاء المتحدة ينجم عنه مركب جديد وشيء جديد لا يستبين في عناصره المركبة له. لقد كنا نردد ان الاتصال بين جموع منفصلة من الناس ، كفيل بأن يخلق قوة جديدة زائدة عما لدى كل واحد منها. بل كنا نؤكد ان محاربة الاوضاع الفاسدة في كل بلد عربي لا يمكن ان تظفر اذا ظلت محاربة مجزأة منفصلة يقوم بها كل بلد على حدة ، وأن السبيل المثلى للقضاء على عقبات الوحدة هي العمل على صعيد الوحدة وبقوة الوحدة . فالاستعمار لا يقوى على حربه البلد العربي المجزأ ، وحربه عن طريق العمل العربي الموحد . والاوضاع الاجتماعية الفاسدة تظل صعبة الزوال اذا كان العمل اقليميا لا عربيا واسع النطاق والامكانيات .

بل كنا نذهب الى ابعد من هذا ، ونحن في عنفوان الايمان . لقد كان ردنا في كثير من الاحيان على صعوبات

الواقع التي كانت تتلى على اسماعنا ويبرر بها المبررون بقاء التجزئة ان ننكر هذه الصعوبات انكار من يريد ان ينصِّب ارادته واقعا . كانت افكار الفيلسوف الفرنسي «برغسون» تجذبنا في ذلك الحين ، وكنا نلقف من بينها تلك التي تتصل بالتطور المبدئي والعمل الخلاق وبالاخلاق المنفتحة ، اخلاق البطولة . وكان يحلو لنا تشبيهها بأسرنا لانه يجد صدى في احساسنا العربي .

يقول برغسون : انك اذا فكرت في صنع كومة من الرمل على شكل معين عن طريق رصف ذرات الرمل واحدة واحدة قمت بعمل مستحيل التحقيق . اما اذا تصورت يدا تعبث في هذه الكومة من داخل فتخرجها على الشكل المطلوب هان عليك الامر .

كذلك كنا نرى العمل للفكرة العربية . كنا نراه عملا خلاقا يصهر الصعاب ويبددها عن طريق عمل من الداخل ، اي عن طريق الايمان العربي ونضج الشعور بالفكرة العربية .

وكثيرا ما كانت ترن في اسماعنا عبارة سمعناها من كبير اساتذتنا في سوريا . كان يقول عندما يحدثه محدث عن الصعوبات والعقبات : ما تعريف البطولة وما تعريف البطل اذن ؟ وكان يجيب : ان البطل هو الذي لا يعترف على الصعوبات ولا يعرف الاعذار .

بهذا الحدس البريء كنا نعيش فكرة الوحدة العربية ونحن في طور الدراسة . وكنا على يقين أن حدسنا اقوى من تحليل المحللين ، وأن اكبر دليل على صحة فكرنا ايماننا بها . وكان ايماننا دوما هو أن المحرك الاول لقدر الشعوب هو الايمان الفكري الحي . فاذا ما وجد هذا الايمان كان لزاما عليه ان يجد وسيلة للتعبير عن نفسه قد نجهلها ولكنها واقعة لا محالة . وكنا نعلم ان الفكرة اذا سرت في النفوس وجدت اخيرا في مجتمعها من يعبر عنها ومن يحملها ويشق لها طريق التحقق .

والان ، وبعد مضي خمسة عشر عاما على تلك الاحاسيس المضطرمة وذلك الحدس البريء ، يأتي الواقع مصدقا للمثاليين الحالمين لا للمتعقلين المحللين فيما يزعمون . ويقوم برهان جديد على ان الواقعية ليست مجاراة الواقع وانما هي العمل على تغيير الواقع بعد فهمه وسبر اغواره وتياراته ، وأن المثالية حين تصدر عن تحسس بما وراء الواقع وعن دفع له تكون هي الواقعية بعينها .

لقد ذابت كثير من الصعاب عن طريق الوعي الشعبي ، وخلقت قوة تحررية في البلدان العربية حطمت قيود الاستعمار الخارجي والاستثمار الداخلي . واستجاب القادة لنداء الشعوب في مصر وسوريا وقرروا أن خير طريق لحل ما قد يقوم في طريق الوحدة من صعوبات هي ان نتحد ، اي ان نعمل ضمن الوحدة وبقوتها .

واليوم يرى كل ذي عينين ان الوحدة التي اعلنت بين سوريا ومصر طريق ايجابية واقعية لحل مشكلات البلدين معا وحل مشكلات العالم العربي كله . فمحاربة الاستعمار سوف تخرج أقوى وأثبت بفضل هذا الاتحاد . والاستثمار الداخلي سوف تقوضه رغبة الشعب المتحد في ان يكون مجتمعا قوميا عادلا يحقق الخير للجميع . والاوضاع الاقتصادية والاجتماعية سوف تجد وسائل جديدة لرفعها وحل مشكلاتها .

لقد كنا في العام الماضي بالقاهرة ايام اجتماع وفود الوحدة الثقافية العربية . وقرأنا في الصحف فيما قرأنا حديثا عن مشكلة النسل في مصر وآراء في ضرورة الحد من النسل كوسيلة وحيدة لمعالجة انخفاض مستوى المعيشة وضيق مصر بمواردها . وطاب لنا اذ ذاك أن نذكر بعض اصدقائنا ان مثال هذه الاحاديث مثال واضح عن المشكلات الزائفة التي يخلقها التفكير في حل المشكلات على الافق المحلي بدلا من حلها على الافق العربي . فالبلاد العربية لا تواجه ازمة سكان ونسل . وسوريا تفتقر على العكس الى ايد عاملة . والمشكلة زائلة زائفة اذا وضعنا الامور في نطاق الوحدة . ومثل هذه الامثلة على الحلول العملية الايجابية التي تقدمها الوحدة تند عن الحصر . الم يقرر عالم

الاقتصاد الفرنسي « بيرو » في كتاب له مطول ان كل وحدة بين بلدين ـ بما تخلقه من نشاط التبادل والتعامل وسعة مجالهما ـ لا بد ان تؤدي الى فائدة البلدين معا ؟ فما بالنا اذا كانت الوحدة وحدة حية خلاقة تحمل معها ارادة شعب في ان ينتج ويعمل ويشيد حضارته ويتبوأ مكانته في العالم ؟

وبعد ، ان كل عمل يولد من ارادة الشعوب عمل محمل بالقوة حافل بالعطاء . وارادة الشعوب حبلى دوما بالخصب والايجاب . والوحدة ، الى جانب كونها مصلحة اقتصادية وعسكرية ، هي فوق هذا وقبل هذا ارادة شعب وأمل نفوس وانطلاقة ارواح . وهذه الارادة هي التي كنا نعبر عنها حين كنا نرفض القناعة بحجج المحللين ، وهي التي قصّرت الزمن وقربت المسافات ، فجعلت الحلم واقعا في اقرب مما حلم الحلم . وهذه الارادة هي التي ستحمل وتتم بعد الوحدة فتخلق جيلا يعبيء نفسه لامة وجدت ذاتها اخيرا ، وتجند قوى وامكانيات تنطلق جبارة لان وراءها الايمان بالمستقبل والنشوة ببداية الظفر .

ان القوة التي عرفت ان تذيب الصعاب خلال سنوات معدودات فتخلق الوحدة ، قوة تعرف ان ترقى الى مستوى العمل لامة متحدة كريمة تثبت اركانها وتعمل على جمع الاجزاء المتناثرة منها في سائر بقاع البلاد العربية وتؤدي رسالتها الى العالم رابطة حاضرها بماضيها .

وجل ما نحتاج اليه بعد ان أروت الوحدة كبرياءنا واعادت الينا ثقتنا بأمتنا ومستقبلنا ومشاعرنا ، ان ننتقل دون ما ابطاء الى المضمون الايجابي لهذه الوحدة ، الى حفر الاقنية والشعاب المدروسة التي تنطلق فيها حماستنا القومية ، لنفيد من كل قطرة من قطرات عواطفنا ومشاعرنا. ونستطيع ان نقول اننا انتقلنا الان ـ بعد اعلان وحدة البلدين ـ من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر . لقد بدانا الطريق ووجدناها ، وعلينا الان ان نجعلها ممهدة راسخة. ولا بد لنا من مجاهدة طويلة ورياضة ودربة اذا ما اردنا ان ننقل شعورنا العربي الى مستوى البناء والانشاء . ان على مشاعرنا القومية ان تستحيل بعد اليوم خططا مدروسة وأن تترجم الى لغة العلم والعمل. وجميل ان بشائر الوحدة الاولى كانت تحمل معها في تصريحات المسؤولين منذ الايام الاولى هذا المعنى الايجابي الذي ينوي وراءها ، من العمل لسعادة ثلاثين مليونا من العرب ، ولتحقيق المستوى اللائق من العيش لامة رضيت بالحرمان طويلا في سبيل الكرامة وجاعت طويلا لتأكل من جني ايديها وعطاء ابنائها .

ان اول معنى وآخر معنى من معاني الوحدة العربية تحرير الفرد العربي من عقاله وقيوده واطلاق سراح امكانياته وقواه ليكون في مستوى رسالته وحضارته .

الدوحة ـ قطر ـ الخليج العربي **عبدالله عبد الدائم**

الى المغرّد السّجين

شدوك يأتينا حبيب الصدى
محلقا رغم انغلاق الرحاب
يا طائري السجين فاصدح لنا
من خلف جدران الدجى والعذاب
غنِّ ، فقضبان الحديد التي
تسد في وجهك رحب الفضاء
لن تحجب الغناء عن سمعنا
يا طائري
غنِّ فدرب الرجاء
ما زال يمتد مشع الضياء
رغم انطباق الليل من حولنا

*

ارجعني شدوك يا طائري
الى زمان قد طواه الزمان
اذ انت طلق الخطو طلق الجناح
ايام كانت ظلة الياسمين
تحضننا ، وانت تشدو لنا
شعر المنى والزهو والعنفوان
فتقرب النجوم من ارضنا
تصغي الى الشدو ونصغي ،
وكان
ملء اغانيك اخضرار المروج
ونضرة السفح وبوح الاريج
وملأها كان هدير الرياح ...
وكان فيها من شموخ الجبال
في وطني،
وعزة لا تنال
الا مع النصر وفوز الكفاح

*

يا طائري السجين اصدح لنا
رغم هوان القيد رغم الظلام
فالافق ما زال غني المنى
ينتظر الشمس تحت القتام
النصر للنور فلا تبتئس
والفوز للحرية الرائعه
وغدنا موطن احلامنا
فلا تقل احلامنا ضائعه

*

يا طائري هناك درب الرجاء
رغم انطباق الليل من حولنا

نابلس — فدوى طوقان

من اصداء الجمهورية العربية المتحدة

القضاء والانشاء

بقلم مطاع صفدي

الجمهورية العربية المتحدة ، حدث الامة الاعظم ، الحدث الايجابي الاول ، هو شيء آخر غير دموع الفرح ، وغير التهليل والتكبير ، والتظاهر ، ورفع اللافتات ، وتبادل التهنئة ، وحديث المقاهي ، وصفوف الطلاب . انه الحدث الايجابي الاول الذي خلقه العرب ، وابدعه العرب ، وجاء نقطة انطلاق لانشاء الحياة العربية من داخل .

ولقد يبدو ان مثل هذه التأكيدات العنيفة هي من نوع تلك الشعارات التي لم نكن من قبل ، نملك منها الا قوة رنينها وعظمة الامل الذي تبعثه في نفوسنا للانفتاح نحو مستقبل نحبه ولا نعرفه ، نستشرفه ولا نحيط به ، نصلي له كاله مجهول بعيد . ولكنها تأكيدات تحمل اعظم المضمون اليوم ، مضمونا يعادل مسؤولية فتح التاريخ ثانية ، ومبادهة العمل الحضاري المنتج في كنف الانسانية .

الا اننا لكي نبلغ محصول هذا المعين كما ينبغي ، يجب ان نمهد له بالنظر الى بعض المغزى اليومي لهذا الحدث الاعظم . وهو يتمثل لنا في عديد من الاصداء نتابعها باختصار فيما يلي :

ما كان للعربي المؤمن ان يفاجأ بهذا الحدث . فلقد كان دائما نتيجة مرتقبة لتطور الامور في سوريا وفي مصر معا . ومثلما تنبأ العربي المؤمن ، حقق الواقع ، فالعقيدة الثورية الطليعية وضعت لها هدفا هو تحرير القطر العربي الاخر الذي انسجم بخطواته معه .

ولكن هذه النتيجة لم تكن محصول تطور آلي للتاريخ العربي المعاصر ، لم تكن ترسبا اخيرا لصراع الشروط الخارجية المادية في المجتمع ، لم تكن ، بكلمة واحدة ، نتيجة لعراك طبقي داخلي في قلب الامة . انها انقلابية قومية ، جمعت قواها من قدر البعث الذي تحياه الامة دون ان تعيه . انقلابية وعتها الطليعة فصبتها شعارات ثورية رمزية لحقيقة كبرى ، أتخم بها روح الجيل الجديد ، فما صبر لكي تتحقق فلسفة وفكرا نظريا ، وانما قذف بها نضالا صوفيا ، جعل كل القيم المثالية تتحد لاول مرة مع العمل ، التغيير في الواقع ، فأخضعت جميع شروط السلبية المضادة لحركيتها وجعلتها مادة اولية مطواعة لفضيلة الفكرة المناضلة ، لبراءة الجيل الفاتح ، لثورية البعث العربي المنبعث من صميم الامة قدرا ، ليس هو بالقدر ، وحتمية ليست هي بالحتمية ، انه قدر الوجود الحر الذي يصنع واقعه من طينة تفسخه ذاتها ، وحتمية المرحلة البعثية التي تتفجر عن روحية الامة بكاملها معبأة في تخطيط الطليعة .. الطليعة وقد استغرقت الامة كيفا أولا ثم كما . استغرقت آمال الامة بشعاراتها الواضحة الاصيلة اولا ، وجندت كل البريئين منها في صفها الطليعي ثانيا .

وعاش الشعب العربي مرة ثانية تلك الثورية العبقرية المنتجة للحضارة وكان لا بد ان تتأجج هذه الثورية ضمن اول ذروة لها هي الوحدة العربية ، هذه الحالة السوية للوجود العربي الحقيقي . غير أن الخطر كان يتهدد هذه الثورية ، فتجوف من داخل ، وتجهض عن مسخ مشوه ، عندما اريد لها ان تنحرف لغير هدفها الصحيح ، عندما اريد للتيار العظيم ، ان يحول من مجراه الطبيعي الذي حفره بقوته الخاصة ، الى الفسيح من الارض ، ليتبدد هناك ويغلبه الوحل وتستنفده الضحولة .

كاد النضال العربي في سوريا ، الطويل الشاق العنيد ، ان ينتكس وأن يتقهقر كأنه لم يكن ابدا ، عندما رفع شعار القومية العربية فوق رؤوس غير عربية ، وتلفظته ألسنة هجينة ، وشهقت له قلوب مصطنعة ، عندما اصبحت القومية العربية اسما للتغطية ، وبضاعة للتصدير واستهلاكا سياسيا مرحليا لفترة ذات ظروف معينة ، وأما العملية الدكناء ، فقد كانت تعد تحت هذا الستار .. ولكن مرة اخرى أنقذ العرب العرب ، مرة اخرى استقلت سوريا ، وقتلت خطر التجويف الداخلي ، التجويف السياسي والتجويف العقائدي . وأما المضللون ، حتى من افراد الطليعة العربية ، اصحاب المنطق المرحلي ، لا المنطق الصوفي المطلق ، والمغامرة السياسية ، لا الرسالة الاصيلة ، والعمل اليومي السريع ، لا الانقلاب الجذري الابدي ، هؤلاء ادركوا اليوم ما معنى ان تستقل سوريا مرة ثانية ، ما معنى ان تتحقق الوحدة العربية ، ما معنى ان يثمر تطورها النضالي ثمراته الحقيقية لا المزيفة الهجينة . فالجمهورية العربية المتحدة ليست نصرا عظيما لمستقبل العرب فحسب ، ولكنه كان كذلك انقاذا لسوريا ، كان استقلالا جديدا لها .

هذا احد معاني الحدث الاعظم .

ومن معانيه كذلك :

١ ــ دحضت الجمهورية العربية المتحدة المنطق الذي كان يطرح مشكلة الوحدة العربية على المستوى النفعي . كان هذا المنطق يسأل على الشكل الآتي : ما هي المنافع التي تجنيها سوريا او مصر من هذه الوحدة ؟ ويراد من هذا السؤال ان يضخم من امر الاوضاع الجزئية التفصيلية للدولتين ، وخاصة في الحقل الاقتصادي والحقوقي .

وجريمة هذا المنطق انه اولا من الناحية الذاتية – اي ذاتية السائل – يكشف عن سوء نية صاحبه ، وعن الهدف التهديمي الذي يرمي اليه وهو خلق جو من الشك والتساؤل والابهام ، وبث القلق خاصة في اوساط الملايين .. وأكثر من هذا انه يهدف الى اثارة الحس النفعي الغريزي لدى اصحاب النفوس الضيقة .

وجريمة هذا المنطق ثانيا ، من الناحية الموضوعية ، انه يتعمد اهمال المستوى الحقيقي الذي يجب ان تطرح عليه قضية الوحدة . فهو تبرير اقليمي يناقش الامور من زاوية الغربة ، مفترضا بشكل مبدئي ، ان الحالة الطبيعية هي في وجود الدويلات العربية،معتنقا مذهب الكيانات المنفصلة، شأنه في ذلك شأن من يقبل على شركة بين تاجرين . بينما جاء حدث الجمهورية العربية المتحدة نفيا واقعيا لمثل هذا المنطق المختلق . فالوحدة هي لامة واحدة ، لعضوية واحدة، لكيان واحد . والوحدة هي الوضع الطبيعي للامة وليس ثمة مجال لمنطق كياني الا من قبل المستعمر فحسب ومن تبنى موقفه .

٢ – ومن معاني هذه الجمهورية صدق الحدس العربي بالتخطيط الثوري الراهن . انه يعلن عن واقعية الدعوة القومية كحل جذري للمشكلة السياسية في الاقطار العربية . ويقف حائلا مانعا دون محاولة الردة الى تخطيط العصور الوسطى القائم على الوهم الميتافيزيقي وتبرير عبودية الانسان ، ونقل المشكلة من المستوى التاريخي الزماني الانساني الى المستوى الاطلاقي اللاهوتي . فالجمهورية العربية تكسر الحلقة المفرغة التي كان يدور فيها الوجود العربي . انها حدث سياسي يصنعه الانسان بحريته الخاصة وقدره النابع عن وعيه وقوته معا . وانها حدث يبرهن على ميلاد العقل الارضي مرة اخرى لدى الجيل الثوري .

٣ – ومن معاني الجمهورية كذلك غروب اصنام عصر الانحطاط العربي ، عصر الاستعمار ، وعصر التآكل الداخلي في بنيان الامة . فارادة الوحدة هي التي تحل الان محل آلاف من عوامل التفرقة والنخر في خلايا الامة . ان مجرد وجود الوحدة معناه قضاء على امراض التجزئة في الطائفية والاقطاعية والشعوبية والاقليمية ، وغيرها من تراث الانحطاط الاستعماري .

هذه بضعة من المعاني السلبية الايجابية التي يمكن ان تستنبط من تحقيق الجمهورية كحدث سياسي . غير ان هذا الحدث هو ذاته نقطة انطلاق وتفجر لنتائج قومية وجودية لا نهاية لها تلتزم كيان الامة من داخل ، كما تؤثر مباشرة على مجرى الصراع الانساني في العالم . ولا يمكن التنبؤ بها الا من خطوطها العريضة المجردة . ومن اهمها واوعاها الى التحقق عودة التفاعل الاجتماعي العظيم على مسرح الامة بين كتلة بشرية ثورية طافحة بالامكانيات الجديدة والقوى العذراء المدخرة منذ مئات السنين التي عتقتها وصخرتها الاحداث وضاعفت من نمائها وتكثفها عوامل الكبت والمقاومة الخارجية وعوامل الخوف والتردد والعقدة القزمية في نفسية الانسان العربي . هذا التفاعل الذي سيتولد عنه قريبا اتضاح مقياس جديد لحضارة جديدة ، يكون ادعى الى الاصالة ، والابتكار والانطلاق . وينعكس اثره على جميع اشكال الفعالية الاجتماعية من فنية وفكرية وعلمية وصناعية اقتصادية وسياسية .

ومن نتائج وحدة هذا التفاعل وعمقه واتساعه في آن واحد ، انه لن يبقى حبيس الحدود المصطنعة . فهو سيدفع بقواه كعامل تحريض وتفجير في الجماعات العربية المنعزلة في كثير من بقاع الارض العربية المحتجزة ضمن قماقم الاستعمار والاستغلال الداخلي . ولن تتأخر الوحدة الشاملة اطول مما تأخرت حتى اليوم .. لقد استكملت شروطها الداخلية ، وبقيت مسألة الظروف المناسبة للاطاحة نهائيا والى الابد بالحدود المفروضة .

لقد عاش الشباب العربي الطليعي الوحدة في نفوسهم ، وحققوها في سلوكهم ، وشعت املا عظيما من نضالهم وذخرا للحياة والمستقبل . فلما أهلت اليوم لم يعجبوا لها، انهم يعرفونها من قديم . واذا كان لهم ان يفرحوا حقا لها ، فهو فرح الفنان المبدع الذي تمت له ثقته بانتاجه ، فباشر مجده وهو ينبثق من قلبه لينفح على انتاجه البكر الاول .

غير ان الجمهورية العربية من جهة ثانية تضع هؤلاء الشباب انفسهم امام مهمة جديدة كل الجدة . انها تدعوهم الى ان ينقلبوا على نفوسهم القديمة ، وعلى عادات نضالهم السلبية المنصرمة . ان المهمة اليوم هي الانشاء ، هي خلق الانسان العربي الحر المبدع وتعميمه على المجتمع ، بدل الكتلة العجماء التي اتخمت واقعنا البشري فخنقته عصورا.

والانشاء يبدأ اولا من ترسيخ العقيدة العربية كثورة انشائية دائمة تصب انتاجها في جميع حقول الحياة الحديثة . وهنا لا بد ان نفرغ لعمل جذري عنيف . وهو تحقيق الانقلابية الانسانية في ذات الفرد ، في انفسنا ، بعد ان تغلبنا على معظم العوامل السلبية الخارجية . والمشكلة هنا تنطرح على الشكل الآتي : كيف يمكن ان ننشىء حضارة جديدة عربية الوجه ، انسانية المضمون ، وبذات الوسائل العصرية ، فنخاطب التاريخ بلغته ، ونؤدي له حصيلة تجربتنا الثورية كنظام سياسي ، ومفاهيم في الحياة الانسانية المشروعة ، وانتاجات في العلم والفن .

نحن اليوم نشهد انطلاق امة اصيلة تحمل كل امكانيات الحياة ، وتندفع الى افقها بتفاؤل الخالقين ، فكيف يمكننا ان نعي ، وأن نحسن الوعي ، في هذه المرحلة ، كما احسناه في مرحلة سابقة ، تلك هي عملية ثقافية كبرى ، تلقي بثقلها كله على عاتق الملتزمين من المفكرين والادباء ، ليؤدوا مرة ثانية ذخيرة بكرا لتثبيت عقلية الثورة المنشئة ،ومدها بالنسغ العربي الدائم ، وانتزاع اعظم النتائج منها .

مطاع صفدي — دمشق

دعوة الى الأغنيات

ترقرقي يا اغنيات انهمري
تدفقي نهري سنا وعنبر
تدفقي مائجة بالمشتهى
من حلمي بالمرتجى من عمري
واستنزفي الهناء في مقاطع
رقراقة الحروف .. ذوب سكر
وفي ضمير الكون كرّي نغمة
لم تنسحب على اشتهاء مزهر
خالعة صحو الرضى ، في رعشة
صوفية ، على حقول الكدر
فترتدي غلائل الصباح منشقا على ابى صفاء نضر

★

لمثل هذا اليوم كنت صبوة
في خاطري وحرقة في محجري
من عهد جف الطل في روضتنا
وغار في الاوحال فيء الشجر
وانطفأت من افقنا نجماته
وابتلع الرماد وجه القمر
واحتضن الجليد درب شوقنا
للمجد ، درب حبنا للبشر
عهد تهاوى الافق وانساق الحمى
من تتر سود لليل تتري ...
الف شتاء اسود دامي الخطى
سارت علينا عبر غاب مقفر
الا من الضياع وهي كثرة
منهومة ومن ظلام الخور

★

لمثل هذا اليوم كنت صبوة
في خاطري وحرقة في محجري
فمزقي السبع الرقاق وارقصي
عارية الفرحة بكر الصور
تفجري بالزهو ، بالجاه المدل من هوى في المجد ، بالكبر السري
النجم ، منذ انهار افقي ، لم يعد
يصبو لهمس هائم من وتر
فاسقيه بالكأس المعتق اللمى
هناءة مثل انسياب الخدر
هناءة لم ترتسم في خاطر الاعراس
لم تخطر ببال السمر
احيت موات العمر .. فامتدت الى
ارض الجليد اذرع من زهر
وعادت الرياح تحدو صبوة الشراع والرمل الى المجد الثري

★

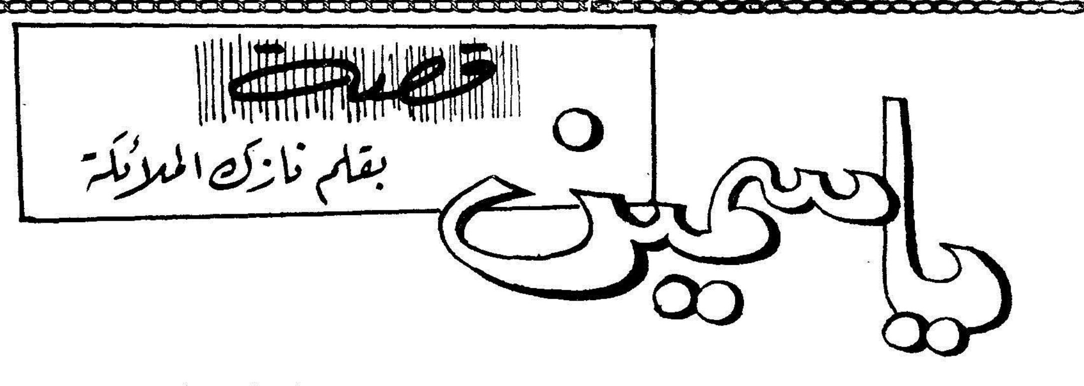
ترقرقي يا اغنيات انهمري
تدفقي في يومنا المؤزر
شمسان تنثالان فيه انجما
فوق التراب الشاعري الاسمر
فتبعثان الدفء في اوصاله
وهي الصقيع ، والضيا للبصر
شمس اصيل خالد لا ينطوي
عبر الدجى وشمس فجر عبقري

★

تمايلي ، تراقصي ، تواثبي
يا اغنيات انهمري تفجري
متى متى تجرين جري منتش
ان لم تعبّي اليوم ان تسكري ؟..

اول شباط

حبيب صادق



(تحية ومحبة للصغيرة الغالية « نسرين »)

عندما غادرت العراق الى اميركا للدراسة منذ خمس سنين كانت قد ولدت لنا في المنزل اخت جديدة اقترحاخي اياد ، الذي كان يبلغ من العمر اثنتي عشرة سنة ، ان نسميها « ياسمين » تكريما لشجيرة زرعها في حديقتنا ، ومن غير أياد يزرع اي شيء في بيتنا ؟ ان الحديقة معبده . وكان ابي يحب ان يسمي الطفلة سعاد لتكون اسماؤنا علىالتوالي وداد وأياد وسعاد وبذلك يرضي نزعة السجع التي تشيع في بعض الاسر العراقية ، غير ان أمي نصرت فكرة اياد وقد ايدتها انا الاخرى . كان يكفي ان يرى المرء حماسة هذا الصبي العزيز واختلاج شفتيه للفكرة التي تخايله حتى يرق ويود لو حققها له .

كان في اختي الجديدة شيء يجتذب القلب وقد احببت ان اتريث في بغداد وأرجىء سفري ولو شهرا لاتعرف اليها وأتزود لفراق طويل ، غير ان موعد سفري كان قد حدد وهكذا وجدتني ذات فجر الوح بيدي للمرة الاخيرة الى ابي وأياد وقد حضرا لتوديعي في المطار . ولم يكن عمر ياسمين اذ ذاك يزيد على اسبوعين .

ماذا يصنع البعد بنا ؟ اننا في البداية نتمسك بكل ما احضرناه معنا من الارض القديمة التي فتحت ذراعيهـــا وأسلمتنا للمسافات . نحن نتعلق بأشياء مثل عدد اشجار الدفلى في حديقة الشارع امام منزلنا ، وطعم الشايالخاص الذي يصنع في بيتنا ولا نرى له مثيلا في الوجود ، ووجه ياسمين الصغيرة التي ملأت القلب اياما ثم خفت صوت بكائها وراء المحيط . اننا نطبق اكفنا على كل هذا ونقسم الا نغفل عنه ولا ندع النسيان يسرقه منا ... ولكن الحياة الجديدة تتناولنا بسرعة وتسلمنا لاصناف لا عهد لنا بها من المشاغل والظروف والوجوه وسرعان ما ننسى حتى اننا ننسى . وفي بداية السنة الثانية نشعر فجأة كم نحن بعيدون عن كل من أحببنا ، وتفاجئنا الحقيقة الكبرى : لقد **تغيرنا** .

اربع سنوات من هذا ... كيف كان يمكن لي الا اغفل عن ياسمين ؟ وكان اياد يذكرها لي في رسائله بين الاخبار الاخرى التي تهمه : شجرة السرو التي التوى عنقها ،نخلتنا



التي أحرقها البرق ، شجرة التوت التي لم تعط ثمرا هوائيا هذا العام ... وياسمين التي تكبر بسرعة ويزداد ولعهـا بقطتنا (سيرسي) وهكذا .

وكنت ارسل اليها هدايا من الملابس واللعب بين الحين والحين ، وكنت اضع صورة صغيرة لها على مكتبي ، غير ان هذه الومضات الخاطفة من الصلات لم تصل ما تفصله المسافات بيننا ، فما كنت املك في نفسي اكثر من ارتباط تقليدي بأخت لي لا اعرفها ، ولم استشعر تماما ذلك الحنين الذي تبعثه في النفس الالفة والمجاورة . ولم يكن هذا

يقلقني . الست راجعة الى العراق ؟ ان اسبوعا واحدا الى جوارها سيجعلنا نتبادل المحبة على أتم ما تتبادلها اختان فما الداعي الى القلق والاستعجال ؟

ثم عدت الى بغداد ذات خريف .

وفي غمرة الفرح باللقاء لم اتذكر ياسمين . وحين انصرمت الدقائق الاولى اقبل علي اياد يحملها بين ذراعيه : طفلة سمراء مرهفة التقاطيع ذات جدائل سود تتهدل على كتفيها وقد البسوها « بنطلونا » ايطاليا أزرق يشد حول ساقيها النحيفتين بأشرطة مضفورة . كانت باختصار طفلة عذبة وقد وضعها اياد بين ذراعي وقال في بعض عتاب ولوم: « اراك قد نسيت ياسمين . الا تسألين عنها قط ؟ »

ياسمين !

منذ تلك اللحظة الاولى باتت اختي هذه شغلي الشاغل. لقد لاح علي وكأن غيابي الطويل في اميركا قد جمع في نفسي كثيرا من المحبة والشوق وسرعان ما تفجرت حين عدت الى منزلنا . اما ياسمين فقد رفضت منذ البداية ان تمنحني صداقتها فما كدت اتناولها من اياد وأقبلها حتى راحت تدفعني بكلتا يديها وهي تصيح بلهجة طفولية :

« اذهبي ... لا أريدك ! » واضطرت أمي الى ان تأخذها وتحاول اعادة الاطمئنان اليها باخبارها انني اختها الموعودة وداد التي طالما سمعت عنها . وعندما رأت امي خيبتي بسبب هذا الصدود غير المنتظر من أختي قالت لي ملاطفة « انها لا تعرفك بعد . وستألفك تدريجيا » . غير ان الايام بدأت تكذب أمي فان ياسمين لم تغير موقفها مني ...

اما انا فقد سلكت المسلك الطبيعي في مثل هذه الحالة : أخت صغيرة لطيفة اقابلها اول مرة وأتعلق بها ، فأروح ابذل كل جهد للتعرف اليها والارتباط بها . وهكذا رحت اغمرها باللعب والاشرطة والحلوى وكل ما تحب ، وكانت شؤونها تلقى عناية بالغة مني . غير ان جهودي لم تزدها الا توترا ، فكانت تحفظ مسافة دائمة بيني وبينها تنظر الي في حذر وكأنني غريبة ، وبقي قلبها الصغير مغلقا ازاء مفاتيحي كلها لا يختلج بعاطفة واحدة من عواطف الاخوة التي اتفجر انا بها . وكان افراد اسرتنا يتأثرون حين يرون مجهوداتها كلها تفشل في اجتذابها ، ففي ختام كل محاولة كنت اسمع العبارة نفسها من ياسمين ترددها في عناد وتحد : « اذهبي ... لا اريدك » .

ولم اعدم تفسيرا للموقف . رحت اقول لنفسي ان الحب الاخوي ليس معنى نظريا بالنسبة لطفلة في الرابعة كما هو بالنسبة لنا نحن الكبار وانما لا بد له ان ينبت كما تنبت البذرة . وقد نشأت ياسمين في هذا المنزل طوال اربع سنين والفت افراده حتى القطة (سيرسي) . كانت ترى اوجههم كل صباح وتتلقى حنانهم ورعايتهم فبادلتهم الحب ورأت فيهم مملكتها الصغيرة السعيدة . ثم جاءوا بي فجأة وسألوها ان تدخلني في رعاياها . لماذا ؟ لانني اختها.

اهذا منطق مقبول عندها ؟ ان ياسمين لم تضع لي مكانا في مملكتها قط ولم تحسب لمجيئي حسابا . وهكذا وصلت متأخرة فاذا القلب الذي انتظرت منه صفاء الاخوة قد تحول الى حصن كتبت في مدخله كلمة (ممنوع) .

★

ماذا يصنع البعد بنا ؟ في اميركا حسبت انه يقوم بعملية محو بطيء لما حملناه معنا من عالمنا القديم . ولم يتح لي اذ ذاك ان ادرك الجانب الاهم من صنيعه بنا . ان البعد لا ينسينا وحسب وانما يضيف الينا أيضا . وقد كان اول من جعلني افطن الى هذه الحقيقة الهامة هو اختي العنيدة ياسمين. فاذا كانت السنوات الاربع الماضية التي قضيتها في الخارج هي كل رصيدها من العمر فان هذا يفسر معاملتها لي وكأنني غريبة عنها . ولكن ... ما مدى ما تفصلني هذه السنوات عن امي مثلا ؟ عن اياد ؟

انهم يحسبون اننا نكتسب كثيرا من حياتنا في الخارج، دون ان يتخيلوا الثمن الذي ندفعه . ان حياة البعد المنفصلة هذه ليست كلها مباهج ، وتكاليفها الشعورية في الغالب باهظة . بعضنا يدفعها في الخارج وبعضنا فيما بعد . اننا نعود الى الوطن وقد تغيرنا وتكونت في انفسنا طبقات جديدة اجنبية الطبيعة ترسب في خلاياها وجوه غير مألوفة ، واصداء عبارات من مجالس مجهولة ، ورؤى اماكن بعيدة ودروب تتلوى في مزارع تختلف عن مزارعنا ، وغرف في بنايات لا تشبه بناياتنا . لقد عشنا ماضيا له شوارع اخرى غير شارع الرشيد ، والفنا وجوها لا صلة لها بوجه اياد. وعلينا الان ان ننزع هذا الماضي من حياتنا نزعا قاطعا ، فليس من احد هنا يشاركنا اياه . كل ماض اخر لنا يستطيع ان يحيا في حاضرنا ما عدا ماضينا الاميركي هذا فنحن ملزمون بان نخلعه ونرميه في لحظة واحدة . ان اهلنا واحباءنا ينظرون اليه في ريبة وحذر تماما كما تنظر ياسمين الي . انهم يعتقدون ان علينا الا نتغير ، ويعاملوننا وكاننا لم نتغير . ويكون هذا اول ما يصدمنا ونحن ندخل المنزل ونبحث عن ارتباطاتنا القديمة . ونحاول ان نفعل ما يريدون ، فننزع ما فينا من اجلهم ، ولكننا سرعان ما ندرك ان هذا الماضي ليس ورقة ملصقة على سطح انفسنا بحيث يسهل نزعه . واذا نحن نزعناه ، افلن نكون اشبه بمنزلنا الحلو هذا اذا نحن قررنا في لحظة ان ننزع منه ياسمين ؟ ان ياسمين هي المعادل النظري لهذا التغير في حياتي . اليس عمرها اربع سنين ؟

ثم بدأ احساس اخر افظع ينمو في نفسي دون ان اشخصه او اناقشه . اتراني وحدي التي تغيرت ؟ اما تغير ابواي واياد ايضا ؟ لقد تسلل الزمن بيننا وفصلنا . وياسمين التي لا تريدني في البيت هي عنوان هذا الفاصل فهي تجسد في حياة اهلي كل ما لا اعرفه . وماذا اعرف؟ كانوا يحدثونني في رسائلهم عما يسمونه بالاحداث الرئيسية

وهي عادة اتفه الاشياء . اما الجوهر فماذا اعرف عنه ؟ اربع سنوات من الصمت ثم اعود فاجد ياسمين في الرابعة. ترى لو كان لهذا التغير في اهلي صوت اما كان يصيح بي « اذهبي .. لا اريدك » تماما كما تصيح ياسمين ؟

ولعله قد بدأ يصيح فعلا ... او هكذا حسبت .

★

مهما يكن فقد تعلقت بياسمين تعلقا يفوق التصور بحيث بات برودها ازائي يعكر صفائي ويشعرني بالغربة في بيتنا . وقد واصلت محاولاتي لتقريب المسافة بيني وبينها، وكنت احيانا حين تفشل اساليبي كلها في اكتساب صداقتها اشعر بالضيق فاقول لها في حنق :

ــ ياسمين . اني لا احبك ، هل تسمعين ؟

وكان يخيل الي ان موجة من الانفعال تسري في صفحة وجهها في هذه الحالات وان عينيها تختلجان لحظة ولكنها سرعان ما تتمالك وترد متحدية :

ــ لماذا لا تعودين الى اميركا اذن ؟ لقد قلت لك انك لست اختي وانني لا احبك .

وقد اخذت هذه المصاولات بيني وبينها تزداد يوما بعد يوم وتدخل احيانا طورا جديا . وكانت امي لا تخفي عجبها من انني لم اتعلم في الخارج ان اكون اقل عاطفية فامتلك القدرة على ادارة المواقف بدلا من الاستسلام لها . وكانت فوق كل شيء ، لا تدري كيف اكون قليلة الصبر الى هذا الحد . وقد قالت لي مرارا ان مسألة حب الطفلة لي لا يمكن ان تعالج بهذه العصبية وانما تتطلب شيئا من الجهد ريثما تألفني الصغيرة وتكف عن الشعور بانني غريبة في البيت . ولكني بدأت أضيق بملاحظات امي واردها الى « التغير » فيها . اتراني حقا غريبة هنا ؟

غير اني مع ذلك واصلت محاولاتي الودية دون ان يداخلني اليأس منها . انها اختي وانا احبها ولا بد لها ان تبادلني المحبة يوما . كنت اجيئها بلعبة بعد الظهر ثم اخاصمها على مائدة العشاء ، وكان يؤذيني اشد الايذاء انها تتقبل اللعب وترفض الاقبال علي . وكم مرة احتج ابي على انني اعكر جو المائدة باثارة معارك كلامية مع الطفلة . وكنت احيانا اغيظها بان اسحب صحنها من امامها فتحني رأسها وتسكت رافضة الكلام او التعليق او حتى الاحتجاج . وكان كل هذا يضايق امي التي بدأ صبرها يفرغ ولم تعد تدري كيف تحل هذا الاشكال القائم في الاسرة فلا ياسمين تحبني ولا انا اكف عن تعلقي بها .

والحق ان الصراع بيني وبين الصغيرة كان يشبه الحرب، وكان واضحا لكل فرد في البيت ان ياسمين تجد نوعا من اللذة في عبارتها « اذهبي ، لا اريدك » . واما انا فلم اعد اراها كما ينبغي ان ارى طفلة صغيرة مشاكسة وانما تحولت في نظري الى انسان مدرك يدري بما يصنع . باتت تلوح لي مبهمة، منيعة ، وكأن سنواتها الاربع جدران قلعة حصينة تفصل بيني وبينها وتتركني واقفة وراء الاسوار . بات عالمها يكبر ويكبر حتى يلوح لي وكأنه الدنيا . وكان يغيظني ان الاخرين لا ينظرون جديا الى الموضوع كما أنظر .. وقد يبتسمون و « يداهرونني » (١) مع اني متأثرة الى اعماق نفسي .

ولم اكن اعقد معها هدنة قط ، وكثيرا ما كنت امازحها باقتراحات مخيفة كان اقول : « ياسمين ! ما رأيك في ان اعطيك لهذا العامل الطويل واسأله ان يبنيك في الجدار ؟ انك ستلوحين حلوة هناك » او اقترح عليها ان اربطها الى المروحة الكهربائية في سقف غرفتي واتركها تدور ، ولعلها كانت تدرك ان هذا مزاح ، ولذلك كانت ترد ببرود وكان مزاحي لا يستهويها : « امي لا توافق » . وكانت امي تعاتبني على هذا المزاح غير الفطن مع طفلة في الرابعة من العمر . غير اني لم اعد افكر في ان اكون « فطنة » . كان برود ياسمين نحوي يغيظني حتى انسى ابسط القواعد . وهكذا مضت المعاكسات من الجانبين تزداد حتى ضج ابي بالشكوى وبات يقول انه لا يدري حقا أينا هي الطفلة انا ام ياسمين .

★

ومضت اشهر دون ان يتغير الموقف وبقيت مملكة ياسمين مقفلة في وجهي حتى جاء الصيف ووقع حادث مؤثر غريب لا انساه قط .

كانت ياسمين ترفض دخول غرفتي وقد فشلت محاولاتي في هذا الصدد جميعا . وقد حدث بعد ظهر يوم حار ان دخلت غرفة امي فوجدت الطفلة نائمة ، وكان التيار الكهربائي في المنزل قد انقطع لخلل فيه فتوقفت المروحة وعرقت الصغيرة عرقا شديدا لم احتمل ان اتركها تعانيه . وقد خطر لي ان احملها الى غرفتي التي تتصل بجهة من الدورة الكهربائية لم ينقطع التيار فيها . وتذكرت فورا ان ياسمين لا تحب غرفتي فليس من الحق ان استغل نومها لارغمها على هذا وقد اتهمت نفسي بانني استفيد من فرصة انقطاع التيار لاخذها الى غرفتي واسعد برؤيتها هناك ولو نائمة . غير ان وجود حجة ظاهرية تبررها مصلحة الصغيرة نفسها قد اسكتت صوت « ضميري » . ان كل ما اريده هو راحتها . وبعد افليس في امكانها ان تغادر غرفتي عندما تستيقظ ؟ اني لن اكون سجانا .

وهكذا كان ، ووقع الحادث المبهم الذي لم اصل الى تفسير مقنع له حتى اليوم . لقد كان واحدا من تلك الاحداث العابرة التي تلوح تافهة غير انها في الواقع ترتبط بصميم الاشياء في حياتنا وسلوكنا ، كما انها تترك فينا انطباعا عميقا ، وقد تغير مجرى حياتنا .

اذكر ان امي لم تكن في البيت في ذلك المساء فقد صحبت ابي في بعض الشؤون ، واحسبها لو كانت هناك لما وافقت ، حتى من اجل مصلحة ياسمين ، ان آخذها الى غرفتي وهي غافية ما دامت بيننا هذه الحرب . ولكن الصدف التي قررت ان يقع الحادث أبعدت امي عن البيت . لقد ارقدت اختي

(١) «يداهر» باللغة البغدادية يشاكس عامدا في محبة ودونما غرض سيء.

على سريري وجلست ارقبها في غبطة . كان وجهها مكتسيا بتلك الراحة المشرقة التي ترتسم على وجه طفل صحي نائم . وسرعان ما رحت اقرأ وقد اطمأننت الى ان كل شيء على ما يرام . وعندما انصرفت ساعة بدات استطيل نومها واتخيل انه امتد اكثر من المعتاد ، غير انني ردعت نفسي عن ايقاظها وقررت ان امنحها نصف ساعة اخرى . ولكن نصف ساعة اخرى لم توقظ ياسمين .. لقد استمرت نائمة .

وبدأت أضيق . اي نوم ثقيل ، يا الهي ! ورحت اناديها باسمها وامربيدي على شعرها محاولة ايقاظها ، ولكن بلا جدوى . وعندما لم تتحرك بدأت اندهش . فحملتها عن السرير واجلستها على ركبتي وانا أتوقع ان تفيق فورا وتصيح بصوت مثقل بآثار النعاس : « دعيني ! ـ لا اريدك» ولكن ظني لم يتحقق انما مالت الصغيرة برأسها في ارتخاء تام على كتفي وواصلت النوم . واعتراني قلق غامض عليها فجأة ورحت اشك في طبيعة هذا النوم الغريب ، ومن ثم فقد اعدتها الى السرير وذهبت ابحث عن اياد لآخذ رأيه في الموضوع . وقد وجدته في الحديقة يرش الاشجار . وعندما لخصت له القضية ابتسم ابتسامة ذات معنى وقال دون ان يلتفت كثيرا : « ماذا ؟ ياسمين ايضا ؟ لماذا لا تدعينها تنام قليلا ؟ انها تحتاج الى النوم » وقد غاظني تعليقه غير انني قررت مع نفسي أنه ربما كان مصيبا فقد لعبت الطفلة كثيرا ولعلها تحتاج الى مزيد من النوم .

وعدت الى غرفتي احاول القراءة من جديد على مقربة من الطفلة النائمة . ومضت عشر دقائق اخرى ثم لحظت شيئا اعاد الي القلق . لقد راحت حركة غريبة تختلج على جفنيها المطبقين وكأن البؤبؤين خلفهما يتحركان حركة دائرية وجسست كفها فاذا هي باردة كالثلج . ولم اعد اتردد . ان الصغيرة مريضة ومن الحماقة ان اردع قلقي. ورحت احاول ايقاظها من جديد واستعملت كل اسلوب فلم انجح .

واخيرا حملتها في اضطراب وغادرت غرفتي الى ردهة البيت وهناك لقينا اياد ، وعندما رآها مرتخية على ذراعي لاح على وجهه قلق حاول ان يكتمه فتقدم نحوي بلا تعليق وتناولها بين ذراعيه وجلس على اقرب كرسي وراح يلاطفها محاولا ايقاظها .

ولكن محاولاته لم تأت بنتيجة : لقد همس باسمها ، لقد داعب جدائلها ، لقد هزها من كتفها قليلا ، لقد اجلسها ، ... مددها ... سدى . ان ياسمين نائمة نوما غريبا يشبه الموت وهي ترفض ان تشعر بوجودنا ، وسواء عندها ارقدناها ام اجلسناها . وشعرت بالم عاصف يأخذ بنفسي، وخنقتني دموع ترفض ان تتحدر ولم اعد احسن التفكير. الم يكن الاجدر بي ان ادير قرص التلفون واستدعي طبيب الاسرة ؟ وقد كاد اياد اكثر جلدا مني فوضعها على ركبتي ونهض يستدعي اقرب طبيب . وفي طريقه الى الباب تطلع الى وجهي وحين رأى شحوبي قال لي في رفق : « لا تخافي اظنها مصابة باغماء .»

لا تخافي ! ايحسبني خائفة ؟ اني اوشك ان اجن . لقد حدث لها هذا لانني اخذتها الى غرفتي، واذا حدث لها شيء فسأكون انا المسؤولة ، انا التي احبها كل هذا الحب.

كانت الدقائق العشر التالية اهول لحظات حياتي وقد وتّر الانفعال الشديد خيالي فراحت صور شتى تتلاحق امام عيني في انتظام ، وبرزت الى سطح ذاكرتي حادثة صغيرة من طفولتي كان النسيان قد غلفها في ثناياه سنين طويلة فلم اتذكرها الا في تلك اللحظة الحرجة . تلك الدمية التي اشتروها لي وانا صغيرة جدا ، وكانت تتحرك بواسطة نابض في داخلها ، وفيما انا العب بها وارقب حركاتها توقف النابض فهمدت حركتها فجأة . لقد احسست برهبة غامضة تجتاح نفسي وكانني قتلت انسانا ، ولم افهم كيف وقفت الدمية فرحت ابكي صارخة في هلع واقبلت امي على صراخي فوجدتني في حال من الرعب يرثى لها . ماذا جاء بهذا الحادث الى ذاكرتي ؟ وتطلعت الى ياسمين الشاحبة شحوب الموتى واحسست بالشعور القديم عينه ، الحياة التي همدت وتوقفت حركتها بين يدي . اترى كابوس طفولتي قد تحقق ؟ انها ليست دمية هذه المرة وانما هي احب الناس واعزهم . وانبجست دموعي وراحت تتحدر.

ولاح لي وجودها على ركبتي مؤلما .. لقد كانت ترفض ان احملها عندما كانت مملوءة بحرارة الحياة فلأهنأ الان بها وهي هامدة زرقاء الشفتين . لقد كنت من الانانية بحيث آليت ان انال محبتها حتى لو كلفني ذلك ان اخونها وهي نائمة فأسرقها سرقة الى غرفتي . الا يجوز انها مرهفة الاحساس بحيث تمرض حين ترغم هكذا ؟ الا يجوز انها تموت بارادة خفية لا تفسرها تحليلاتي التي اظنها مفتاح كل لغز ؟ اتراني حسبت ان النائم لا يشعر بما حوله ؟ او ليس محتملا ان تكون شعرت بانها في غرفتي فتمردت بهذا الشيء الاغماء او الموت او ما لا ادري ؟

وبقيت الوساوس تأكلني ولم يبد على الطفلة اي لون من الوان الحياة . وفي هذه اللحظة سمعت صوت امي فأسرعت نحوها وقد لمع في قلبي امل عظيم . انها امي امها ولا بد من ان تنقذها . اذا كان حبي انا لا يقوى على ايقاظها فلا ريب في ان حب امي اقوى . وما كادت امي ترانا حتى تغير وجهها وادركت باحساسها شيئا خاصا قد وقع، وما زلت اذكر الرنة الغريبة في صوتها الهادىء وهي تسأل: « مالها ؟ » وجاء جوابي في صوت متوسل لا تفسر عبارتي نبرة البكاء فيه : « انها نائمة » ثم غصصت .

اكان وجود امي هو التأثير الفعلي في ان الصغيرة بدأت تعود الى الحياة ؟ لقد راحت تتنفس تنفسا عميقا اولا ما لبث حتى استحال الى تنهدات طويلة ونشيج محزن وآهات استمرت دقائق . ثم فاجأتنا بان فتحت عينيها الواسعتين فجأة وراحت تحدق فينا وكأنها لا تعرف ايا منا. واخيرا راحت تحدق في الفراغ فوق كتف امي تحديقا ماليا وما لبثت ان صرخت صرخة عالية طويلة ودفعت امي وبدأت تقف وتنظر الى اعلى مواصلة الصراخ. ـ في هذه اللحظة

العصبية انهار هدوء امي فضمتها وصاحت : « طفلتي تموت اركضي واستدعي الطبيب . » وركضت حافية الى حيث التلفون وعندما بلغته وقفت جامدة لا ادري ما اصنع . كان جسمي يرتعش وذهني فارغا . انها تموت اذن ..

وفي هذه اللحظة دخل اياد يصحبه طبيب من جيراننا في الحي . وافاقت ياسمين تماما بعد نصف ساعة وقد اخبرنا الطبيب انها كانت مصابة بنوبة صرع .

... ...

واما انا فقد شعرت باعياء شديد وانقباض فانسحبت الى غرفتي واغلقت بابها من الداخل . لم يكن في وسعي ان احلل شعوري غير انني كنت اعاني في داخل نفسي من شيء ما ، شيء لا استطيع تشخيصه ولا اظنني الفته . لقد وضعت رأسي على المنضدة وبكيت دقائق دون ان ادري لماذا تماما . ولم ادر ايضا كيف غفوت وانا في وضعي غير المريح ذاك ، ولكنني حلمت ...

كان المكان كبيرا شاسعا اشبه بمحطة قطار اميركية مما يوجد في المدن الكبيرة . وكانت معي حقائب كثيرة ثقيلة. ثم اقبل انسان لم اميزه في الحلم ووقف يكلمني دقائق . وحين ذهب والتفت لم اجد حقائبي . كان مكانها فارغا حين نظرت ، ولسبب ما اخافني هذا الفراغ ، ولاح معارضا للمكان الذي كانت تملأه حقائبي العديدة . ورحت ابحث في المحطة عن حقائبي ، اصعد سلالم واهبط أخرى ، سلالم تجري في دوائر كابوسية الطبيعة ، وكنت ارى حقائبي من بعيد كل مرة فأثق من انني سأصلها بمجرد ان ادورحول التواءة السلم . ولكن الدرجات كانت تنتهي فجأة بجدار يبزغ من الفراغ وينتصب امامي . او يسلمني السلم الى انحناءة لولبية هابطة تجعل حقائبي ابعد مما ظننت . ثم انتهي الى قاعة انتظار ويقف في طريقي حمال زنجي طيب فيدلني بلطف على حقائبي ولكني حين اذهب اليها عبر السلالم افقدها في اللحظة الاخيرة . ثم راحت الجدران تضيق وتتعاكس والممرات تتعقد وتطول والسلالم تشتبك وانا لا اصل الى اي مكان قط . وكان المكان مملوءا بالناس وكانوا يدلونني مبتسمين على الطريق ويساعدونني فلا يجدي هذا حتى فرغ صبري ورحت اتصبب عرقا ولم اعد استطيع الكلام . ثم دوى شيء هائل وكأن قطارين قد اصطدما . واستفقت .

كان كابوسا ولا شك بسبب التواء عنقي وانا نائمة على المنضدة .

غير ان البكاء والنوم اعادا الي شيئا من الهدوء وصفاء الذهن . وفي الدقائق التالية واجهت نفسي مواجهة حقة وقد بزغ امامي ادراك من ذلك الصنف الذي يغير الحياة احيانا . ان القضية قد اصبحت واضحة . انا مولعة باختي وهي لا تطيقني ، وقد بلغت الامور نهايتها العظمى هذا المساء وبات علي أن انسحب فورا قبل فوات الاوان . لا معاكسات منذ اليوم ولا حلوى ولا دمى ولا محاولات لادخالها غرفتي، الم يثبت لي بعد ان الصرع اهون عليها من صحبتي ؟

وماذا بعد ؟ هل يسرني حقا ان ارغمها ارغاما على ان تحبني ؟ وما قيمة اخوة لا تنبثق انبثاق الازهار حين تمس كؤوسها حرارة الشمس ؟ لقد رأيت ياسمين اول مرة فامتلأت بها نفسي وفاضت وتدفقت فلماذا لم تمتلىء نفسها بي قط ؟ لا ريب في أن اخوتي المبسوطة الذراعين كانت تتجه الى ثلج وانا لا ادري . ان ياسمين هذه ، على عذوبتها وجمالها ، مرمر جامد لا تحركه صداقتي ، وسدى أحاول اعتصار قطرة حنان من هذه الصخرة .

أنا عاطفية ؟ جائز . هذا ما تقوله امي على الاقل . ام تراني لا احسن معاملة هذه الطفلة الغريبة الاطوار ؟ لقد استنفدت الوسائل كلها وها انا ادرك انها عقدة مستحيلة ليس في يدي انا حلها ، .. انها حاجز مستعص لا استطيع ان اتخطاه ، اشبه بذلك الجدار الاصم الذي يبزغ من الفراغ من اعماق الحلم

وحين اقتنعت بان فهم ياسمين شيء مستحيل بدأت اشعر بالهدوء . انه ولا ريب شيء مريح ان نعلم ان مفتاح الاشياء المستعصية انما يكمن خارج حدود ارادتنا وجهدنا ، واللحظة التي نصل فيها الى هذا الادراك هي اللحظة التي تحررنا من سطوة تلك الاشياء ومن طغيانها وتأثيرها فينا . وهكذا بدأت احس بانني استقل عن ياسمين وخيل الي ان في امكاني ان افترض انها غير موجودة في المنزل وكأنها لم تولد قط .

وما كدت اصل الى هذه النقطة حتى شعرت بالسكينة تهبط وتبسط جناحها على روحي . ان في وسعي الان ان ابتسم . اني حرة .

★

وهكذا بدأت في حياتي المنزلية فترةجديدة فلم اعد اقترب من ياسمين او اكلمها لغير ضرورة محتومة ، وكان هذا صعبا في الايام الاولى فقد الفت ان انشغل بها كثيرا بحيث عز علي ان ابعدها عن تفكيري فجأة . غير اني واصلت هذا الفطام النفسي الصارم ورفضت ان اتساهل مع نفسي ، وما لبث الالم حتى بدأ يخف ويسير نحو التلاشي . واما ياسمين فلم يبد عليها ان اي شيء قد تغير في دنياها ، على العكس لقد باتت اوفر صحة ومرحا ولاح عليها انها مرتاحة لا ينقصها شيء . ومضى اسبوعان ...

وقد حدث في هذه الفترة ان صبية عزيزة من اقاربنا قد ابتلعت ، خلال نوبة ضحك ، دبوسا كانت تلعب به في فمها وما لبث الفحص الشعاعي حتى كشف عن نتيجة غريبة واذا الدبوس قد استقر في رئتها اليسرى وبدأ التنفس يصبح مؤلما . واستدعى الامر عملية دقيقة تجري في لندن فورا . ولم يكن اهل الفتاة يحسنون الانكليزية فوقعوا في اشكال وقصدوني يرجون في الحاح ان اصحبهم الى انكلترا لاجراء العملية . وجمعت حقيبة صغيرة على عجل ووجدتني بعد يومين في مطار بغداد المدني بصحبة الفتاة وامها .

وحين ازف الوداع ووصلت الى ياسمين ترددت : هل اقبلها كما اقبل الاخرين ؟

وتذكرت حادث الصرع فردعت نفسي واكتفيت بان اسلم عليها بعبارة صغيرة ثم استدير متأثرة . انها اختي على كل حال ومن السخف ان اعاملها هكذا في لحظة وداع . ومن يدري ؟ لعلنا لن نلتقي ثانية قط ؟ ولم ترد ياسمين على تحيتي وانما اخفت وجهها الصغير في كتف امي ولم ترفعه حتى غابت عن بصري .

لم تطل اقامتي في لندن اكثر من شهرين فقد نجحت العملية التي اجريت فور وصولنا ، بعد اجراء الفحوص الاولية ، وبتنا نرقب المريضة تشفى يوما بعد يوم ، وهو امر ترك لنا مجالا للتفكير في الشؤون الاخرى الاقل اهمية . وكان اياد يكتب الي مرتين كل اسبوع وقد لفتت اخبار ياسمين نظري . كان يخبرني انها باتت قليلة النشاط لا تتحرك كثيرا ولا تقبل على الاكل بشهية كما كانت . وسرعان ما ظهرت عليها اعراض الحصبة ، وكانت اصابتها شديدة ، وحين شفيت اصبحت كثيرة البكاء شديدة الالحاح على الاشياء الصغيرة حتى عجزت امي عن اعادة الاشواق القديمة اليها . وكانت هذه الانباء تؤلمني وتقلقني فأود لو كنت في بغداد لاساعد بشيء ما على ادخال الفرح على نفسها . وقد ادركت ادراكا عارضا ان صوتها وهي تردد عبارتها الثابتة « اذهبي ... لا اريدك ! » كان الطف من هذا الصمت الموحش في شرفة المستشفى الوطني بلندن . ولم يخطر لي قط ان الطفلة مستوحشة لغيابي عن المنزل وان وحشتها تبلغ هذا الحد ، فقد رايت من صدودها ونفورها ما جعلني لا احلم قط بان تودني يوما . لقد بات الوصول الى القمر في نظري اقرب منالا من ان نكون انا وهي أختين .

وفي ذات صباح تلقيت رسالة كبيرة من امي وجدت فيها تفصيلا لانباء هزتني ولاحت لي غير معقولة . لقد بدأت ياسمين تسأل عني وتتخذ غيابي ذريعة لمواصلة البكاء والالحاح على طلب الاشياء الممنوعة عنها . ثم انفجرت ذات صباح وقالت بلهجة عصبية انها لا تحب احدا في البيت بمقدار ما تحبني انا ، من امي ؟ من ابي ؟ من اياد ؟ من (سيرسي) ؟ وفي الايام التالية باتت تسأل بلا انقطاع عن موعد عودتي الى المنزل . ثم سألت في تفجر طفولي رائع ان يكتبوا الي ويخبروني بانها تحبني اشد الحب وتريد ان اعود الى البيت ...

اي وقع قد كان لهذه الرسالة في نفسي : لقد وددت لو طوي الاسبوعان المتبقيان من اقامتي في لندن لاعود وارى بنفسي معنى ان نكون انا وياسمين على صفاء . لقد عشت معها في صراع مستمر تسعة اشهر من اجل ان تحس بانني اختها وهاهي تتفجر اخيرا هذا التفجر الرائع .

★

[illegible]

لمحته وراء السياج بين المستقبلين . وتقدمت منها وتهيبت ان اندفع واحملها . وعندما ناديتها باسمها اخفت وجهها في كتف امي التي كانت تحملها ـ تماما كما فعلت يوم سفري ـ وقال لها اياد في انفعال : « ياسمين ! هاهي وداد قد عادت كما اردت .. سامي عليها . » ولم يجد هذا معها، ولم ترفع راسها . ووجفت نفسي . انها ما زالت تنفر مني ولا بد ان يكونوا خدعوني . ولكن لا . لقد عيل صبر اياد فتناولها بقوة من امي واسلمني اياها . ولم تمانع ، ولكنها اخفت وجهها في كتفي وابت ان ترفعه او ان تقول لي اي شيء . على انني لمحت طرف ابتسامة على صفحة وجهها . وانتبهت فجأة الى انها ، لاول مرة منذ عرفتها ، لم تصح « اذهبي لا اريدك » . وبدأت اهدأ واطمئن . الم اعرف بعد ان اصغر الاشياء وابسطها تعني بالنسبة لهذه الصغيرة القوية الشخصية اكبر المعاني ؟

لقد حملتها وركضت بها في المطار نحو الباب، نحو البيت وقد نسيت حقائبي كليا . ولم اخجل من سخف منظري وانا احمل هذه الطفلة واركض ، وفي المكان كثير ممن يعرفونني .

بغداد نازك الملائكة

تحيّة

« غادرنا منذ شهرين الى ارض المعركة ،الجزائر ، وكتب الي من ذرى الاوراس يقول :ـ ان الثورة في كل مكان في الجبل ، في الحقل ، في الشارع . ان ثورة الصين تنحني امام عظمة ثورتنا العربية في الجزائر ...فاليه .. الى اخي ورفيقي في دروب النهضة الدكتور (.....) هذه التحية »

***

يا حاملا فؤاده وسار
الى هناك حيث يصنع الرجال
احفاد طارق .. والداخل العظيم
تاريخ شعب أسمر عريق
الحاملون للدنى بالامس مشعل الحياه
هدية الصحراء للوجود
اواه يا اخي لو أن لي جناح
لو انني من بعض هذه الرياح
لكان ان رأيتني مع الرجال
دروبنا ستلتقي هناك
في ارضنا التي يموج فوقها الاسى
والدمع والدماء
ويزرع الفناء
في جرحها براعم الحياه

***

يا سائرا والعزم في عيونه أراه
احمل لهم .. لاخوتي هناك
دمي ... دم الرفاق حيث يوجدون
وعذرنا
فنحن لا نزال
عيوننا مشدودة الى السماء
نذب عن حقولنا جحافل الجراد
والبوم والغربان

فالوحش خلف سورنا يراقب الابواب
من راسه تطل الف .. الف عين
حمراء كاللظى
مريعة كليلة الشتاء
بالامس دمرت بيوتنا السيول
ولن يعود الامس .. لن يعود
سدودنا منيعة تشدها القلوب
والف الف قبضة تجمدت على السلاح

***

اواه يا أخي
انا هنا.. لكنني أحس انني هناك
في مسمعي يزمجر الرصاص
وفي الليالي حين تغرق القرى
بالنوم ... بالثلوج
والبرد في القرى شديد
أنا هنا في قريتي أراك
تلتف والرجال حول نار تسمرون
مفارز الاوراس عادت منذ حين
من جولة النهار ...
.... وقع الخطى على الصخور
تقودني.. لطارق.. لحمحمات الخيل
(في مسارب الجبال
الفافقي لم يمت فسيفه هناك

وذكره بالامس كان يرهب الكبار
ويحمل النعاس للصغار
بالامس .. اين الامس ؟جالت الخيول
باريز صمّت سمعها سنابك العتاق
وكان أن مضى ذاك الذي قد كان
فاستنسرت في أرضنا البغاث

***

لا لم يعد سيزيف عبدا يحمل الصخور
طيلة النهار للذرى
انسانه قد ثار
من كل قلب راقد على الثرى
يطل فجر كالندى
برقة الورود
يا جارح الورود
الشوك في الاغصان يدمي
والليل لن يقوى على خنق الضياء

***

اليك يا أخي في أي موضع تكون
في السفح في الذرى وفي الكهوف
تحيتي...
تحية الرفاق ها هنا اليك

ابو كمال شفيق الكمالي

مشاهدات وانطباعات عن

فترة الإحتلال الصهيوني لقطاع غزة

بقلم عدنان يوسف العلمي

اتيحت لي فرصة زيارة قطاع غزة بعد ان انعم الله عليه بانسحاب القوات الاسرائيلية من بعد احتلال غاشم دام حوالي اربعة اشهر وكنت موفدا من قبل ادارة فلسطين بجامعة الدول العربية لجمع البيانات والاحصاءات والمعلومات والصور التي تمثل فترة الاحتلال الصهيوني وما رافقها من اعتداءات وفظائع وخسائر في الارواح والممتلكات . وقد قضيت في القطاع ثلاثة اسابيع تيسر لي خلالها عن طريق المسؤولين في الادارة المصرية وبلدية غزة وخان يونس وفي وكالة الاغاثة وعن طريق بعض شباب المنطقة ، وبعد ان تجولت في القطاع ان اقف على حقائق ومعلومات وصور فوتوغرافية واحصائيات كانت نواة لكتاب جامع تزمع الامانة العامة لجامعة الدول العربية اصداره عن هذه الفترة البغيضة من حياة الامة العربية . وقد اصدرت مؤقتا كتابا مختصرا مدعما بالصور وعملت على توزيعه في معرض دمشق الدولي الاخير كما قامت بترجمته الى اللغة الانجليزية وارسلته الى نيويورك لتوزيعه اثناء انعقاد دورة الامم المتحدة الاخيرة .

لقد خرجت من زيارتي هذه بانطباعات ونتائج وحقائق رايت ان اجملها في بحثي هذا . ولن تفي هذه المعلومات بكل الغاية المنشودة لانها مجرد انطباعات من شخص زار قطاع غزه وهي تنعم بالحرية ، الا ان التجربة الحقيقية هي تلك التي عاشها من وجد اثناء فترة الاحتلال وخاصة من كان له شرف العمل الوطني في المقاومة الشعبية السلبية والايجابية . ومع ذلك رأيت انه من المفيد ان اكتب عما خرجت به من زيارتي هذه ، لان مجرد زيارة القطاع فرصة لم تتح الا للقليل من الشباب العربي المنتشر في وطننا الكبير كما ان كوني موفدا في مهمة رسمية وكوني احد ابناء غزه اتاح لي الوقوف على معلومات لم تتيسر للكثيرين ممن زاروا هذا القطاع (كما انني قابلت الكثيرين ممن عذبوا او ممن شاهدوا المآسي والكوارث وكذلك بعض شباب المقاومة الشعبية) اضف الى ذلك ايماني بان الدعاية ضد الصهيونية واظهار مدى فظاعة اعتداءاتها علينا يجب ان يبدأ به اولا في الوطن العربي وان يطلع على ذلك كل عربي لكي ينمو في نفسه حقد دائم على هذا العدو الذي فرض علينا وعلى ما اقترفه بحق عرب فلسطين خاصة والعرب اجمعهم عامة فمن الواجب ان نرضع اطفالنا كره الصهيونية وان نعلم ابناءنا اهداف الصهيونية وما جرته علينا من ويلات وكوارث كما نعلمهم مبادىء القراءة والكتابة وان يتناسب ذلك مع تطور مداركهم وعقولهم . فنحن ان لم نتعلم كيف نحقد وكيف نكون اعداء لخصومنا فلن نعرف كيف نحارب وبأي روح وبأي وازع وباية وسائل .

نظرا لما بينت في هذه المقدمة اردت ان اكتب هذا البحث ورأيت ان اضعه بشكل نقاط متعددة .

— ١ —

دخل اليهود قطاع غزه تنفيذا لمؤامرة ثلاثية غادرة ، دخلوه تظللهم الاساطيل الجوية الفرنسية والانجليزية ، وتمهد لزحفهم اساطيلها البحرية، ويخلي الطريق امامهم الاعتداء البريطاني الفرنسي على بور سعيد ، فوصلوا مدينة رفح في اول نوفمبر ١٩٥٦ ومدينة غزه في ٢ نوفمبر (وهو يوم ذكرى وعد بلفور المشئوم) ومدينة خان يونس في ٣ نوفمبر . ومن الثابت ان قوات فرنسية ساعدت في احتلال مدينة رفح فعزلت بذلك باقي قطاع غزه . وما ان استسلم القطاع اثر المؤامرة الثلاثية ونتيجة الغلبة في العدد والاعتدة حتى دخلت القوات اليهودية تبث الذعر في النفوس وتطلق الرصاص دون وعي وفي كل اتجاه فتقتل وتهدم وتشوه ثم تنهب النقود والحلي والمجوهرات والمأكولات والملبوسات فكان ذلك اسوأ بداية لاسوأ عهد عاشه قطاع غزة .

— ٢ —

أبرز ما يخرج منه المرء بعد اطلاعه على ما حصل عند احتلال القطاع واثناء هذا الاحتلال هو روح الشر والانتقام والحقد الكامنة في نفس كل يهودي والسيطرة على كل تصرفاته وخاصة عندما جوبهت هذه القوات بمقاومة باسلة في مدينة خانيونس من قوات الفدائيين والجيش الفلسطيني والجيش المصري . لقد سقطت مدينة رفح وهي تقع في جنوبي خانيونس صباح يوم ٢ نوفمبر ومع ذلك فقد استمرت خانيونس في مقاومتها الباسلة بشجاعة منقطعة النظير ، وقاومت جحافل الجيش الاسرائيلي حتى ظهر يوم ٣ نوفمبر . وهنا بدت روح الشر جلية في نفوس القوات الاسرائيلية فقصفت المدينة بمدافع طائراتها وبمدافع الميدان دون اي تمييز ، وما ان دخلت هذه القوات حتى ارتكبت ابشع انواع الفظائع التي يعجز القلم عن تصويرها .

لقد دخل جنود اسرائيل مدينة خانيونس وهدفهم افناء شباب المدينة خاصة الجنود منهم ، وكانت مجرد مشاهدتهم لاحد رجال المدينة في الشارع او على باب منزله كافية للقضاء عليه ، ولم يقف الامر عند هذا الحد بل توزعت فرقهم على منازل المدينة تبحث عن الشباب فيها وما ان ترى شابا حتى ترديه قتيلا دون اي تحقيق امام اهله واطفاله . ولم تكن تنفع معهم دموع وتوسلات النساء ولا عويل الاطفال ، وكانت بعض الفرق تجمع هؤلاء الشباب امام المنازل وفي الساحات العامة وتوقفهم في طوابير ثم تنهال عليهم برصاصها . وكان الضابط الاسرائيلي بعد ذلك يقلب اجسام القتلى فيكمل برصاصه على من لم يلفظ انفاسه بوحشية بالغة . وهناك عشرات من المآسي يندى لها جبين الانسانية على مر الاجيال . وارى ان اكتفي بسرد بعضها على سبيل المثال لا الحصر : فقد دخلت احدى هذه الفرق مستشفى المدينة فوجدت فيه ٣٣ مريضا في فراشهم فقتلتهم جميعا ، كما وجدت ثلاثة اطباء مصريين بلباسهم الطبي وعلى أذرعهم شعار الهلال الاحمر ، ومع ذلك اردتهم قتلى في ساحة المدينة ، ودخلت فرقة

منهم احد المنازل فوجدت فيه ٢٢ شابا مدنيا فاخذتهم الى الخارج واوقفتهم قرب جدار المنزل وانهالت عليهم برصاصها الغادر فأتت عليهم . ودخل بعض جنودهم الى منزل احد اعيان المدينة وهو شيخ طاعن في السن وله ابنان ، عمر الاكبر فيهما ٢٧ عاما وعمر الاخر ١٧ عاما ، فقتلوا الاول في عقربيته وامام والديه ، ومنعوا والده من تقديم الماء له وكان يطلبه وهو يلفظ انفاسه الاخيرة ، ثم اخذوا الاخر الى خارج المنزل ووضعوه مع ٢٨ شابا اخر وقتلوهم امام المنزل . ودخل بعضهم الى منزل احد اللاجئين وله ١١ بنتا وابن واحد وهو طالب في مدرسة خانيونس الثانوية فتوسل لهم الاب بان يبقوا على حياة وحيده ومع ذلك اجلسوه على كرسي امام والديه وشقيقاته واطلقوا الرصاص على عينيه فتوفي في الحال .

هذا قليل من كثير مما حصل في مدينة خانيونس التي بلغ عدد شهدائها ٤٥٠ شهيدا استشهد معظمهم بعد ان دخلت القوات الاسرائيلية المدينة ، وكانت غالبيتهم من المدنيين . وقد حدث ان رأت قواتهم ٢٥ جنديا مصريا بزيهم العسكري فقتلتهم في ساحة المدينة بالرغم من ان قائدها قد استسلم للقوات الاسرائيلية . ولم تكتف بذلك بل منعت الاهالي من دفن جثثهم لمدة ثلاثة ايام وكانت تجبر الاهالي على السير بقربهم .

اما في غزة فقد كانت الحوادث عند دخول القوات الاسرائيلية اقل من ذلك ، اذ ان غضبها انصب على مدينة خانيونس نظرا لما ابدته من مقاومة فائقة ولانها كانت موقع البقية الباقية من الجيش الفلسطيني . ومع ذلك لم يسلم اهل غزه وخاصة سكان مشارفها من فظائع الصهيونية . ومن امثلة ذلك ان فرقة منهم دخلت احد المنازل في طرف المدينة فوجدت فيه احد عشر رجلا فاخذتهم الى خارج المنزل واستبعدت احدهم وقتلتهم جميعا . وقال قائدها لمن استبعد : عليك بدفن جثث هؤلاء . ومن المؤلم ان هذا الشاب شاهد بذلك مصرع الده واقاربه بعينه .

كما حصلت حوادث اخرى مشابهة في معسكرات اللاجئين العديدة الا انها كانت على نطاق ضيق .

اما مدينة رفح فان ما حصل فيها يضاف الى سجل مآسي الشعب الفلسطيني الحافل بالضحايا والذكريات المؤلمة . فقد حصلت حوادث فردية عند احتلال اليهود لها في اول نوفمبر ١٩٥٦ . الا ان ما حصل فيها صباح يوم ١٢ نوفمبر يفوق ذلك بكثير : فقد اعلن اليهود بالمذياع ضرورة تجمع جميع شباب المدينة والمعسكرات من سن ١٥ سنة حتى ٤٥ سنة في مراكز معينة خلال نصف ساعة لعمل تحقيقات وتحريات ، فتسارع الشباب الى هذه المراكز المحددة . الا انه حصلت في ذلك اليوم عدة مآسي فبينما كانت زرافات الشباب تندفع نحو هذه المراكز كان الرصاص ينهمر نحوهم وحولهم للارهاب مما سبب قتل ١١ شابا كانوا متجهين نحو ساحة المدينة ، ومن المؤلم ان يكون اربعة منهم من عائلة واحدة ، ثم بعد ذلك انطلقت جحافل جيشهم تبحث عن الرجال في خيام اللاجئين ومنازل السكان . وكان الكثيرون بعيدين عن المدينة نظرا لاتساع رقعة معسكرات اللاجئين ولعدم سماع بعضهم للمذياع ولقصر المدة المحددة . وكان نصيب من وجد في منزله القتل رأسا دون اي استجواب ، بل انهم قتلوا الشيوخ منهم ممن لم يشملهم الامر . وقد امتلأت الشوارع والمنازل بجثث الضحايا ، وقتلوا في مراكز التجمع من كانوا يشكون في انه احد رجال فرقة الفدائيين وكانت مجزرة رهيبة ذهب ضحيتها ١٢٧ شهيدا معظمهم من الشباب . وقد اعترف بن غوريون نفسه بهذه الواقعة وذكر ان عدد القتلى كان ٤٨ شخصا ، وان سبب ذلك هو تمردهم على السلطات الاسرائيلية كما ذكر مدير وكالة الاغاثة ان عدد ضحايا ذلك اليوم بلغ ١١١ شهيدا . وسيرد ذلك عندما اسرد بعض ما جاء في تقرير وكالة الاغاثة عن هذه الفترة الكئيبة وهذا اليوم المشهود . ومن المؤلم ان السلطات منعت الاهالي من دفن جثث الضحايا عدة ايام لتبث الذعر في نفوسهم والضعف في معنوياتهم ولتدفعهم الى اليأس والرهبة والاستسلام .

— ٣ —

اما وسائل الاهانة والتعذيب التي استعملتها السلطات الاسرائيلية بعد ان استتب لها الامر في قطاع غزة ، فهي عديدة متنوعة وموغلة في الوحشية والقسوة . وقد كان هذا التعذيب ينصب على تلك الفئات التي كان اليهود يعتقدون انها كانت في الجيش الفلسطيني او في قوات الفدائيين او ممن كانت تتعاون مع الجيش المصري وممن عملت على اخفاء الجنود والضباط وتهريبهم عبر الصحراء الى الاردن .

وهذه الحوادث عديدة اود ان اذكر بعضها ، ومنها ما حصل مع احد سكان غزه ، وهو عمر الحلبي الذي كان يقوم بتوصيل الجنود الى الاردن فعلمت بذلك السلطات الاسرائيلية واعتقلته واستعملت معه اقسى وسائل الشدة وأشد انواع التعذيب لكي يعترف بعمله وبشركائه فيه وبأماكن اختفاء الجنود . لقد ضرب هذا الرجل ضربا مبرحا بالاحذية والكرابيج وسلط عليه التيار الكهربائي بعد ربطه بكرسي ثم اطلقت عليه الكلاب تنهش في لحمه وكان اذا ما اغمي عليه من شدة الضرب والالم صبوا عليه المياه ثم ضربوه ثانية . وبعد ذلك هددوه بالشنق بل انهم اخذوه الى غرفة الاعدام وربطوا الحبل حول عنقه ليحملوه على الاعتراف ومع ذلك بقي صامدا كالطود ولم يعترف وبقي سجينا يعاني الالام تنزف دماؤه وتتقيح جراحاته الى ان اخرجته قوات الطوارىء عند انسحاب اليهود من غزه .

وفي قرية دير البلح بحثت قواتهم عن محمد عبد الرحمن خليل احد افراد الجيش الفلسطيني ولما لم تجده جن جنونها واخذت تضرب والده وعمره ٥٥ سنة ليعترف عن مكان ابنه ولم يكن هذا يعرف مكانه وكانوا يترددون على منزله بين حين وآخر وعندما لا يجدون الابن ينهالون على ابيه ضربا ، واستمر الحال على ذلك عدة مرات الى ان توفي هذا الاب نتيجة الضرب المبرح ، كما ان والدته لم تسلم من الضرب والاذى والاهانة .

وفي معسكر النصيرات قبضوا على اللاجىء عبد الله جاد الحق وطلبوا منه الاعتراف بانه فدائي ، فانكر ذلك فانهالوا عليه ضربا امام بقية اللاجئين واستمر حالهم على ذلك بضعة ايام الى ان قتلوه برصاصهم امام جمع من الاهالي .

وفي غزه قبضوا على اللاجىء عبد الرزاق الفيومي بتهمة ايواء جنود مصريين فانكر ذلك وتعرض لانواع عديدة من الضرب والجلد والتيار الكهربائي وبقي في السجن ٤٥ يوما .

— ٤ —

لم تكن الفظائع قاصرة على الشباب والرجال بل تجاوزتهم الى الاطفال فقد قتل الكثيرون منهم عند احتلال القطاع ، فعند دخولهم مدينة غزه كان خوري الطائفة اللاتينية في غزه يقتاد طفلة صغيرة الى منزلها فاطلقوا عليها الرصاص وقتلوها وهي ممسكة بيده . وفي مدينة خانيونس وبعد سقوط المدينة كان اللاجىء محمد سعدون يسير وعلى ذراعه ابنه البالغ ثلاث سنوات فاطلق اليهود الرصاص فقتلوه واصابوا ابنه الطفل في ساقه التي بترت فيما بعد . وفي معسكر النصيرات وبعد الاحتلال

باسبوع كانت احدى السيدات تسير حاملة على ذراعها ابنها وعمره ٤ شهور فأطلقوا عليه الرصاص وقتل على ذراع امه .

وقتل بعض الاطفال والصبية وهم يلعبون حول منازلهم دون اي سبب فبينما كانت احدى دوريات اليهود تسير في معسكر الشاطىء بغزه شاهدت بعض الصبية يلعبون فقذفتهم بقنبلة يدوية فاصابتهم بجراحات مختلفة وكان نصيب الطفل حسن ابو حجر بتر ساقيه وذراعيه وعمره ٩ سنوات . كما استعمل اليهود طرقا جهنمية لايذاء الاطفال فقد نثروا في معسكرات اللاجئين الغاما صغيرة على شكل اقلام الحبر ما ان يفتحها الشخص حتى تنفجر في يديه فتقطع اصابعه او بعضها وقد حصلت عدة حوادث من هذا القبيل منها الطفل سليمان موسى في معسكر رفح والطفل داود ابراهيم في معسكر المغازي وهكذا خلفت قواتهم وراءها عشرات المشوهين من الاطفال الابرياء .

وكما لم يسلم الاطفال من ظلم اليهود لم يسلم الشيوخ ايضا فقد استشهد منهم العشرات ففي قرية بيت حانون دخلت القوات اليهودية احد المنازل ووجدت فيه ٦ شيوخ طاعنين في السن لم يستطيعوا الهرب من وجههم فاردوهم قتلى في الحال وفي مناطق اخرى اصابوا عدة شيوخ بجراحات وفي مدينة رفح واثناء يومها المشهود دخل بعض الجنود الى احد منازل اللاجئين فوجدوا فيه شيخا بلغ من العمر ١١٠ سنوات ومع ذلك اطلقوا عليه الرصاص واصابوه باصابات تسببت في بتر ساقه فيما بعد .

اما حوادث هتك العرض فبالرغم من قلة عددها الا انها سببت جراحات لا تندمل والاما نفسية لا تزول وأحدثت ذعرا لدى الاهالي وقد عرفت بعض الحوادث وهناك حوادث اخرى لم تعرف ولم ينتشر خبرها حرصا على سمعة الضحايا وعائلاتهم وسترا للفضيحة . ولقد اثبتت المرأة العربية حرصها المعروف على الشرف واستشهادها في سبيله . وابرز هذه الحوادث حادثة المرحوم الشاب صلاح اللبابيدي المعلم بمدرسة وكالة الاغاثة والتي ذهب ضحيتها هو وزوجته دفاعا عن شرف الامة العربية . ففي يوم ١٧ - ١١ - ١٩٥٦ طرقت فئة من الجنود الآثمين منزله الكائن قرب شاطىء بحر غزه ففتح الباب واتجه احدهم نحو زوجة الشاب يريد ان يغتصبها فقاومتهم هي وزوجها بكل ما لديهما من قوة جسمانية فلم يكن لديهم السلاح يذودون به عن عرضهم ولما يئس هؤلاء الجنود من نيل مأربهم الدنيء قتلوا الزوج واستمرت الزوجة في مقاومتها اليائسة الى ان قتلوها وسقط الزوج وزوجته شهيدين مضرجين بالدماء وحول جثتيهما ربض طفلاهما البالغان من العمر ٣ سنوات وسنة واحدة وبقي هذان الطفلان فوق دماء ابويهما حتى الصباح اذ لم يستطع الاهالي الوصول الى منزلهم بالرغم من سماعهم استغاثة الوالدين نظرا لنظام منع التجول وانتشار الجنود الاسرائيليين البرابرة وقد شاهد هذا الحادث الكولونيل بيارد Colonel Bayard رئيس لجنة الهدنة في غزه واحتج على ذلك لدى الحاكم اليهودي الذي منعه من اخذ صورة للضحايا والذي عمل بنفوذ الصهيونية المعروف على اخراجه من قطاع غزه واستبداله بغيره.

وقد حصلت حوادث اخرى في معسكر البحر بغزه حيث حاول الجنود الاعتداء على احدى اللاجئات التي رفضت ان تفتح باب منزلها فالقى اليهود عليها من نافذة المنزل قنبلة يدوية قتلتها وهي حامل في الشهر الثامن . وتكررت هذه الحوادث في نفس المعسكر مما جعل اهل المعسكر يعمدون الى تهريب نسائهم وبناتهم الى داخل المدينة والنوم في منازل الاهالي اثناء الليل كما قام اللاجئون واللاجئات بمظاهرة صاخبة توجهت نحو مبنى الحاكم العام هاتفة بسقوط اسرائيل وبن غوريون وعصاباته .

وفي المعسكرات الاخرى حصلت حوادث اخرى عديدة عرف بعضها وكان بعض الاهالي يذهب عند الحاكم للاحتجاج على هذه الاعمال فكان هذا يدعي انهم يبحثون عن الجناة او انهم انزلوا القصاص بهم وابعدتهم عن قطاع غزه

وكما لم يسلم الشيوخ والاطفال والنساء من فظائع الصهيونية لم تسلم ايضا الاماكن المقدسة ففي غزه قصف جنود اسرائيل دير اللاتين مع ان العلم البابوي كان مرفوعا فوقه ولا تزال اماكن هذا القصف ظاهرة حتى الان .

ان مثل هذه الحوادث العديدة ليست بمستغربة على شعب عرف بالغدر والخيانة والوحشية كما ان تعاليم التلمود اليهودي تتمشى بل وتأمرهم بارتكاب هذه الفظائع . فالتلمود يذكر ان اليهودي الذي يعتدي على امرأة غير يهودية فكأنه اعتدى على حشرة سامة وان دم كل غير يهودي مستباح وان على اليهود ان يقتلوا اعداءهم قبل ان يتكاثر هؤلاء عليهم وان كل من هو غير يهودي فهو كافر .

ان هذه الاعمال الوحشية تعكس صورة واضحة عن نفسية هذا الشعب وهذه العصابات وعن الحقد الدفين في نفوسهم والشر الكامن فيها والكراهية المتأصلة لكل من هو غير يهودي .

— ٥ —

اما بالنسبة لما رافق هذه الفترة العصيبة من اعتداء على الممتلكات ومن اعمال النهب والسلب فهذه وقائع عديدة يصعب حصرها وقد الفت لجنة في غزه لتسجيل وتقدير الاضرار والتلفيات ولعلها الان انهت مهمتها واعدت تقريرها الا انه مع ذلك هناك حوادث عديدة شاهدها الكثيرون

واصبحت معلومة كما ان السلب لم يكن قاصرا على اموال الادارة المصرية والدوائر المتعددة بل كان عدد كبير من الافراد رجالا ونساء واطفالا ضحايا لاعمال السلب والنهب . كما ان هذه الاعمال لم تكن تصدر عن الجنود كأفراد فقط بل كان هناك ايضا سلب جماعي ومن قبل نفس السلطات الاسرائيلية المسؤولة ، وبالاضافة الى ذلك ان بعض مخازن وممتلكات وكالة الاغاثة الدولية ايضا تعرضت للنهب والسلب والتدمير .

لقد حملت السلطات الاسرائيلية معها عند انسحابها كل ما وجدته في الدوائر الحكومية في قطاع غزه من مكاتب وكراسي وخزانات وسيارات بل انهم حملوا معهم المغاسل والادوات الصحية واللامبات الكهربائية كما حملوا معهم معظم مفروشات مدرسة الحكومة في خانيونس كما نهبت السلطات ١٤٧ الف جنيه مصري من البنك العربي في غزه ومن المضحك انها اعطت وصلا باستلام المبلغ لمدير البنك .

وكذلك لم تسلم وكالة الاغاثة من لصوصية اسرائيل . ففي معسكر دير البلح نهب اليهود مخازن التموين واتلفوا العنابر بعد ان نهبوا ما فيها . وفي خانيونس نهبوا بعض مفروشات مدرسة الوكالة وعندما احتج مندوب الوكالة على ذلك ذكر له حاكم المدينة انه لا يستطيع ارجاعها لانها شحنت الى تل ابيب . وفي رفح نهبت بعض المواد التموينية من مخزن الوكالة وفي معسكر المغازي دخل بعض الجنود الى العيادة الطبية فيه وسألوا المرض محمود ابو نصار عن مفتاح خزانة الادوية فانكر وجوده معه فقتلوه رأسا امام جميع المرضات وفي وسط مركز وكالة الاغاثة هناك ثم نهبوا ما كان فيه من ادوية وعقاقير .

اما عن خسائر الاهالي المادية فكانت عديدة فعند دخول القوات الاسرائيلية جمعت سيارات جميع الاهالي واستعملتها بضعة ايام ثم اعادت معظمها بعد اخذ بعض قطع غيارها وبعد اصابتها بتلفيات مختلفة .

كما نهبت بعض المحلات التجارية من قبل فرق الجنود الذين كانوا يحملون البضائع لانفسهم ولبلدانهم وبعض هذه المحلات تبيع الادوات الكهربائية كالراديوات او تبيع انواعا مختلفة من الاقمشة والخرضوات وقد نهبت عدة محلات من هذا القبيل وقد نهبت احدى الفرق محلا لبيع الاسلحة المرخصة واعطت صاحب المحل وصلا بأسلحة الصيد اما الاسلحة الحربية فانكرت استلامها ثم اتت على ما في المحل من بضائع اخرى غير حربية .

اما بالنسبة للمنازل فقد كان تفتيشها بقصد البحث عن الاسلحة والفدائيين فرصة سانحة للجنود للنهب والسلب فخسر الاهالي الالاف

الى طلاب الفلسفة

١ ـ تأملات ديكارتية

٢ ـ الفلسفة الوجودية

ترجمة : تيسير شيخ الارض

الناشر : دار بيروت

من الجنيهات والكثير من الحلي والمجوهرات والساعات والراديوات والملابس بل من المأكولات ايضا ولولا ان معظم الاهالي قد احتاطوا للامر واخفوا المجوهرات والنقود في باطن الارض لتضاعفت الخسائر وكان الجنود يبتزون اموال الناس بتهديدهم بالقتل واشهار السلاح في وجههم وكثيرا ما سلبوا الاطفال ساعاتهم والبنات حليهم ومجوهراتهم بعد انتزاعها قسرا منهم .

ولم تقتصر هذه الاعمال على المدن بل تجاوزتها الى معسكرات اللاجئين فقد نهب منهم اللاجئون الملابس والمأكولات وبعض ما وجد من نقود ومجوهرات قليلة وساعات وعندما اشتكى بعض لاجئي معسكر البريج للحاكم اليهودي من ذلك وبخهم وطردهم وذكر لهم ان من واجبهم ان يعتبروا كل ما لديهم حتى ملابسهم ملكا لجنود اسرائيل

ولم يكن الامر يقتصر على مجرد السلب والنهب بل كان يرافق ذلك الضرب والاهانة وتوجيه فاحش القول للاهالي عند نهبهم . مما يزيد من بشاعة الجرم ومن دناءة الوسائل .

وكذلك لم يقتصر الامر على السلب والنهب حبا في الكسب المعهود لدى اليهود بل ان ذلك تجاوز الى التخريب والاتلاف . فقد اتلفت واعدمت السلطات الاسرائيلية جميع سجلات وملفات الحكومة في غزه ومنها سجلات الطابو كما اتلفوا ما لم يستطيعوا حمله كالابواب وزجاج النوافذ وحرقوا واتلفوا الطرق المعبدة بجراراتهم ونسفوا اعمدة التلفون والكهرباء وكانوا اثناء تفتيش المنازل يعدمون احيانا الاوراق الشخصية الخاصة كالشهادات المدرسية وشهادات الخدمة والصور العائلية مما يدل على روح الشر والنقمة والايذاء عندهم .

ـ ٦ ـ

كان من نتيجة فترة الاحتلال هذه ان عرف الناس مدى الفوضى والفساد والرشوة والجوع لدى الافراد اليهود واول ما لاحظه الاهالي هو عدم تجانس افراد القوات الاسرائيلية في ملابسهم وتصرفاتهم وطبائعهم كما لاحظوا مشاركة المرأة الاسرائيلية في الحياة العسكرية وان كل من يعيش في اسرائيل هو جندي عند الحاجة اما مدى ما يعانيه اليهود من جوع وحرمان ، فقد بدا ذلك جليا من تصرفات هؤلاء فقد كان الجنود يلتهمون المأكولات بشراهة وينهبون المواد الغذائية وخاصة البن والسكر ثم السجائر كما ظهر ذلك من المحاولات التي قام بها افراد اليهود لتهريب هذه المواد وغيرها الى داخل اسرائيل ومنها الدقيق وكان الجنود يدخلون خيام اللاجئين ويشاركونهم في غذائهم وأول ما كانوا يبحثون عنه الدجاج والبيض وعندما استعطفت احدى اللاجئات احد الجنود بعدم اخذ دجاجاتها ذكر لها انه لم يتذوق طعم الدجاج منذ سبع سنوات في حين انها لاجئة ولديها دجاج . كما بدا للاهالي مدى الانحلال والتفسخ الخلقي عند اليهود وقد شاهد بعض الاهالي حوادث خلقية مشينة بين الجنود والمجندات .

اما الرشوة فقد كانت منتشرة انتشارا كبيرا وقد تمكن الكثيرون من الاهالي افتداء حياتهم او تجنب الشتائم والاهانات عن طريق دفع بضعة جنيهات للجنود او تقديم الاشياء العينية لهم كالساعات والملابس وغيرها بل تمكنت عائلات المعتقلين من الاهالي من توصيل المأكولات والسجائر للمعتقلين عن طريق رشوة الجنود بالمال وبغيره بل منهم من تمكن من الخروج من السجن نظير دفع رشوة للمسؤولين عن الاهالي او لعدم نسف منازلهم .

ـ التتمة على الصفحة ٧٨ ـ

نشيد الرخام والشمس

بقلم نقولا قربان

سنفونية الدم في الجزائر

الشجرة العظيمة في الجزائر سقطت اوراقها على قطيع الخنافس ، ولن يبقى هناك بعد اليوم اعشاش بلا شمس ، ولا ابواب ما غسلها نهر الدم ، ولا اقدام تصمت عن الرقص في اعياد الحقول .

★

جسد الشهيد هناك غابة ازاميل ، وجسد الشهيدة جبل نور ابيض ، وحتى الحروف تشرع جوعها على شهوة الحياة . اما جباه الطغاة فحتى الصبيان راحوا يحفرون عليها قصيد العدل والاحتقار .

★

ولقد رايت الدم في الجزائر كنول افريقيا البكر يغزل ما هو اقوى من الموت وأغوى من رائحة الحرير . ولا يمر هذا النول على ذراع الا احالها ضفيرة عطر ، ولا على جرح الا ويغدو من انهار الشمس .

★

تعالوا يا عبيد افريقيا واسمعوا سنفونية الدم ، تعالوا وغمسوا افواهكم في هذه المعصرة الرهيبة ! وليغزلن لكم نول الجزائر شارات الاخاء والثورة ، وعلما عظيما له ابهة جباهكم السمر !

الرفيق محمد الرسول

قال القدر : ترمّد يا ضمير الشرق ، وامحي يا اناجيل العراة ، وعلى جلود الصعاليك سنّني مناقيرك يا دهور !

فقال محمد : بل ترمّدي يا مناقير النسور !

وطلع من الشرق فارس كالشارد من جفني الصبية العذراء !

★

انه محمد الرفيق البسيط العظيم ، الذي رعى الغنم ، واكل مع الرفاق في قصعة الصحراء ، ونام على زنده بظل البسطاء .

محمد مرساة الحق ، ومعلم الثورة !

والذي سمّر السماء على حافر فرس زرقاء !

★

والذي مشى حافيا في عاصفة المطر والبرد والجوع .

محمد الذي اكل ثمرة الحياة ، وعب من لجتها حتى العكر .

هذا الضمير الذي يزنر الارض !

وهذا القلب الذي هو غابة فرح وقمح !

★

والجبين الشامخ الا على ضعيف ! والذراع الحاصدة الشمس ان لم تشرق في عيون الشيوخ ولحوم الاطفال !

الرفيق محمد الذي اكل بشهيّة الفقراء .

الرفيق الذي قاسمناه الزاد ونمنا على خصره في ليالي البرد .

ارغن ومدينة برد

ما عندنا « وجاق » مخملي في بيتنا ، ولا جديلة نار على ساق اختي ، وفي عينيها البحيرتين . ولا عندنا ستار ما اكلت منه الزمهرير ، ولا حجر واحد لم يعب منه البرد كما يعب من النبع طير البجع .

★

وكان بيتنا مرساة في خليج البرد ، ومجذافا مغبرّا وأرغنا بغير ألم ، وقنديلا ضوءه مكسور ، ونجمة تكدس على حضنها الثلج ، وكيدين انثاوين منطفئتين ، وكأنه ناب نمنا على حده الازرق .

★

وعلى رتاجنا وقف الدهر محزونا : فالعاصفة زنار الكون كله بغير تفريق ، فلماذا احتكار النار ؟! والثلج عباءة بلدتي كلها ، فعلام احتكار الدثار ؟!

وفي سقفنا وعلى رتاجنا وقف الدهر محزونا .

★

ولم يبق عندنا من الاشياء الحية غير الامل مرساة في

قلب اختي التي شل المستقبل عينيها كقارتين : فغـدا تنعقد يدان خصيبتان على وعد . على بلد بلا جوع ، ومدينة حنونة بلا برد . . .

ديكة وخيل عربية

أرضنا ليست بستانا للحديد ولحم الاطفال ، انهـا بستان الكرمة والزيتون . وعندما تنبت فيها قدما ابن النيل الاسمر ، سنضفر لجبينه اكليلا من غصون السلم ،ونهدل على صدره الف سلة زهر ونمر .

★

وشعر نسائنا ليس كفنا لاجساد الجنود ، ولكنه لصنع السفن المحملة بالموسيقى والخمر . اما مرفأنا فملعونة اليد التي تشعل فيه نار الحقد ، لانه مسرح خشب الغـار والاشرعة البيضاء . والى الابد ليستحمن اطفالنا في مرفأنا الابيض .

وهوذا الفجر مطل علينا بين صخرين شاهقين ، اذ يكون عيد لجماعة الطير والنحل ، ولقطيع الضأن ، وللانسان . يوم ينطق الناس بلغة واحدة ، ويعيشون جميعهم تحت سقف اخضر ، ويتفيأول علم الاشتراكية العظيم .

★

ويكون السود اخوة للبيض ، ولا يتغذى الغني بلحم الفقير . فييبس ضرع الافاعي ، وتجف برك الدم حيث تتلطخ اجنحة حمائم السلم . ويقدم فلاحو النيل لفلاحـي الارز ديكة وخيلا عربية ، وعلما مطرزا عليه شجرة الحرية .

نسيج العنكبوت

الشمس في الشرق نافذة يحجبها نسيج العنكبوت ، كما هي في افريقيا عين هر اسود . وفي كل فجر يقوم ثوار في بلادي يكتبون كلمة الحريـة عـلى زجاج النـوافذ القرمزية .

★

قد يقوى جبين على حمل موسم ثلج او ملحمة خريف او قمر فولاذ ازرق ، وقد يقوى كاهل على حمل غابة ريح وحجر ، وانجيل سمروه على صليب ، اما جثة العدل فانها عبء ثقيل .

★

ولقد مر جيل عبيد في الشرق يستبدلون الزجاج بنسيج العنكبوت ، اذ لم يكن لديهم اشغال شاقة غير قتال الوقت بالفراغ ، الفراغ الذي عاش في قلب المرأة ، ومع الحروف، وعلى شفاه رجال الدين .

★

ولكم علموا الاطفال ان يحملوا بنسيج العنكبوت ، وكم فصلوه ستائر لعوراتهم ، او سكبوه في معاجنهم وركعـوا يمضغونه مع القمح والصدأ ! ولقد احبوه حتى تخيلـوا الاغلال محبوكة منه فأحبوها كأنها نسيج العنكبوت .

نقولا قربان

ستكون الشمس عمودية

الظل الى جنبي الايمن

الظل الى جنبي الايسر

الظل ورائي . .

قدامي .

لا تبكي يا أمي

ان شمت ظلالا اربعة

من شفتي تصطاد الهمس

تحسب خطوي ،

وتلاحقني حتى الرمس

ورايت المطرقة السوداء على بابي

كالديك تنقر اعصابي

كالديك . . وتسكت اصحابي

وتسمم بالرعب الاسود

بيتي ومنازل احبابي .

لا تبكي يا أمي

ستكون الشمس عموديه

وتذوب ظلالي المحمومه

سأسير . .

اسير بلا ظل .

محمد سعيد الصكار سوريا ـ حارم

« فرفانيا »

جسد الجمهورية ...

قصة بقلم عبد الرحمن البيك

الى الذين يبعثون الروح في الجسد .. الى شعب في الجزائر ... يكافح

لفظهم الضباب فجأة ، كانوا موزعين على جانب الطريق بدون انتظام . فسادت بيننا موجة من الصمت ، وقد سكت هدير المحرك على حين غرة ، فلم نعد نسمع الا صرير الرياح وهي تخترق الجبال البعيدة التي تشبه انف جسد يتنفس ...

وهمس الرجل العجوز في اذني قائلا « من هؤلاء .. » . وحدقت مليا فيمن استوقفنا ثم قلت للشيخ .. « لقد وصلنا حدود المنطقة ، فاذا ما تخلصنا من اولئك الصعاليك وصلنا الجماعة » .

كانوا مدججين بالسلاح ، وكان بينهم شاب يتشح رداء طويلا وخوذة رمادية ، فسألت السائق عن حل ، ولكن وقته لم يتسع للاجابة ، فقد نزعه جندي عن المقود ثم ما لبث حتى عمم امره علينا بالنزول .

وبرحنا امكنتنا .. كنا خمسة اشخاص انا وسائق جريء وشيخ طاعن وامرأة قبيحة الشكل وطفلة اسمها منى . كنا نمثل دور الاسرة البريئة التي اجبرتها ظروف القتال على التنقل ، ابتغاء للامن وطلبا للطمأنينة . ولكن الواقع اوحى لهم بالشك .. فأمرونا بان نكشف غطاء صندوق السيارة .. فترددنا وتبادلنا النظرات متوجسين .. فقد كدنا نشرف على هاوية الفشل ، فاتبعنا اساوب المماطلة والتلكؤ .. ولكن ذلك زاد ريبتهم وقوى رغبتهم في تمحيص امرنا وتدقيق شأننا .. فنحزونا بالحراب وهددونا بالقتل ، واخيرا نزع السائق غطاء الصندوق ، ففزعوا مما شاهدوا وذهلوا مما رأوا . فاغمضوا اعينهم ثم تنافروا متباعدين وتفرقوا مشمئزين . واقتلعتني يد جندي من مكاني ، واذا بي امتثل بين يدي الضابط فاخذ هذا يسألني بالفرنسية .. بعضا من أسئلة، فهمت فحواها ولكنني اصطنعت الجهل، فأخذت اهز رأسي واقلب كفي وشفتي . مما زاده قهرا وغيظا ، فعاد يقول بأن لديه معلومات بشأن سيارة تحمل الذخيرة الى المحاصرين .. ثم اضاف بأنه لن ينخدع ولن يتوانى عن الضرب بيد من حديد على امثالنا من الاشقياء . واخيرا قلت له بالايماءة بان تلك الجثث التي انكشفت عنها الغطاء ليست الا حصاد معركة الامس .. ابي وبعض اخوتي وابناء جيراني .. كلهم ماتوا دفاعا عن مقدراتهم .. فمن الواجب والحالة هذه ان نقوم بدفنهم في جوار تلك التلال المخضبة بأشجار الزيتون ..

ولكن الضابط لم يصدق دعواي فأمر بتعذيبي ..

كان الضباب لا يزال ينسج غشاوته الكثيفة بيننا ، فاستطعت الافلات ، وفي حفرة الى جانب الطريق القيت بنفسي ، ثم اعتصمت في سكوت وصمت عميقين ..

وانطلق الجنود في أثري .. وراحوا يبحثون ويتقصون ، وكنت اشاهدهم من مكاني وكانهم الاشباح . وكان الضابط يصدر اوامره السريعة وهي ممرغة بالحمق والغيظ والغضب ولكنه لم يكن يحظى الا بصدى بعيد يتكسر على السفوح ..

التفت نحو اليمين ، فبدت لي السيارة وكأنها ظل رقيق، فخطر لي ان التجيء اليها وانطلق بها . ولكنني تذكرت امر السائق والرجل الطاعن والمرأة القبيحة والطفلة الصغيرة .. فأحجمت . وكان الجنود انذاك يتوافدون تترى نحو ضابطهم، يبلغونه فشلهم ويقصون حيرتهم ويزفون اخفاقهم واخيرا صاح الضابط بملء صوته ، ينذرني بتسليم نفسي ... فرددت السهول صوته وابتلعت حجب الضباب رنته حتى ضمتها اطراف السهول التي تموت عند سفوح التلال . فلما عرف انني لن اذعن لارادته اصدر امرا باعدام السائق والعجوز والمرأة والطفلة منى .

ارهبتني الفكرة ، وافزعني هول نتائجها ، فازدادت ضربات قلبي وتصاعد الدم الى وجهي حارا، فترك اثرا يشبه الصفعة الشديدة ، فترددت ولكنني ما لبثت حتى عزمت على امر !! ...

كان السائق شابا لطيفا ، كنت اعرفه منذ نعومة اظافره، فقد نشأ في القرية نشأة اليتامى ، فقد افتقد ابويه حينما اخلت قوات الاحتلال القرية من سكانها . اما الرجل العجوز فقد كانت حياته انموذج نضال .. افتقد ابنه قرب وهران، وكذلك والده في مدينة الجزائر ، فعاش متنقلا بين جماعات الثوار ، يربط بينها بالخدمة ، ويوثق بينها بالتفاني حتى استقر في قريتنا منذ امد ، وكأن الزمن احاله على التقاعد فلما طرحت بالامس فكرتي على بساط البحث نالت اعجابه وتطوع للقيام باعباء المهمة . اما المرأة فهي فاقدة الابوين والزوج ، كأي امرأة جزائرية عاشت في حمأة النضال ، وعرفت طعم الحياة التي لا هناء فيها الا بالدفاع عن الحياض والذود عن المقدرات . وقد كانت تتمنى ابدا ان تلقى حتفها

بعد ان تؤدي خدمة جليلة للوطن . واما منى .. وهي تلك الفتاة الصغيرة التي رافقتنا ، اتماما لعناصر التمثيلية التي جعلناها ستارا لعملية عسكرية ، فهي ابنتي ... عرفتها منذ نعومة اظافرها ايضا فتعلقت بها وتعلقت بي . كانت امها قد لقيت حتفها في الحقل .. حينما مرت سيارة فرنسية ، تقل تلة من الجنود ، فسألوها امرا شنيعا .. فمنعتهم .منعتهم بكل ما كان لديها من غيرة شرف وقوة ايمان وجذوة نبل وشيمة اخلاق ، فبقروا بطنها .. وتركوها تحت الشمس التي شهدت ذلك وبين احضان الرياح التي زأرت وكأنها جسد اقشعر وبدن ارتجف ..

وبعد حين ، أفقت فسمعت من جديد انذارات الضابط تشق عنان الفضاء ، فانفطر قلبي حزنا وامتلأت نفسي كآبة .. ولكني لم أذعن .. فقد رنت في أذني صيحات ثلاثمائة مجاهد ، مقيدين بين الصخور بحصار مكين .. انهم لا شك متلهفون للسلاح كي ينطلقوا من عبودية ذلك الطوق الذي ضربه الفرنسيون حولهم وأمعنت النظر في الضباب ، فتكسرت حجبه ، وتلاشت سدوده واذا بي ارى قافلة الاموات تساق الى حتفها .. السائق ومن خلفه الرجل العجوز ثم المرأة ومعها ابنتي منى .. آه .. منى ليتهم تركوها .. بل ليتني فديتها بنفسي ولكن هذا لن يحل المعضلة ، ان النصر بحاجة الى اكثر من طفلة ..

وابتعدت قافلة الاموات عن انظاري ، ودوى صوت الضابط من جديد ، ولكنه لم يفلح في استمالتي ، وأخيرا خاطبني السائق بملء صوته ورجاني ألا اذعن .. وكذلك فعل الرجل العجوز والمرأة القبيحة الشكل . اما ابنتي منى فقد صاحت « بابا ... بابا ... » .. فبكيت ، وقد تلهفت لان اسمع منها مزيدا من الكلام ولكنها لم تعاود النداء .. فقد سكت ثغرها الوردي الذي كنت أقبله كل مساء ... اجل بكيت كثيرا بينما كنت أتسلل نحو السيارة وهناك وجدت جنديا يقوم بحراستها فأمسكت عن النشيج واقلعت عن النحيب ثم رميته بحجر وصعدت السيارة وجلست خلف مقودها . وقبل ان اغادر مكاني اخرجت رأسي من النافذة ، فرأيت ظلالا مرصوفة الى جانب الطريق يقابلها ظلال اخرى تسدد البنادق .

وأدرت رأسي الى الامام فوجدت امامي قطرتين من الدمع تقتربان مني وكأنهما موج اليم .. ولكن النشيج ذرفهما على حين غرة ، فحسبت نفسي انني نجوت من الغرق .. فقد كنت غريق الجهاد .. غريق النضال ، غريقا يبحث عن قارب له فيه ملكية شرعية .

واخيرا دوت طلقات البنادق في الارجاء ، فأدرت محرك السيارة خلال انتشار أزيزها ، فلم تنقل الرياح خبر فعلتي فشكرتها انها لم تخن .. انها ايضا تجاهد من اجل الاستقلال .

ولما انطلقت بالسيارة ، اخترقت حاجزا خشبيا ثم انحرفت نحو التلال خلال درب ملتوي ..

ولما وقفت بالسيارة ، القيت نظرة نحو الخلف فشاهدت سحابة كثيفة من الضباب تغطي الطريق وكأنها القبر .

اما في إطراف السفوح الصاعدة في شموخ نحو قمم تعانق السحاب ، وفي ضفاف النهر العابس الهادر ، وفي جنبات الحقول الباسمة ، فقد رأيت جسدا يتحرك ليأخذ مكانه تحت الشمس .

وأخيرا نزع المجاهدون الجثث فانكشف لهم السلاح فتوازعوه وانتظروا الليل .. فالليل يعمل بجانبهم من اجل الاستقلال .. كالرياح .

وعند الافق الذي ابتسم عن اشعة الشمس رأيت وجه ابنتي .. وعبر صفير الرياح سمعتها تنادي .. « بابا .. بابا .. »

حلب **عبد الرحمن البيك**

أدب للامبالاة ... أدب للشماتة والعقوق !

بقلم رشيد سليم الخوري « الشاعر القروي »

حين اخرج الاستاذ وديع ديب كتابه « الشعر العربي في المهجر الاميركي » كتب الشاعر الاستاذ جورج صيدح مقالا يرد فيه على ما ورد في الكتاب من آراء خاطئة ، ولا سيما ما يتعلق منها بالشاعر القروي ، الاستاذ رشيد سليم الخوري . ثم نشر الشاعر القروي نفسه تعليقا في صحيفة بيروتية لم يرق للمؤلف الاستاذ ديب ، فكتب اليه يعاتبه في رسالة خاصة .

وقد رد الشاعر القروي على المؤلف ردا مسهبا تناول فيه قضية الشعر القومي العربي كلها ، وطبع هذا الرد في كراس ارسله الى بعض اصدقائه ، فرأت مجلة « الآداب » ان تنشره فيما يلي تعميما للفائدة ، وتقديرا للروح المخلصة التي املته :

عزيزي الاستاذ وديعا

تحية الاخاء . وبعد تسلمت رسالتك ومؤلفك في آن وشكرت لك ما جاء في الرسالة من رقيق الحديث . وما نثرت في تضاعيف المؤلف من شذور الثناء على بعض ما استشهدت به او اشرت اليه من شعري . اما ما ساءك من مقالي المنشور في «الجريدة» فآسف انك حسبته موجها اليك بالذات ، وانما انا كنت قد قرأت عدة كتب تبحث في الادب العربي صادرة عن دور اجنبية مريبة ، وتستحق اكثر من السهم الذي رميت .

بيد ان تقتي باخلاصك ، واخلاص الكثيرين من ادبائنا الكبار امثالك ، لا ينفي استغرابي الممزوج بالالم ، ان في ابحاثكم ما يشبه ويدعم ابحاث من عنيت . انكم مثلهم تعلمون بنقدكم الخاطىء ، على صرف اذهان النشء عن واقع امرهم ، وتبغضون اليهم او على الاقل ، تزهدونهم في الادب القومي الذي لا غناء لنا اليوم الا به ، فانما نحن احوج الى ادب يخشاه المستعمرون ، لا ادب يكونون هم اول ناشريه والداعين اليه والمروجيه . وبالاختصار انكم تهملون كل الاهمال ما يجدر بكم ان تعنوا به كل العناية . فأنت . كسواك من معظم مؤلفي الكتب في الشعر المهجري ، قد حشدت في كتابك ما حشدت من الامثلة على الحنين والغزل والتفلسف والامومة والتصوف وما الى ذلك من النواعم . ولكنك اعرضت اعراضا تاما عن الحماسيات . ولم تقدم شاهدا واحدا من هذا الشعر الذي بصدوره عن القلب ودفاعه عن انبل مطالب الحياة يحقق شرطين جوهريين من شروط الشاعرية . وقد بلغ بك ان تجانفت عنه حينما اتفق دنوك منه كأن فيه برصا فانك لما ساقك المام الشعر المهجري بالطقوس الدينية ، الى ايراد مثل من قصيدتي « وداع تنديل » جئت بهذا المخمس :

فقل لمن ضلوا سبيل الهدى
وضاع فيهم كل نصح سدى
يا وطني منك نفضت اليدا
فمن يحاول عنك دفع الردى
حاولَ امرا دونه المستحيل

ثم قفزت منه الى مرادك فاظهرت الشاعر ، وتركت القارئين معه ، في هذا التشاؤم اليائس واكلت عليهم المخمس التالي الذي جاء فيه الرجاء والبرء والعافية :

لا ! لا ! ستحيا رغم انف الزمن
بل انت حي رغم هذا الكفن
ما دام حر واحد في الوطن
فهو بهذا الحر حر وان
عاش به مليون عبد ذليل

ولو انك يا اخي وديع قاطعت الشعر الوطني مقاطعة سلمية فحسب ، لهان الخطب . ولكنك ابيت الا أن تشهر عليه حربا باختيارك منه ما استعبت ، واتخاذه جسرا للهجوم على ناظمه بلواذع الكلم . فهل ذكرت من هذا الشعر الذي يسمع بلادك المستعبدة صوت الحرية ، والذي يعمر به ديواني البالغ الف صفحة غير بضعة ابيات وجدت فيها مغمزا لقناة او مجالا لتعريض ؟ ألم تشح عن كل ما في عينية « سلطان الاطرش والتنك » من الفن الذي طالما اعجب اقرانك ، محاولا تدمير اقوى ابياتها التي آسف انك لم تحسن تأويل المراد من مخاطبتي السيد المسيح فيها على هذا الشكل المستثير المستنصر ؟

احبوا بعضكم بعضا وعظتنا
بها ذئبا فما نجت قطيعا
فيا حملا وديعا لم يخلف
سوانا في الورى حملا وديعا
الا انزلت انجيلا جديدا
يعلمنا اباء لا خنوعا
اجرنا من عذاب النير لا من
عذاب النار ان تك مستطيعا

فهل من دليل على صدق هذا الشعر انصع من تهافتنا على اقدام هذه الدول الغربية التي تحتقرنا واستمرارنا على احتمال صفعاتها المتوالية بروح فقدت كل اباء ؟ وأي خير وأي جمال ترجو الانسانية على ايدي ادباء يجبنون عن ذكر مآسيها فيتغاضون عن الظالمين ويغذون بأدبهم الافيوني روح الاستعمار ؟

انما مثل هؤلاء المتمسيحين مثل اخوة لا همّ لهم غير المناقشة في الدين ، ولهم اخ يكدح لعيالهم ويحمي ذمارهم . فبدلا من الاعتراف بجميله راحوا يعيرونه بالهيام بالدنيويات والميل الى الشر والخصام ...

ثم او لم تسدل الحجاب على ٤٢ بيتا من قصيدة «وثبات العقول» لتبرز لقارئيك هذا البيت الوحيد الذي لم يعجبك:

ان يكن صاحب القداسة سفاً
حا فماذا تريد من غير صاحب

لانه حسب تعبيرك الحرفي « يدل على تطرف في القول تأباه النفوس » . وتساءلت « هل يجوز ان ينعت قداسة البابا بمثل ما يزعم » ؟

اني بدوري اسألك نفوس من تعني ؟ االذين يؤلهون البطاركة والبابوات ويعصمونهم عن الخطأ . ام الذين لا يعبدون غير الله والحقيقة ؟ وهل يجوز لقداسته في شرع المسيحية التي يجلس على عرشها ، ويعتصب بتاجها ، ويحمل صولجانها . ان يبارك مدافع السفاح ، ويشاركه في البغي على امة ضعيفة عزلاء مسالمة ، ومسيحية مثله ايضا ، هي امة الحبشة ؟ واذا جاز هذا لقداسته ، فلماذا لا يجوز لخاطيء مثلي ان ينعته بعمله ؟ ومتى كانت تسمية الشر باسمه شرا من الشر نفسه ؟

انا لا احتاج الى من ينبهني الى قساوة هذا البيت وكثير مثله في شعري الوطني لاني ما نظمته الا وانا اريده واعنيه. ولاني في معرض الذود عن امتي المهددة بالفناء ، لا اصنع شعرا اهمم به في رؤوس الاطفال ، بل ابريه سهاما لقلوب الطغاة المعتدين ولكل راض عن طغيانهم ساكت على اعتدائهم ، ولاجلد به ظهر كل اديب يزدرع حشيش الادب ، ويتاجر به ، ويعاطي النشء البريء سمه الزعاف .

ثم لماذا تبرر غضب المسيح ولا تبرر الذين يهتدون بهديه ويحتذون مثاله ؟ لئن « آذاه ان يرى بيت الله مغارة لصوص كما احتججت ، فنحن قد آذانا واطار صوابنا ان نرى مسقط رأس هذا الاله .. ومدفنه وكنيسته ، لا « متجرا للخنا والسلب » فقط ، بل ماخورا تفعل فيه افظع ضروب الافاعيل كما يشهد تاريخ فلسطين الحديث.

ترى اذن ان الجريمة التي اسخطت صاحب الموعظة على الجبل ، وافقدته صبره ، فألهب ظهور مقترفيها بكرباجه ، لم تنته بصلبه . بل هي لا تزال حتى اليوم عاملة على محق المؤمنين به ايضا من الوجود – اذا استمرت غفلتهم – والقضاء على دينهم ودنياهم معا . فاذا كان عذر الناصري يقوم على الركن الروحي وحده ، فان عذر اخيك الشاعر يقوم على الركنين ، الروحي والزمني كليهما . والاخير عندي هو المراد . فانني ما عرضت قط في شعري لدين او لكفر كباحث في العقائد ، بل مسخرا اياها للبلاغ الوطني الذي وقفت عليه معظم ادبي وحياتي .

سلام على كفر يوحد بيننا
واهلا وسهلا بعده بجهنم

ولو انك اطلعت بامعان على ديواني الذي وزعت منه على عشرات المكتاب والمعاهد العلمية عندكم ، قبل ان تطبع كتابك بسنوات ، لصححت فضلا عن رأيك فيَّ هذه الامثلة من شعري التي نقلتها عن الذاكرة او الصحف مشوهة تشويها محزنا ولانكشف لك ان الحقيقيين بنقدك ، انما هم أولئك الذين ورثوا التعصب الديني عن اب وامّ ، فتقولبت عقولهم الطرية على احذية الصينيات ...اولئك الذين يتمنون يوما كما نتمنى لو كانت لهم امام محكمة الضمير والوطن والتاريخ ولو قصبة مرضوضة من العذر يتكئون عليها ... اولئك الذين لم يغضبوا قط لما طالما اغضب ربهم ... اولئك الذين لم يفهموا من انجيل محبته سوى التغاضي عن فظائع الغرباء في اوطانهم . والصفح عن الذين يقتلون اخوانهم بالجملة . فاذا رأوا خنصرا عربية تشير الى اشباحهم المتألهة توهموها سبابة ... فنصبوا للجرس الخفي آذانهم وهموا بالهجوم .. ترى اذن يا صديقي انها رسالة الحرية الفكرية ، والجرأة الادبية ، والغيرة الوطنية ، التي مع كل تطرفنا المزعوم منك ، لم نبلغ فيها حد الضرب بالكرابيج في الهياكل ... هي التي املت علينا ما انكرت .

واننا لنعجب كيف خطر على بالك اننا اقتبسناها من تعاليم نيتشه او غيره من الغربيين ، وعندنا المعلم الذي صاح في وجوه فريسيي زمانه « يا اولاد الافاعي » .واخوه الذي هتف بعده بستة قرون «قل الحق وان كان مرا » اننا عن هذين المعلمين الاكبرين اخذنا . ولسنا نتطلب من اي اديب عربي ، لكي يتتلمذ لهما معنا ، اكثر من ان يساوي وطنه بدينه ومذهبه ... وان يضع امته وبلاده موضع اسرته وبيته . وهذا كل السر في الفرق بيننا وبين الذين ينقمون منا غلونا في الوطنية . اذ كيف تنتظر من امرىء ان يغضب وهو لا يشعر انه اهين ... او ان يقاوم وهو لا ينذر بعدو .

ولقد حضضتني يا اخي الوديع في رسالتك على ان اعد العشرة ... لانني اثور كلما خضت في حديث امتي السعيدة المظلومة المشردة في البراري . فما بالك لم تعد الخمسة قبل ان تسمع في شهادة الغيبة والجهل . وتقذف على ثوبي الناصع دستة من بيض الظنون المذر .. وانا لم أسيء اليك او الى امتك امتي قط ؟

القروي جرفته القوافي في تيارها ... القروي استهواه تصفيق المنابر ... القروي ما نظم الكثير من شعره الوطني الا وفي نفسه شوق الى اعتلاء المنابر وتصفيق الناس ... القروي يستدرجه المنبر الى ما يرضي عباد المنابر الخشبية .. القروي في شعره تطرف في القول تطرفا تأباه النفوس.. القروي يميل الى مجاملة الخاصة وارضاء العامة وتهريج النقاد ... الى غير ذلك من التهم الباطلة ، والتجنيات الجائرة ، حتى ليستغرب المطالعون تخصيصك القروي بهذه الشدة في نقدك . فبعض يكاد لا يخفي ريبته في عدم تحيزك ، وبعض يغالي فيقول كأنك لم تؤلف كتابك الا لتشن هذه الغارة علي . وانك ما تداركتني بسفة من السكر في

تقريظك الا لاستسيغ ما جرعتني من الخروع في نقدك.. اما انا فاني لم يخامرني شك في نبل شعورك نحوي. وعذرك عندي انك قصرت التشنيع على ابيات معدودة اكرهتني بعض مواقفي تجاه الاستعمار على ان المس فيها وتر الدين ... وأتصدى لنزعة روحية قد يكون لها في نفسك جذور عميقة. واليها مرد حملتك المتطرفة علي. ومثلك كثير من خلص اخوان الادب الذين يحسون احساسك ويمضهم من هذا الشعر ما مضك. ولولا الكياسة التي يفرضها عليهم ادبهم وثقافتهم لما اختلفوا في هذه النعرة من عامة الناس. وانا اعرف هذا الضعف فيهم فأعذرهم وأحبهم كما اعذرك وأحبك.

ولكن اذا برأتنا هذه النزعة الموروثة من سوء القصد، فان تاريخ جهادنا القومي لن يبرئنا من عبوديتنا السياسية. وعلى الدين الصحيح والادب الصحيح ان يتعاونا على تحريرهما من كلتيهما.

ان الامة العربية واستقلالها وبقاءها ومثلها غيرها من اخواتها الشرقيات الرازحات تحت نير الغرب، لاهم عندي بكثير من رجل فرد يقيم في عاصمة الرومان. انا عرضت بانسان من اجل مبدأ، من اجل امة منكوبة، من اجل سلام الانسانية التي تبشر انت اكثر مني بخيرها وسعادتها. وانت ذممتني علنا من اجل انسان، مهما سما قدره، فانه يخطيء ويصيب كسائر الناس... وقد اساء قبلي الى نفسه باساءته الى ذلك المبدأ وتلك البلاد وهذه الانسانية. فما اعظم الفرق بين حملتي وحملتك يا اخي. وما كان اقربك الى العدالة لو انك حولت عظاتك الى الذين تهز رياح البغي جبالهم ولا تهز الريشة.. التي بين انامله... ولا يثورن كالعاصفة الا على من يثور من اخوانهم على الظلم ويكافح الاستعمار وينشد الحق السليب ويذود عن الحمى المستباح.

وما كان اولاك بأن تقول معنا للذين يسمون دفاعنا هجوما، وتظلمنا ظلما، ويعدون كل هبة ريح ساكنة منا تطرفا: الا ساء ما تتصورون يا اخواني وما تحكمون. لئن كنتم تترفعون عن التعاون مع حمقى الوطنية امثال فرحات والقروى، فدعوهم على الاقل وشأنهم. لكم دينكم ولهم دين. واذا غنيتم ورقصتم في جنازة احبابكم واحبابهم، ولم تحترموا المهم وحزنهم، فلا تضاعفوهما بعزمكم عليهم ان يغنوا ويرقصوا معكم. او تميلوا عليهم بالسخرية والتانيب وتحكموا سفاهة وجهلا بالاعدام على حماسياتهم النابضة بالحياة، والتي تبقى ولو كرهتم، ما بقي للنقد النزيه وجه لم يشوهه التعصب والهوى، وما دام للحق والحرية والعدالة انصاب قائمة في ساحات المدن وصدور الناس.

الا ساء ما تتصورون يا اخواني وما تحكمون! افتطلبون من شعراء الوطنية اعتدالا وهم يطوون بين جوانحهم شعور امة! اذا احترق صدري عطشا، أأستطيع تحديد قياس الماء الذي اصبه في الكأس اذا كان الى الخط الذي تزر عليه الجيوب، او الذي تدور عليه القلانس؟.. واذا لدغتني افعى أفأملك تعديل صيحتي لئلا توقظ النائمين...

الا ان الشاعر البطيء النبض، الشاعر الذي لا يغضبه الباطل، ولا يهيجه الظلم، ولا ينفر ويستنفر لنصرة العدالة والحق، ليس عندي شاعرا بالمعنى العربي الصحيح الجميل. انه ادنى ان يكون ببغاء كنيسة، اذا رأى قويا يبطش بضعيف، ردد قول الناصري: حبوا بعضكم بعضا ولكنه لا يشعر بأقل وأجب نحو احد هذين البعضين... الذي هشمت انفه العصا او فقأت عينه اللطمة او هرقت دمه السكين... واذا تسلق مثل هذا الاديب المتطاول جدارا او عمودا او كتفا... فانه لا يعلو عن مستوى رسام بسيط بالحروف والقوافي. يحسن رسم طاقة زهر او صحن فاكهة او زورق في ميناء. ولكنه اعجز من ان يصور اثباج النفوس المتلاطمة وما يدمدم في صدور الشعوب المرهقة المتحفزة من أعاصير الآلام المبرحة. والاماني البعيدة. والعواطف القوية الهائجة. اللهم الا عواطفه وامانيه الخاصة... ان ثروته من الشعور لا تزيد عن كفاف انانيته الضيقة... ولكي يستر فقره المدقع من هذا القبيل يلجأ الى خياله المثلج... وينشر منه على الافاق. سحابا جهاما يسميه المحبة الانسانية

المسيحية ... التي لا تعرف وطنا ولا عشيرة ... ويروح يتغزل بهذه المعشوقة ما شاء له رياؤه واطمئنانه الى السلامة والامن ... وكيف لا يحاول الفوز برضاها . وهي العروس الغنية التي لا تكلفه مهرا غير التشبب بمحاسنها والتطبيل والتزمير للمتاجرين بإسمها ...

ان عريس الانسانية المزعوم لاحكم من هؤلاء الشعراء المجانين الذين يصادر الاستعمار كتبهم ويسلط عليهم السنة السفهاء والخونة ويحوك المؤامرات لقطع ارزاقهم واعناقهم . هؤلاء المهاويس الذين يخلقون لانفسهم الاعداء في كل زاوية وحفرة وعتمة ... ويركبون الاسنة طوعا واختيارا لمنازلة الطغيان ولا يبالون ان يقاوموا المخارز بعيونهم ... في سبيل واجبهم نحو احب احبابهم . وطنهم وبني امهم !

وهل يتهم « بالهوس » حسب تعبيرك ، والتعصب الاعمى لوطن او دين يا عزيزي الوديع ، من يخاطب علم بلاده بمثل هذه الابيات :

ان كنت للحق فلتخضع لك الامم
او كنت للظلم لا حييت يا علم
اني اعيذك من مجد يغض له
جفن الاباء ويستحي به الكرم
قد يحسب المرء نذلا وهو منتصر
وقد يعد شريفا وهو منهزم

وهل يكون مثل هذا النفس المحيط المحلق . الذي يستدبر تخوم الاثرة والذي يضع القيم الاخلاقية في اعلى مرتبة شعرا سياسيا اقليميا عقيما ، كما يطيب لبعض الناقدين وللمقصرين في مجاله ان يدعوه ؟

واني لاربأ بعلمك الغزير يا اخي ان تعوزه الزكانة التي لا غنى عنها لمن يمارس النقد . والا فكيف نوفق بين اعتقادك ورأيك المتناقضين . اعتقادك الذي اقابله بأعظم الشكر وعدم الادعاء . اني « في نظرك اخلص شعراء العرب للقومية العربية . لا تستثني منهم احدا » ورأيك « اني ما نظمت الكثير من شعري الوطني الا وفي نفسي شوق الى اعتلاء المنابر وتصفيق الناس ؟ » ايجتمع الاخلاص والرياء في صدر ذي رسالة نبيلة كمن وصفت ؟ وهل روى التاريخ ان حرا بعيد الهم كبير مراد النفس القى بالا الى « تصفيق العامة ومجاملة الخاصة وتهريج النقاد » ؟

عندكم اذن ان من عيوب الشاعر وشعره ان يصفق له السامعون ... ومن حسناته الا يلبي دعوة الى الكلام ، الا وفي نيته ان ينوم الناس ويتركهم نياما ويخرج ... وان الشعر يجب ان يصنع ليقرأ فقط ، لا ليلقى في المحافل .. واذا تلي على الجماهير فخير ان يكون هدهدة للصغار الرضع ، او تسكينا لاعصاب المكدودين ، لا ان يكون خطابيا مبلغا ، يحض على دفع ضيم ، واحقاق حق ، وتحرير امة مستعبدة ... واذا كان كذلك ، فالاجدى في عرفكم ان يخطىء هدفه ، فيقع دون الاذان باردا خافتا متلاشيا ... وان يضيع القصد منه ، فلا يتحرك له سامع ... ولا تهتز له روح ... كأنما هو يلقى على اصنام ، والا كان الشاعر في زعمكم مهرجا ، لا يعتلي منبرا ، الا لتطرب اذناه تصفيق العامة ، وهتاف المجاذيب ، فالادباء — ولا سيما كبارهم يربأون بعلمهم وفنهم ان يكونوا من الاحياء ... وان يطربوا ويألموا ويشعروا كسائر الناس ... وان يساووا السوقة في استحسان الحسن ... وان الاليق بشهاداتهم الجامعية ، ألا يكتبوا او ينظموا الا في المواضيع التي لا علاقة لها بهذه الارض وسكانها ... او ان يتخذوا من معرفتهم لغة اجنبية حرفة للعيش فينصبوا على ترجمة كل سخيف مغر من كتب الفرنجة سادة الناس ... ومستعمري الشرق ... وان يدعونا الى اصطناع اساليبهم ، وانتهاج مذاهبهم في الادب ، فهؤلاء لا قضية حرية سياسية عندهم ، ولا عبودية يرسفون في قيودها ، فتقض مضاجعهم . واذن فينبغي لنا ان نطمئن الى الحياة كما اطمأنوا ، وان نستريح من هذه اللبكة التي لا مبرر لها ... كما استراحوا . والا كنا في عرف (مجاطرة) الادب .... من دعاة الحروب ... واعداء الاخاء الانساني ....

اما الغريب في هؤلاء الحاملين على الشعر الحماسي ، فهو انهم يحاولونه احيانا فلا يخرجون منه بطائل ... وقد يجيده بعضهم اجادة فنية كتمثال منحوت ، لا ينبض له عرق بدم ، انهم يتكلفون وصف آلام المتألمين من بني قومهم .

واما هم ذواتهم ، فانهم لا يشعرون معهم بأقل الم او حرج . انهم خليون من هذه الهموم ... لهم حياتهم الخاصة التي تشغل كل وعيهم ... ويريدوننا ان نكون مثلهم ... والا فلسنا شعراء ... بل هم الشعراء ونحن النظامون ... هم زملاء ملتون وشكسبير وغيتي وشيلر ، ونحن من مدرسة تشرشل وترومن وكلمنصو ،لاندور الا في فلك السياسة . .

ليس العجب ان تستهوي نبرة الحرية نفوس عامة المستعبدين من قومنا وغير قومنا يا اخي وديعا ، وان يصفقوا لها ويهتفوا ويستعيدوا ، ولا سيما اذا ما سمعوها من شاعر آمنوا به فآمنوا له . بل العجب كل العجب الا تستهوي الخاصة قبلهم ... والخاصة اجدر بفهمها على حقيقتها ، وأولى بالتجاوز عن كلمة فيها او بيت قد ينبو عنه سمع بعضهم ، من اجل الغاية المثلى ، غاية الاستقلال التي يجب ان توضع فوق كل اعتبار شخصي او طائفي او حزبي . اقول بعضهم ، لان معظم الخاصة الذين تعنيهم ، كانوا اسبق الى التصفيق والهتاف والحمل على الاكتاف ، ولو انك كنت حاضرا لشاركت اخوانك فيما تعيب عليهم الان ، ذلك لان الذين كانوا ينفردون في النقمة من الشاعر ومن المعجبين به ، ليسوا غير جماعة الاحتلاليين المتفرنسين ... واجلاف المتعصبين والدهماء ... ولم يكن بينهم شاعر واحد كبير ... كما احرجوني يوما فقلت :

انصاف أميين يا أعبدا
الا بذل ما لهم ذكر
هاتوا لنا من صفكم شاعرا
اذا شدا قيل كذا الشعر
في كل يوم نابت بينكم
غر جديد دأبه الهذر
مهما كثرتم ما لكم قيمة
مليون صفر قدرها صفر ...

ان ادباء مهجرنا الكبار ، لم يشك بعضهم غبار بعض قط ، لانهم يجرون صفا واحدا في الطليعة ، فما ذنبهم اذا عميت عيون الزاحفين في المؤخرة وانسدت خياشيمهم؟ .. ولقد كان اخوك يقول كلمته ،غير آبه بما تجر عليه من اذى اكيد . بل المضحك المبكي اني كثيرا ما ارضيت العدو ، واغضبت الصديق ، فيما رأيته حقا فجهرت به ، او باطلا فحملت عليه :

لأقول كل الحق حين عدوي
الراضي وحين صديقي المستاء
فلكم تنكر لي صحاب لم ارد
اغضابهم وتشكر الاعداء
للعدل قسطاس بكفي قائم
العرب والافرنج فيه سواء
خلق اموت عليه غير مهاود
ولو ان خسران النعيم جزاء

ولك على صحة هذه امثلة في عدة مواقف دقيقة حازمة . وحسبك قصيدة « يهنىء بعضكم بعضا » في عيد المولد النبوي . وكان حاضرا ساعة القائها الاديب الفلسطيني المعروف الاستاذ يعقوب العودات. فسله كيف وعلى من القيت يخبرك الى اي حد تبلغ الجراة الادبية بأخيك ارضاء لوجدانه الذي لا يجامل خاصة ولا عامة ، ولا يأخذ بنصيحة اخ ولا اخت ولا أم كلما خاض ميدانا من ميادين الواجب القومي .

بقي نقطة لا اريد انهاء حديثي معك دون ان اشير اليها . وهي قولك في معرض الكلام عن فرحات : اني واياه « كدنا نتفق على اتهام اللبنانيين بالذل والخنوع لانهم لم يتمشقوا السيف الخ » . فأقول انني مثلك لا اجحد فضل وطننا الصغير الحبيب لا على البلاد العربية وحدها ، بل على كل بلاد هاجر بنوه اليها ، وانه « كان بوق التحرر ورسول النهضة الادبية والفكرية لمن حوله » ولكن كل هذه الحسنات القلمية لم تغنه عندنا عن حريته التي لو ارادها في ذلك الحين لما عدم وسيلة غير السيف يعلن فيها رغبته . وحملتنا النزيهة عليه لم تكن لقعوده عن الجهاد فحسب ، بل لانه كان بذل الانتداب راضيا ، وله طالبا ، وعلى من اراد تحريره منه ثائرا

صبرنا على عيش من الذل انكد
وأنكده الا ترى العيش انكدا

وكانت مصيبة احراره به اشد من مصيبته بالمستعمرين

ما ان ذممت غريبا يستبد بـــه
الا اتاني ذم من اهاليـــــه

ولعلك اذا تمعنت في قصيدتي ـ عيد استقلال لبنان ـ واما الالى ـ تعلم باي محبة وغيرة ولهفة ورحمة كنت احمل على حبيبي الاول اجلالا له عن حياة الهوان ، وهذه الروح المتجلية في اقوالي ، تجسمت مرارا في افعالي ، فاني حينما ابصرت راية الارزة ـ الارزة البريئة من اي شعار اجنبي ـ ترفرف لاول مرة في مطار صنبول ، وسمعت صدى « كلنا للوطن » يتجاوب في سماء مهاجرنا السحيقة ، طغى شعوري بالعزة القومية حتى كاد يتفجر صدري وطفقت ابكي وانشج كالطفل الصغير ، لشدة فرحي ، وأحسست في تلك الساعة السعيدة ، اني استطيع ان اقبل الف اسخريوطي يحتال على صلبي ، وان اجرف العداوات كلها بفيض العاطفة المقدسة التي غمرت قلبي . ولقد عبرت عن هذا الشعور الطامي ، والروح السمحاء ، ببيتين من قصيدة حال من لا اسميهم دون القائها في المهرجان حيلولة اضافت حسكة جديدة حادة الى اكليل الشوك الذي ما ضفره لي غير اللبنانيين اخواني ، والذي طالما ادمى جبيني وفؤادي في سبيل حرية وطنهم وطني * وهاك البيتين :

لنمح خطايانا بدمـــــع سرورنا
عفا الله عما لفقته الجرائـــد

تعالوا اقبلكــم فلبنان جنــة
ولا يستحق العيش في الخلد حاقد

كان ذلك شأني في المطار ، والمواطنون يهرج معظمهم ويمرج في حالة من السرور المعدني اليابس ... وبينهم فئة من الذين لم تؤلمهم قط جراح الهوان الاستعماري ...

ولم يتجاوز فرحهم باستقلال وطنهم حد الاضطراب العصبي الذي كان ، لو صوروه ، ينبعث من عيونهم بشكل قناة تهتز كعصي السحرة ... وفي رأسها سنان من التحدي السام ..

تلك الفئة هي التي كانت وربما لا تزال تعد القروي عدو لبنان الالد . وكانت وربما لا تزال تعرب عن حبها للبنان باحدى آيتين او كلتيهما معا . بغضها العرب ... وحلمها بتقديم وطنها هدية لدولة ما غربية ...

ولقد افرط يوما بعضهم بالتبجح حتى خيل الى سامعهم ان لبنان لم ينل حريته الا بجهادهم وتضحياتهم فأخرجت مفكرتي وكتبت :

للاستقلال يوم الجد معنى
عدمتم روحه اثرا وعينا
فلو عادت حبيبتكم لعدتم
وعدنا للنضال كما ابتدينا

وختاما يا صاحبي ، أن الناقدين عندي ثلاثة : عاقل وجاهل ومتحامل . اما العاقل فلا يخشاه غير المتطفلين . . واما الاخران فلا يظلمان غير نفسيهما في نقد لا يخفى سخفه او خبثه الا على عميان العقول والقلوب . ويقيني انك في العقلاء . وانك صادق الوطنية طاهر النية . ولكن عطل كتابك من أعلق مواضيع الشعر المهجري وغير المهجري بمصلحة الامة في اشد ايام محنتها ، الادبية على الخصوص ، اذكرني الفئة الشعوبية التي تتعمد الحط من قدر هذا الشعر وناظميه فأكرهني على هذه اللهجة الحارة . لا ردا عليك بالذات ولا حقدا ، فقد نال شخصي الوضيع من اطرائك ما ارجح في نظري كفتك ، وأوجب علي شكرك . بل لان الذكرى الاليمة ضربت بعنف على ادق اوتار الحس في نفسي ، فكانت عاملا على وري الزناد ، واشتعال الفتيل .

ولا شك عندي في ان هذه النار تنزل بردا وسلاما على كل ابرهيم وطني حنيف . ولا تحرق الا كل مريب ، لا يشعر بهول الجريمة الكبرى ومأساة المآسي في تواريخ الامم قديمها وحديثها ، ولا يترجع لها عن فؤاده صدى ، غير هذا الصدى الرتيب المنكر :

ادب اللامبالاة ... ادب الشماتة والعقوق .

فيا ارباب البيان . ويا اساطين الفكر في شرقنا العزيز : ان الامة العربية ، امتنا لا سواها ، على شفا جرف من التشريد العام ، والافناء التام ، وعلى اديبها ، قبل اي جندي فيها ، ان يفتح العيون على هذه الحقيقة المرعبة ، لا ان يزيدهن غمضا وسياحة في عوالم الاحلام .

ان في الكلمة لسرا يحيي ويميت وليس في هذا الادب الذي نعيره كل اهتمامنا علاج لامة مدنفة ، بل هو قمين باضعاف القوي ، والاجهاز على الضعيف ، وما احتج منا بالادب الانساني ، الا كل من لا يعد قومه في الناس ، او كل عريض الدعوى ، يتطال الى الابعد ، وهو يقصر عن الادنى . . واني لاعيذ كتابنا وشعراءنا ، اللاهين منهم بالزهور والخمور والشهوة الحمراء ، والمعالجين منهم كل فنون النظم والنثر ، ما عدا ادب الواقع المرير ، ادب الحاجة الملحة ، ادب النضال الطبيعي الشرعي في سبيل البقاء ، ادب الرجولة والحمية والنخوة والنجدة والتعاون على البر بالاهل والاوطان ، الادب الذي هو اليوم وحده ـ دون سائر الوانه ـ بوق بعثنا ، وكوكب رجائنا ، وخبز كياننا ، وعماد بنياننا . اني لاعيذ هؤلاء الاخوان العباقرة ان يحيروا التاريخ يوما في اي عصر وجدوا . ومن اي امة كانوا . . .

برزدنتي برودنتي ـ برازيل

الشاعر القروي
رشيد سليم خوري

* وددت لو لم احمل على بث هذه الشكوى التي لا يسوغها الا تدني الا انها تسد في تاريخ هذه الحقبة خللا وتجيب على سؤال ... فقد تسلمت اثر ذلك الحادث رسالة ضافية لا تثمن عندي بمال لنفاستها الادبية والتاريخية . اشترك في توصيع صفحاتها رهط من اشهر ايمة العلم والادب والصحافة في لبنان . كل بقطعة بخطه وامضائه . يعلنون فيها تضامنهم معي . واستعدادهم للاخذ بالشخصية الرسمية المسؤولة عن خنق صوتي . ولولا تسامي ، واشفاقي ان اتسبب في تشويه العهد الجديد بالخصام ، لما تهنأت تلك الشخصية بمنصبها الرفيع بيننا امدا طويلا .



مقدم الحب

« الى الشاعرة المبدعة نازك الملائكة » (*)

انه جاء الينا
شق في البحر طريقه
وهوخاض البحر ملاحا الينا
وأتانا
يتخطى كل حاجز
حيثما البحر أتاه
تتلقاه عصاه
فيشق البحر لا تلوى خطاه
جاءنا ذات نهار
مثل سلطان الزمان
وعليه الطيلسان
غصن زيتون تبدىء في يمينه
والاغاني في عيونه
والشموس البيض تبدو منجبينه
انه اكرم من جاء ، الينا
كيف لم يخطىء طريقه ؟
أترى نجم انتظار
أرشد الآتي الينا ؟
وبكينا
فرحة منا بملقاه السعيد
وانحنينا
نحن قبلنا الايادي
وسجدنا خشعا فوق حذائه

وتمسحنا جميعا بردائه
واشار
فاذا الكل انبهار
وتطلعنا اليه
وهو أهدى غصن زيتون الينا
ثم ادنى وجهه الابيض منا
وانحنى .. فوق الجبين
فارتمينا خاشعين .

★

الاله الاخضر المحبوب جاء
ساكن الجنة في قلب الرجاء
انه جاء وما احلى الزياره
هو لم يرسل اماره
رغم انا في الليالي
شدنا شوق اليه
انتظرناه طويلا
وعملنا المستحيلا
كي يجيء
وفتحنا شرفة بيضاء في اضلعنا
ونصبنا عرشه الاخضر فيها
نحن اطلقنا البخور
وتوقعنا يزور
يملأ القلب .. يضيء
كل ما كان حزينا
غير انالزائرالمحبوبقدطال انتظاره
نحن اغلقنا الضلوع
غير ان الزائر المحبوب جاء
فجأة .. كالبرق جاء

يتحدى الشرفات المغلقة
فانفتح
للهوى باب السماء

★

افرشوا الرمل ورشوا الملحفيعين الحسود
املأوا الدرب نشيد
اطلقوا الشوق بخور
أوقدوا كل الشموع
للاله الوافد الفرد الاحد
كل ما نفعل له
من بخور وصلاه
وتراتيل .. وتقبيل خطاه
لا يساوي اي شيء من جميله
من جميل الزائر الآتي الينا
عبر صحراء البعيد
يتحدى كل جبار عنيد
ثم القى
غصن زيتون الينا
وانحنى فوق الجبين
فارتموا في ساعديه
أجمعين

مجاهد عبد المنعم مجاهد

(*) من ديوان « اغنيات مصرية » الذي يصدر في فبراير



يحتل همنجواي منذ عشرينات هذا القرن مكانا رحيبا بين المعبرين عن الروح الانسانية ورفعتها والشعر الذي يحيط بها اناء معاناتها لمصيرها .

وقد يبدو هذا غريبا اول الامر اذ نرى حرص همنجواي على الا يتحدث عن الروح والرفعة والشعر حديثا كامل الصراحة . الا انه من جهة اخرى قد يصدق القول ان همنجواي بسبب من عزوفه عن الاطناب فيالحديث عن تلك المعاني استطاع ان يشير اليها اشارة بينة . والامر جله يتعلق باسلوبه فهو قد قهر نفسه قهرا على ان يحرر كتابته من التزويقوالنفاية وتعديد الالوان وتعلم هذا الاسلوب الحاد الموجز المتصل بالتجربة اتصالا مباشرا خلال مشقة وجهد لا يظهران فيه .

كانت اوائل اعمال همنجواي الجيدة مجموعة اقاصيص دعاها « في ايامنا » مشيرا في ذلك بسخرية الى الصلاة التي تقول « امنحنا ايها الرب سلاما في ايامنا » . وليس في هذه الاقاصيص سلام بل فيها عنف شديد يصوره بقدرة موضوعية وباقتصاد هائل في التعليق عليه حتى جعل البعض يعتقدون انه قصد العنف والقسوة والموت لحد ذاتها .

وغالبية هذه الاقاصيص تتحدث عن تجاريب منفردة ، الا انها تتصل فيما بينها لدى رؤيتها ككل ، تجاريب عاناها الصبي نيقولا ادامس منذ حداثته حتى رجولته ودخوله عالما عدوا . وتبدأ كل من هذه الاقاصيص بمقدمة قصيرة جدا تصور عنفا او موتا لا يكاد يتصل بالاقاصيص نفسها الا من حيث المغايرة او التشابه للعنف او القسوة التي فيها .

والقصة الاولى التي تدعى « المخيم الهندي » تروي اصطحاب نيقولا آدامس لابيه الطبيب حيث يدعى ابوه الى مخيم للهنود الحمر ليرىامرأة مضى عليها في المخاض يومان وتعسرت ولادتها . وهناك يضطر الطبيب للقيام بالعملية القيصرية . ولعدم وجود الادوات الطبية يضطر الطبيب الى استعمال سكين اعتيادية.ولعدم وجود المخدر فان المها كان شديدا .كل هذا على مرأى من الصبي . وحين يُخرج الوليد ويخيط الطبيب البطن بالخيط الذي يصطاد به السمك ويستدير الى الزوج الذي كان مستلقيا ابان العملية يدخن غليونا يجد ان الزوج قد قطع رقبته بموسى حيث لم يستطع تحمل آلام زوجته . في هذه القصة يعبر همنجواي عن تعرف الصبي على حقائق الالم ويجعل من الولادة والموت رمزينقويين ، والموت بشكل اخص هو الموضوع الذي يتناقله همنجواي مرات ومراتبعد قصته تلك .

واقصوصة « المشاحن » يتقدمها منظر قصير جدا يصف اعدام ستة من اعضاء وزارة وقد كان واحد منهم مريضا بالتيفوئيد . وقد امر الملازم الجنود باطلاق الرصاص على الستة ، خمسة منهم واقفينوالسادس المريض جالسا ثم انه بعد اطلاق الرصاص يظل جالسا في بركة من ماء المطر ووجهه منكفيء على ركبتيه .

على ان همنجواي حين يعنى بالموت فانه لا يقصده لحد ذاته بما فيه من رعب مثير كما يفعل الادب الرخيص . ولكن يتسم انهماك همنجواي في موضوع الموت بطابعين : فالموت اولا هو اللاشيء الاكبر ، واللاشيء لدى همنجواي كما ساتحدث بعد قليل موضوع رئيسي يشغله وهو يتخذ صفة الشيئية .وثاني اسباب اهتمام همنجواي بالموت هو الجمالية التراجيدية التي يكون الموت منتهاها .

اما اللاشيء الذي هو في الحقيقة شيء وشيء مرعب جدا فافضل ما يلقي عليه الضوء اقصوصة اسمها « مكان نظيف حسن الاضاءة » وهي تصف رجلا كان ياتي الى مقهى نظيف حسن الاضاءة ويظل وحده يشرب حتى يذهب الزبائن جميعا وهو لا يريم . وفيها يدور حوار منبيء جدا بين نادلين احدهما شاب متزوج يسأم البقاء الى ساعة متأخرة من الليل ويريد الذهاب الى زوجته وثانيهما نادل تقدمت به السن وعرف حاجة الانسان الى مكان نظيف حسن الاضاءة . يقول النادل الشاب متحدثا عن الزبون المستوحد :

– « في الاسبوع الماضي اراد ان ينتحر » . فيسأله الشيخ – لماذا ؟

فيقول الشاب :

– كان يائسا

– من اي شيء ؟

– من لا شيء

– وكيف تعرف انه لا شيء

– ذلك لان لديه كثيرا من المال .

واللاشيء التي يقولها النادل المتقدم في السن مكررا اللاشيء التي يقولها الشاب ليستا شيئين متشابهين . فحين يقولها الشاب غير دار بمعناها المرعب قاصدا اللاشيء بكامل لاشيئيته اذ ان المال في نظره شيء ولا يستطيع ان يتصور انه مع وجود المال يمكن ان يظل اللاشيء قائما ، فان النادل الاكبر يعني انها شيء اسمه لاشيء ، شيء مرعب يعلو الانتحار من اجله جميع اسباب الانتحار الاخرى من قلة النقود وغير ذلك من الاسباب التي يدعو فقدانها الى ترك العالم .

ويتركز اللاشيء هنا حين يذهب النادل الشاب ويظل الشيخ وحده في المقهى في تلك الساعة المتأخرة من الليل . يظل يحدث نفسه عن ذلك اللاشيء الذي يعرفه جيدا والذي يقاومه مكان نظيف حسن الاضاءة ، رمز الطمانينة والفكاك من الصراع . ويأخذ الشيخ بتحوير الصلاة اليومية: يا ابانا الذي في السماء ، يقدس اسمك ويعلو ملكوتك في الارض كما

في السماء اعطنا خبزنا كفافنا اليوم واغفر لنا خطايانا الخ ... فيصلي النادل جاعلا كلمة لا شيء تحل محل جميع الالفاظ في تلك الصلاة وهو يستعمل كلمة نادا Nada وهي تعنى بالاسبانية لا شيء ، والنادل على ما يظهر مكسيكي او اسباني اذ ان همنجواي لا يفصح عن ذلك . وهكذا تجرى الصلاة على لسانه « يالاشيئنا الذي في اللاشيء» لا شيء اسمك ، ولا شيء ملكوتك ، اعطنا اللاشيء لا شيئنا اليوم ولا شيئنا (كفعل كما نحن لا نشيء (كفعل ايضا) الذين لا شيئون نحونا الخ ..

فاذا كان اللاشيء هو المحور الحقيقي الذي تدور عليه الحياة فان الصلابة والمجالدة تعطيان معنى لها ، وهو معنى فيه تحد وبطولة . ولا تكون المجالدة الا بادراك النظام الخلقي للفعل الانساني والالتزام به . ولكل فعل قانونه الخاص به من الملاكمة ومصارعة الثيران وصيد الاسماك الخ وهذا يفسر لنا اهتمام همنجواي بالفعل Action اهتماما بالغا يعطي انطباعا لدى النظرة السطحية بان الفعل عنده خال من التأمل ولكن التأمل الذي يفصح عنه الفعل بذاته ثري جدا، ان همنجواي يدع الفعل يتحدث حديثا بليغا .

ان اهتمام همنجواي بالفعل جعل منه قوة مؤثرة في الادب الحديث وكثر مقلدوه في جميع انحاء العالم . فهو قد اكتشف البلاغة الكامنة في الفعل وحده واصبح التأمل الباطني والتعليق الخارجي من قبل الكـــاتب امورا تقـــلل مــن الادراك الواقعي الحـــار للحياة . واحتقـــار همنغـواي للمسميـــات المنفصلة عن الواقـع النابض يشير اليها بطل قصته الطويلة « وداعا للسلاح » اذ يقول « لقد طالما اربكتني كلمات مثل مقدس ومجيد وتضحية ... لقد سمعناها احيانا ونحن واقفون تحت المطر ولا تكاد تصل آذاننا ، وما كان يصلنا منها سوى الكلمات التي يرتفع الصياح فيها .. وقرأناها في اعلانات تلصق فوق اعلانات اخرى ، والان مضى علي زمن طويل لم ار شيئا مقدسا والاشياء التي كانت مجيـدة ليس فيها مجد والتضحيات كانت مثل مستودع البضائع في شيكاغو ان لم يكن ما يصنع في اللحم سوى دفنه .. ان الكلمات المجردة كالمجد والشرف والشجاعة والقدسية تصبح خليعة ازاء الكلمات المتينة لاسماء القـرى والشوارع والانهار وارقام الكتائب وتواريخ الايام . »

ان بطل همنجواي الاصيل شخص مدرك او في طريقه الـى ادراك اللاشيء . والعنف الذي يعبر عنه همنغواي في هذا الصدد هو موقـف المقاومة لذلك اللاشيء .

ويغلب ان يكون اشخاص همنجواي اشداء خلصاء لقانونهم الاخـلاقي بسبب من جرح اصابهم ، والجرح الجسدي الذي عانوه رمز للجـرح النفسي ايضا ، وهو يقول على لسان بطل « وداعـا للسـلاح : « اذا اتى الناس بشـجاعة عظيمة الى هذا العالم ، فيتعين على العـالم ان يقتلهم . والعالم يهشم كل واحد ، وبعد ذلك كثيرون اولئك الذين يصبحون اقوياء في المواضع المهشمة ولكنه يقتل من لا يستطيع ان يهشم ، وهو يقتل الطيبين جدا والمهذبين جدا والشجعان جدا دون تحيز . واذا لم تكن واحدا من هؤلاء فكن على ثقة من انه سيقتلك ايضا ولكن ليس هناك ما يدعو الى العجلة .

فهناك اذن اناس من القوة بحيث لا يمكن قتلهم ولكنهم يجرحـون وهم يكتسبون من جراحهم قوة جديدة .

والذين يصبحون اقوياء في المواضع المهشمة هم غالبية ابطال همنجواي. فهذا مثلا جيك بارنز في القصة الطويلة « الشمس تشرق ايضا » يعود من الحرب العظمى الاولى بعد ان اجريت له عملية افقدته قابليته الجنسيـة ولكنه حتى في مضمار العلاقة مع المرأة يظل امرءا اسلم نفسا واقـوى من جميع الذين كانوا يحيطون به من الرجال السليمين ، فهو اكثر بطولة من روبرت كوهن الملاكم اليهودي الذي تحتقره المرأة في القصة ويضجرها اله وحزنه الدائم وحين يتصرف تصرفا اهوج يبعده في عينيها عن الرجل الحقيقي الذيهو جيك بارنز والرجلالذي احبته اخيرا مصارعالثيران ولم روميرو ذلك الذي يمثل الجانب الطبيعي والساذج هو رجل لم يتلوث ولم يتعقد الا انه رغم ذلك حار مهذب تهذيبا خالص النقاوة .

ومثل آخر من الذين يصبحون اقوياء في المواضع المهشمة هو روبرت جوردان بطل القصة الطويلة « لمن تقرع الاجراس » اذ هو يحاول الا يفكر فيما يمضه من الماضي ويشرب الخمر على انها قاتلة العمالقة ، عمـالقـة الالام ، وهناك في ماضيه جرح عميق يحاول الفكاك منه وهو يستطيع ذلك بان يهب نفسه للقضية التي كان يحارب من اجلها ويهب نفسه للناس الذين احبهم وآمن بهم : الاسبان الجمهوريين .

ومن الناس الذين يصبحون اقوياء فـي المواضع المهشمة ايضا الشيـخ سانتياغو المستوحد في البحر في الاقصوصة الطويلة « الشيخ والبحر ». وهو قوي حيث هشمه الهرم وسوء الحظ والتوحد ، قوي الى درجة تجعله يقول « تحطم ولكنه لم يقهر » . فبعد ان جاء بالسمكة الكبيرة هيكلا عظميا وبعد ان امضى الجهد الطويل الجبار في سبيلها ثم فقدها عـلى هذه الحال ما زال في نيته ان يعود الى البحر مرة اخرى .

والوجه الاخر من عناية همنجواي بالموت هو جمالية الشجاعة . وان الشجاعة لدى همنجواي تكمن في الشجاعة الجسدية الصرفة ويندر ان يتحدث همنجواي عن عوامل نفسية معقدة تدعو الى اتخاذ موقـــف جريء. بل انه يربأ بهذه العوامل ان هي كانت فكرية وهمه وصف الرشاقة التي يواجه بها الانسان الموت . وجمال الرجل الذي يأخذ الموت ويعطيه يتمثل افضل ما يتمثل في مصارع الثيران . وقد يمكن الربط بين اللاشيء والرشاقة في مواجهة الموت، فلئن كانت الحياة لا شيئا فـان الشـيء الوحيد الذي يستطيع فعله الانسان هو ان يكون جميلا في مواجهة العدم، جميلا ازاء الموت .

✶

لقد وصف الناقد الامريكي الكبير مالكوم كاولى ادب همنجواي بانه ادب ليلي . وقال انه احد الكتاب الذين تناولوا صورا للعتمة الداخليـة في الوجود البشري . وفي ادب همنجواي ما سماه كاولى بالكوابيس فـي الظهيرة . ولا بد لكثير من ابطال همنجواي من عذاب داخلي او جرح قديم يقض مضاجعهم ولا يدعهم ينامون ويحاولون ان يهرعوا منه بصهر انفسهم في اتون الفعل Action والحركة . وهناك قصة قصيرة لهمنجواي اسمها « النهر الكبير ذو القلبين » Big - Hearted River وقد اصبحت بفضل كاولى مفتاحا لادب همنجواي رغم انها حين ظهرت منذ حوالي ثلاثين عاما وصفت بانها قصة باهتة . فقد قال الكاتب سكوت فيتزجرالد (1) الى صديقه همنجواي نصف مازح : « لقد كتبت قصة لا يحدث فيها شيء » . وقد اجابه همنجواي : « انت لا تزيد على ان تكون ناقدا صحفيا Reviewer وعسير عليك ان تدرك ما اردته في هـذه القصة . » والفضل كله يعود الى مالكوم كاولى في تبيان رموز هــذه القصـة .

وهذه القصة التي لا يكاد يحدث فيها شيء تعتبر الان من اجمل مـا كتب في فن القصة القصيرة : نيقولا ادامس يعود الى بلده فيأخذ متـاعا

(1) لا حاجة للقول بان سكوت فتزجرالد كاتب ممتاز وهو مؤلف القصـة الذائعة « كاتسبي العظيم The Great Gatsby

وخيمه ويذهب وحده الى مكان قرب نهر كان فيما مضى يصطاد فيه ويمر في طريقة على ارض احترقت واسودت اعشابها وبعدها ينصب خيمة ويطهو طعامه ويأكل ثم يصطاد السمك. وكان النهر يضيق حتى يتصل بمستنقع . ولكن نيقولا لا يود الذهاب الى هناك ويكاد هذا يكون كل ما في القصة من احداث .

من خصائص هذه الاقصوصة ، وهي خصائص كل ادب همنجواي على وجه التقريب ، الدقة في تصوير العمل العضلي»، تلك الدقة التي تتخذ شكل الطقوس والشعائر حتى ان صيد السمك هنا كما في غيرها يعبر بشكل رمزي عن صلاة سحرية وتعاويذ . كما ان خصيصة اخرى في ادب همنجواي تتضح في تلك الاقصوصة الفريدة تلك هي ان ادب همنجواي صورة لرجل ما بعد الحرب العظمى الاولى وهو مريض في سبيل الهرب مما جعله يمرض ، وليس له الا ان يظل مشغولا من الناحية العضلية بشكل دائم . ويبدو ان نك ادامس كان قد عاد من الحرب الاولى وقد حملته كثيرا من الجراح الجسمية والنفسية كما تشير الى ذلك اقاصيصه الاخرى حول نك ادامس . ومروره على الارض المحترقة رمز للحرب ودمارها . ان على بطل همنجواي في اوائل انتاجه ان يظل مشغولا بجسده ولا يفكر كثيرا لئلا يمتنع عليه النوم ، وان عليه الا يشتط في الاحساس والا استعصى عليه مرضه وان عليه الا يذهب الى المستنقع الذي يضيع فيه النهر بل يظل قرب خيمته وهي « المكان النظيف الحسن الاضاءة » . ويبدو انه في هذه القصة يريد ان يعرض على نفسه صياما عاطفيا لعله ينفعه . وثمة خصيصة اخرى تبدو من هذه القصة القصيرة وتسود كل ادب همنجواي وما استطاع احد ان يجاريه فيها قط وهي التوضع في التعبير

Understatement

حين يقول همنجواي : « واحس نك بالتعب وشدة الحرارة » يستطيع ايصال الاحساس بتعبه الى القارىء بشكل حاد دونه ايصاله لو انه قال « واحس نيك بالتعب يكاد يقطع اوصاله وبالعرق يتصبب من جسمه بغزارة او : اصبح لا يستطيع تحريك اعضائه من عظم الاعياء او اي شيء سوى : احس بالتعب وشدة الحرارة .»

التواضع في التعبير سر من اسرار اسلوب همنجواي ويمكن القول انه حاز على اسلوب بليغ خلال تحرر تام من البلاغة .

ثم ان هذه الاقصوصة تقدم همنجواي كاتبا حواسه الخمس لا تخطىء شيئا وهي تسجل كل شيء يمر بها . وقلما استخدم كاتب حواسه بمثل دقة همنجواي وايجازه ، وهو يقف في مضمار الحس بالاشياء في صعيد واحد مع تولستوي وفلوبير وكوليت مع فارق واحد هو ان هؤلاء تحليليون وهمنجواي ليس كاتبا تحليليا ، اعني ان هؤلاء يصورون العالم من خلال الجو النفسي الذي يسبح به اشخاصهم .

ان وصف نهاية معركة اوستيرلتز في «الحرب والسلم» ليس سوى معجزة خارقة ونحن ننظر اليها باحساس اندريه بولكونسكي الذي انطرح جريحا فيها وقد اتخذت السماء عنده شكلا غير الذي الفناه والريف الحقير الذي يصفه فلوبير دون ادنى خطأ ندركه خلال احساس الضجر الذي كانت ايما بوفاري تتلوى فيه . ولا يقدم همنجواي اشخاصا ذوي « حالة نفسية » معينة بحيث يكون احساسهم بالاشياء المحيطة بهم احساسا خاصا ، الا انه قابل للايصال بل ان العالم الذي يحيط بهم هو العالم الطبيعي الذي نعرفه : الشمس فيه هي هذه الشمس والبحر هو هذا البحر والشراب هو ذلك السائل الذي ينعش ويسكر ومع كل هذه «الطبيعة» يستطيع همنجواي ان يخلق جوا رمزيا. وهذا سر اخر من اسرار تجويده .

فلننظر اذن الى هذه القابلية في التوفيق بين الطبيعية Naturalisme وبين الرمزية .

ان قصة « وداعا للسلاح » باعتبارها قصة حرب وحب يمكن ان نقرأ على انها « طبيعية » ، توصف فيها الحرب بدقة موضوعية . غير ان قراءتها على هذا النحو اغفال للرمزية التي فيها وسآتي عليها بعد حين .

لقد قال همنجواي مرة « ان عظمة الجبل الجليدي العائم انما تبدو خلال الثمن الظاهر منه فوق الماء » وعليه فان قصصه على جودتها تبدو خداعة فيما تظهر لنا وما تخفي. الجزء البين منها يلتمع بالصور الواقعية الحية الملموسة والكثير الخفي الذي عليه نركز لا يبدو الا للعين المتفحصة المكتشفة. وما لا يبين ليس من صنع الكاتب الواقعي بل هو من بناء رجل اخر : الشاعر الرمزي .

والحديث عن رمزية همنجواي المختفية وراء الجو « الطبيعي » عنده يمضي بنا الى الحديث عن اسلوبه الذي هو من اكثر الاساليب اصالة وتأثيرا في القرن العشرين، فان الاسلوب يحوي في طياته فحواه وطريقة الاداء يكمن فيها المعنى .

ارنست همنغواي

اسلوب همنجواي رمز بحد ذاته وبطبيعة تراكيبه الى العالم المتفكك المتخلخل الاجزاء الذي يصفه . ولقد قال الناقد مارك شورر « ان عُرى نثر همنجواي توحي بعرى الحياة التي هي موضوعه » ، كما قال « ان اسلوبه نفسه تعبير عن اخلاقية المجالدة التي هي مدار همنجواي » .

وعُرى اسلوب همنجواي واخلاصه الشديد للتواضع في التعبير يبدوان خلال حواره اشد ما يبدوان . ان حواره من الحياة بحيث تتخذ كلمتا « لا » و « نعم » وحدهما رنينا يسمع عند القراءة بكل وضوح .

ليس حوار همنجواي عقليا كحوار اوسكار وايلد او برناردشو بل هو حوار يشع من حرارة الحس ودفء الشعور ، ليس فيه نصيب كبير من المناقشة المنطقية ولا التلاعب السوفسطائي بالالفاظ كما يفعل اوسكار وايلد مثلا .

ان اذن همنجواي للالفاظ كأنفه وبصره ولسانه وانامله ، حساسة تسجل ادنى الاهتزازات وتمايز بين الفحيح والهمس والصياح والصمت وهو يلهم سكيريه وجرحاه وشقاته وصياديه وعشاقه حوارا يضعهم في مدى اللمس معنا .

كتب همنجواي ما يقرب من خمسين اقصوصة تحتل بين القصص القصيرة في الادب العالمي مكانا ممتازا. وتقع اقاصيصه في ثلاث مجموعات تضاف اليها ست اقاصيص اخرى نشرت خارج تلك المجموعات ثم جمعت

كلها فيما يسمى الان بالـ ٤٩ اقصوصة الاولى .

والمجموعات الثلاث هي «في ايامنا» ثم «رجال دون نساء» ثم «لا يأخذ الفائز شيئا» اما اقاصيصه خارج تلك المجموعات فاهمها الاقصوصة الطويلة «حياة فرانسيس ماكومبر السعيدة القصيرة» وهي اكمل اقصوصة كتبها همنجواي ولا تعلو عليها سوى اقصوصته الطويلة «الشيخ والبحر». وهناك من اقاصيصه خارج المجموعات الثلاث «ثلوج كليمنجارو»

ان قصة «حياة فرانسيس ماكومبر السعيدة القصيرة» دراســة في تعلم الشجاعة ، وكل شيء يتعلم وفقا لهمنجواي حتى فن الكتابة

فرانسيس ماكومبر شاب امريكي ثري ياتي مع زوجته الجميلة التي تحتقره الى غابات افريقيا للتسلي بالصيد وهناك يجد دليلا انكليزيــا مقيما اسمه ولسون ، وفي افريقيا يرتكب ماكومبر عملا يدل على الجبن حين يهرب من وجه اسد كان قد جرحه . وقبل ان يهرب منه كان يريد من الزنوج الذين يخدمونهم ان يذهبوا اليه ، وهو عمل لا يوافقه عليه الدليل لان فيه مخاطرة بحياة هؤلاء دون رغبة منهم بذلك ، ثم انه يفضح خلوه من «اخلاقية الفعل» بان يقترح ان يترك الاسد الجريح وحده وهو عمل قد يودي بحياة احد المارين الذين لا يعرفون ان في الاحراش اسدا جريحا. هذا الى ان الاسد قد يكون متألما من جراحه بحيث يجب القضاء عليه. ولكن ماكومبر يجبن عن مواجهة الاسد الجريح وحين يواجهه وينقض عليه فان ماكومبر يرمي بندقيته ويولي هاربا لولا ان ولسن يكون بالمرصاد فيطرح الاسد بطلقة من بندقيته .

اما زوجة ماكومبر فانها تحتفل بجبن زوجها بان تقبل الدليل على مرأى منه ثم تترك خيمتها ليلا للارتماء في احضان الدليل .

بيد ان ماكومبر يتعلم الشجاعة اخيرا ولا يهرب امام جاموس وحشي انقض عليه . وحين ينجح في قتل الوحش تكون زوجته قد اصابت من رأسه مقتلا وطرحته ، فاذ يصبح زوجها رجلا يكون خطـرا عليها . وهذا لا يعيش ماكومبر سعيدا بشجاعته الجديدة الا حياة قصيرة جدا .

يستشهد فيليب يونج في كتابه عن همنجواي بما قاله د.هـ. لورنس عن الرجل الامريكي الحديث من انه فقد السيطرة القضيبية على انثاه . ويقول ان ماكومبر كان قد فقد هذه السيطرة على زوجته وهي سـعيدة بذلك الفقدان لانها انما تصاحبه من اجل ما يهيئه لها غناه من تمتع بالحياة وهي التي تسيطر عليه آناء ذلك وتخونه متى شاءت. ولكنه حين يبشر بانتهاء عبوديته لامرأته وولادته من جديد فانها تقضي عليه في المهد .

*

ان رموز همنجواي تلقائية تصدر عنه في مضمار التركيب الفني وهو حين يحاول ان يعني رموزه ويفرضها فانها تفقد بعض حدتها ونفاذها كما فقدت «ثلوج كليمنجارو» قابليتها على الاقناع الفوري ، على ان هـذه القصة جيدة من كثير من الوجوه .

هناك بعض الرموز النفاذه التي نجح همنجواي كل النجاح في الايحاء بها دون اكراه ، فلنأخذ مثلا هذا المقطع من مقدمة احدى اقاصيص «في ايامنا» وهي المسماة «نهاية شيء ما» .

« اول الماني رأيته كان يرتقي جدار البستان . انتظرنا حتى وضع ساقا عليه ثم طرحناه . كان يحمل كثيرا من الامتعة وقد بدا عليه استغراب عظيم . ثم انه سقط في البستان ، وبعد ذلك جاء ثلاثة آخرون منحدرين على الجدار . اصبناهم جميعا . كلهم جاءوا على هذا النحو . »

يتخذ الجدار في هذه الصورة حيوية وعنفا حتى انه يستحيل الـى رمز يشمل كل شيء لا يمكن عبوره ولا الصعود عليه . يصبح رمزا للنهر الذي يغور في المستنقع ولا يمكن الذهاب اليه ، ورمزا للطريق الذي يمتد وليس من سبيل للمضي فيه .

وفي القصة الطويلة «وداعا للسلاح» يصبح المطر رمزا للكارثة وها هو يقول «سارت الامور سيرا سيئا جدا . كان هناك في بداية الشتاء المطر الدائم ومع المطر جاءت الكوليرا . ولكنهم اوقفوها اخيرا وفي النهاية مات منها سبعة الاف فحسب بين الجنود (1) وكاترين باركلي تخاف المطر لانها كما تقول «اراني ميتة فيه» . ثم ان المطر يسقط طـوال انسحاب كابوريتو الذي صوره همنجواي بشكل معجز ويسقط المطر كذلك حين تكون كاترين على وشك ان تضع طفلها في مستشفى سويسري ويظـل يسقط حين تموت وحين يدفع هنري بالمرضات خارج الغرفة لينفـرد بحبيبته الميتة ، ثم يقول : «لم يكن في ذلك اي فائدة» كان يشبه توديع تمثال . خرجت بعد لحظات وتركت المستشفى وعدت الى الفندق تحت المطر (1) »

ـ التتمة على الصفحة ٧١ ـ

(1) لقد ترجمت «وداعا للسلاح» الى اللغة العربية بقلم احمد العرابي ونشرتها دار النشر للجامعيين ، واقل ما يقال في هذه الترجمة ان كل صحيفة فيها تحتوي على خيانة واحدة نحو همنجواي ونحو اسلوبه الرائع، واغلب الظن ان المترجم لا يدرك شيئا من خصائص اسلوب همنجواي واذا بالقصـة التي تحتوي كل جمـلة فيها اقتصادا في العواطف في التعبير تجيء كانها احدى صبيانات المنفلوطي . ها هي الجملة التي جاءت في هذه الترجمة الفظيعة : «في مطلع الشتاء هطل مطر غزير وحملت مع المياه (المنسابة في زحفها) جراثيم الكوليرا (فارعبت النفوس واقضت المضاجع) ولكنهم استطاعوا القضاء عليها بعد ان ازهقت من ارواح الجنود سبعة الاف فقط (!) (كانوا جميعا في فرحة الشباب ونضرة الصبا) . كل ما بين الاقواس من عنديات المترجم وهي تدل على انه يترجم همنجواي باعتباره لامارتين او شيئا اسوأ من لامارتين بكثير ولنقل ميشيل زيفاكو . وفي الترجمة كلها انحدارات عاطفية من هذا القبيـل تكون الاشارة اليها كتابا مستقلا .

اما منير البعلبكي فهو مترجم قدير اين وهو حين ترجم همنجواي لـم يضف من عندياته جملا بكاملها ولم يحذف جملا ولا يلام البعلبكي لعـدم استطاعته نقل رنين الكلمات من الاصيل فهمنجواي ككل شاعر عجيب ـ يتحدى الترجمة ، وما فعله البعلبكي هو اقصى ما يستطيع مترجم ان يفعـله .

لقد مضت الترجمة ـ ونحن احوج ما نحتاج اليها ـ في دروب تجاريـة رخيصة تسعى الى اجتلاب اكبر الغنم باقل الجهد وها هي دار الهلال مثلا تستبيح ترجمة «الحرب والسلم» في نحو مائتي صفحة و «انـا كارنينا» في قريب من ذلك واصبحت هذه الاشكال من الترجمات تشبه تجارة المخدرات في انها بضاعة صغيرة سهلة الحمل وارباح هائلة وعمل غير مشروع على ان تجار المخدرات ينالون اشد العقاب وهذا هو الفارق .

(هذا المقطع في ترجمة العرابي الخؤون هو «لم استطع البقاء . كان عملي تحية وداع الى تمثال من اللحم . فخرجت من الغرفة مغـادرا المستشفى والمطر ينسكب فوقي مدرارا» ولم اعجب حين وجدت اناسا قرأوا «وداعا للسلاح» في هذه الترجمة فلم يصعقهم كالتيار الكهربائي : لقد وضع المترجم بينهم وبين التيار الكهربائي كثيرا من قطع الخشب .

صورة دوريان جراي

امل وانهار
مات ولم يترك تذكار
مات وها انذا اسمع صوت مناحته في الدار
مات وشيعناه وصلينا ، واستغفرنا ،وانبنا ،بعد بكاءحار
واتى من لا يعنيه الامر ولم يحزن :
جاء ليشرب قهوتنا ، يغتاب الناس ، وينتهك الاسرار
ويقهقه ضحكته كالنصل :« دع الموتى يبكون على الموتى
ما كان سوى امل وانهار »

في الخارج كان يموت نهار
في الخارج أبواق تعوى ويثور غبار
وأناس مكدودون كأنهمو الاشباح يجرون خطاهم نحو الاحجار
مجهولون بلا سيماء
مذهولون ومنكفئون من الاعياء
في المقهى المذياع يجلجل بالانباء :
الحرب تدق على الابواب
ادفن راسك تحت تراب
بل ارفع راسك واجهها يا ابن الانسان
سيان تقول : الامر لديك بلا امل سيان
في الغرفة كان الرعب وكان الحزن وكان العار
ودهاليز في العتمة اين تقود ؟ تعود الى حيث بدأتَ
في العتمة انت تفتتَ ، وتكونتَ ،
في العتمة انت رأيت ولم تصرخ :

املا ينهار

في « الغرفة » كان الصمت يوسوس بالاسرار
في جوف الصمت تجول عصابات الاشرار
في لحظة ضعف، كان يجاوب انثاه الصرصار
وعقارب تخرج غاضبة (هل كان الصيف ام الاخبار ؟)

في الغرفة كان هنالك ضب يلبد خلف الباب
وينام ذباب
وعلى مرآة بالدولاب
لمحت خيالك ، وجهك يصرخ فيه الم
وندم
وعذاب

جحظت عيناك ونزَّ الدم
وتهرأ لحمك حول الفم
وتدلى الفك ،
فكانت جمجمة تضحك
مزق .. مزق ، آثار سياط
حفرت اخدود
يتوالد في جنبيه الدود
مزق .. مزق ، لهب وحريق
الجرح عميق
في وجهك كان شقاء ، كان عذاب ، كان صراخ
ما ابشع وجهك قم حطمه يا دوريان
قم حطمه ، قم حطمه ، لا ليس الان
من « صك مفستو » بقيت سنتان
سنتان وتقبض روحك بالاسياخ
تكوى بالجمر وتلقى في اعماق النار
يكفي فالارض تميد من الاوزار
انتفخت بين يديك الجثة فادفنها ،
ما كان سوى امل وانهار

الخرطوم

صلاح احمد ابراهيم

قبل فوات الوقت

« مهداة الى الشاعر الانسان ، الصديق صلاح محمد ابراهيم »

★

من قسوة هذا العصر تخشب قلبانا
شاهت كلمات الحب بشفتينا والاحلام .
صار الضحك جريمه ..!
(يا صوتا يصرخ في اعماق صخريه
هب لي من صخب الشلالات النهريه
ثرثرة فوق عذاب العمر الزائل)
يا انساني فلنتعلم
ولنبدأ من اول حرف
ولنعرف كيف نعيش على عصر الخوف
ولنطرح جنبا دفء نهايات القصص الكبرى ،والاحلام
ولنطعم بردَ الثلج ورعشات الآلام
ولنعرف كيف نقاسي الارهاق ولفحَ الصيف .
وكيف نجوع ونقضي ــ منفصلين ــ بليل الرعب
يا انساني فلتتكلم فالوقت يفوت
لِم ترعبك الايام الى هذا الحد
لم تبدو مقهورا مغلولَ الرد ..؟
يا انساني فلتتكلم فالصمتُ مميت
لم ترعبك الايام الى هذا الحد ؟
ما زلنا شرفاء لم نبلغ حد القتل
ولدينا وقت فيه نهيىء انفسنا للموت
يا انساني فلنعرف قبل فوات الوقت
(حالا لن يبقى وقت كاف للرقص)
أي مكان نلقي فيه الشمس
ولنلصق اعيننا فوق الجدران
في حرف أزرق يحضن حرفا فوق جدار

(يا قوات الشعب ــ الجند السوريه ــ !
ما وحدك بل نحن جميعا من اجل الحريه ...)
يا حرفا يلمع في ساحات الجند
يا حرفا يصنع كلمات في ثقل اليد
كلمات لم ننطقها بعد
يا انساني فلنتكلم فالامر يجد
لمَ ترعبنا الايام الى هذا الحد ..؟
يا انساني فلنتعلم فالعمر قصير
ان نحيا شجعانا في عصر الخوف
ان ننفذ للاعماق كسيف
يا انساني فلننظر في المرآه
(فلدينا وقت كاف قبل الموت)
ولنبصر قبل فوات الوقت
بسمات قصت من أفواه
« روبسبير » و« لافاييت » و « ميرابو »
من فمِ الانسان المحكوم
بالموت عليه بمقصلة في وهران
في القرن العشرين بمقصلة في وهران

★

يا انساني فلنتساند
ولنحفظ كلماتَ الجدران
ولنذكر بسمات المرآه .
ولنتعلم من قبل فوات الوقت
فلدينا وقت كاف قبل الموت .

الخرطوم

عبد العزيز صفوت

محاولة .. في تأريخ فنان مغمور

بقلم عبد الهادي البكار

لماذا يضيع الفنان في وطننا العربي هذا الطيب ؟ لماذا لا يفتح التاريخ العربي ومؤرخوه صفحات « جديدة » للفنانين العرب الحقيقيين ؟ لقد قرأنا في المدارس عن الفنانين الغربيين الكبار ، وكتبت صحفنا ومجلاتنا مئات السطور عن اولئك الفنانين الذين عاشوا في الغرب ، ولم نلحظ في اية مدرسة ، او اية صحيفة او مجلة الاهتمام الكافي بالفنانين العرب الكبار .

في الغرب يمجدون ابطالهم الفنانين ، وقد يصل هذا التمجيد الى حد التقديس ... اما نحن فلا نطلب من جمهورنا العربي الكبير ان يمجد فنانيه او ان يقدسهم ، وانما نريد منه ان يقدم واجبا عليه .. ان يذكر فنانيه بعد ان يتوفوا .. على الاقل ! هل يعلم اكثر من عشرة - في سورية او لبنان - انه قد عاش في دمشق فنان كبير كبير ، نال من ميداليات الدول الاجنبية وشهاداتها العليا اكثر من عشرين ، وخلد مواقع العرب الشهيرة بمئات اللوحات الرائعة التي تفوق بجودتها وتنفيذها القانوني الصافي ، الكثير من اللوحات المصمودة الان على جدر متحف (بوشكين) في موسكو ، او متحف (درسدن) في المانيا ، او متحف (فيينيسيا) في النمسا لفنانين من الغرب... وغاب في ضمير الابد من ثم ، ليغدو اليوم كومة من العظام في شق عميق في تربة الباب الصغير بدمشق .؟!

انه لمن المحزن حقا ان يحدث هذا التجاهل في بلادنا العربية الطيبة. لقد مات الفنان الكبير عام ١٩٤٠ ، اي منذ اقل من عشرين عاما ، ومع ذلك ، فانا كمهتم بالنشاط الفني العربي العام لم اسمع باسمه الا قبل اسابيع ، وكان ذلك عرضا ، في مقابلة اجريتها في برنامج (في هيكل الفنون) الذي اقدمه من الاذاعة السورية ، لاحد الفنانين السوريين المعاصرين . قال لي هذا الفنان :

- درست على يد توفيق طارق .

وحين سألته تفسيرا لهذا الاسم وضعت يدي على مفتاح كنز كبير ومغر وغامض التفاصيل .. وذهبت اسأل عنه هنا وهناك . .

عرفت ان له ابنة لا تزال تعيش في دمشق ... واعلنت في احدى حلقات برنامجي الاذاعي عن حاجتي لاخبار عن هذا الفنان الذي اسمه توفيق طارق .. وجاءني حفيده لابنته - شاب اسمر صغير اسمه طارق مرستاني - احك لي يا طارق عن جدك كل شيء .. خذني الى بيت امك .

ورافقت الشاب الصغير الى بيت امه ، حيث شاهدت المتبقى من لوحات واشياء الفنان الراحل . انني لا ابالغ على الاطلاق اذ اقول للقراء ، ان ما رأته عيناي من لوحات ، كاف لاقناع اي مثقف في هذا الفن - فن الرسم اعني - ان منتجها يقف على قدميه بكثير من الثقة والشموخ الى جانب (رينوار) او (كوخ) او (كلودمونيه) او اي فنان اخر مشهور وكبير من الغرب .

✶

اطل عام ١٨٧٥ على دمشق ، ليشهد ولادة طفل نحيل الجسم ، اسمر اللون طويل الانامل ، مؤنف الانف ، متسع العينين .. وانسحب عام ١٩٤٠ من مدينة بيروت بحزن وذلة ، وهو يرخي ستر الموت وسره على حياة الطفل النحيل الذي مات شيخا .. ولم يكن الناس الذين عاشوا في هذه الفترة الزمنية في الشرق الاوسط يعلمون انهم عاصروا انسانا كبيرا ، وعربيا كرس ايامه ولياليه ليخلد مظاهر الحياة في سورية ولبنان وفلسطين ، وتاريخ معارك العرب وامجادهم في قطع قماشية تتصدر الان بيوت الامراء الاتراك والمصريين ، وصالونات بعض الحلافين الفقراء من ابناء الشعب في دمشق وبيروت .

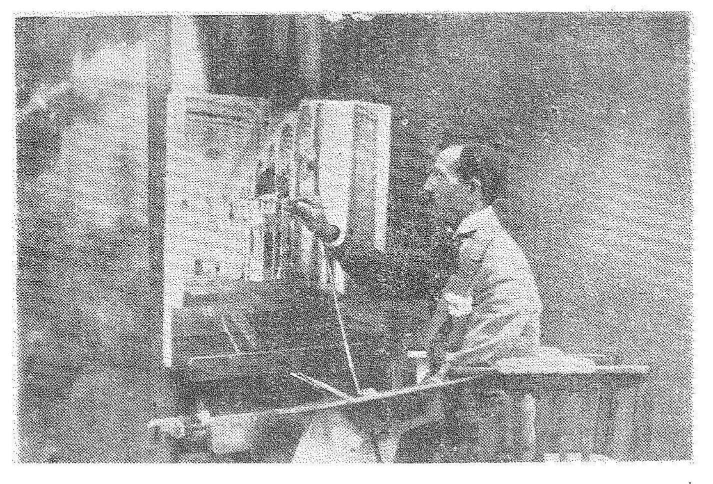
مات ابوه وعمر الطفل لا يتجاوز الخامسة ... وعاش في كنف امه في حي (السمانة) بدمشق ، وهو حي شعبي بيوته لا تزال على الطراز القديم ... حتى انجز الثامنة عشرة .

وكان ليل الام والابن النحيل ، طويلا طويلا . كانت تشعل (المنقل) في ليالي الشتاء ، وتجلس مع الطفل حول ناره تحكي له عن ابيه الذي توفي . كانت تقول له فيما تقول : عينا ابيك كانتا واسعتين .. مثلا ، وحاجباه كثين ، وانفه دقيقا ، وذقنه عريضة ، و .. الخ .. وكان الطفل النحيل الذكي يستمع الى حكايا امه عن ابيه بانتباه . وفي ليلة من ليالي الشتاء فوجئت الام بالطفل توفيق الاسمر يمسك بيده ورقة رسم فوقها خطوطا ما بقلم الرصاص .

قالت الام :

- ارني هذا يا توفيق ...

واعطاها الطفل الورقة، ودهشت الام لحد البكاء . « لا .. لا .. كيف حدث هذا؟انه ابوك بعينه ياتوفيق»!



توفيق طارق يرسم (الجامع الاموي) . لاحظ اسفل اللوحة ... انه يرسم من الاسفل ، ثم يصعد للمناطق العليا من اللوحة !

من خلال ما حكت الام عن الاب ، رسم توفيق الطفل اباه ، من خياله فجاء الرسم طبق الاصل ! وكانت الام غنية ، فأرسلته على نفقتها الى باريس ليدرس مبادىء الرسم سنتين ، وليعود الى دمشق ، ليحصل على شهادتين : (مهندس في مساحة الاراضي) و (مهندس في البناء) . وفي غمرة استعداد تركيا للحرب ، اجبر على الدخول في الجيش التركي برتبة (مرشح)بعد ان انهى الدراسة العسكرية في المدرسة (الرشدية) العسكرية . بعدها سافر الى تركيا لمدة ستة اشهر ، وعاد ، من ثم الى دمشق .. كان يمارس هوايته في الرسم بالاضافة الى عمله في الجيش التركي .

وكان يتمتع بذكاء خارق ، وقوة ذاكرة عجيبة .. وبدأ يشتهر بفنه هذا حين رسم احدى الشخصيات البارزة في مجتمع دمشق ، من خياله ، في وضع خاص في (المرحاض)، رسما طريفا تحدثت عنه دمشق في سهراتها الطريفة لمدة طويلة .

وحدث مرة ان كلف بالذهاب للسلطان عبد الحميد في وفد عسكري ، يحمل لائحة باسم جماعة من الضباط المستحقين الترفيع . وفي تركيا خطرت للمرشح توفيق فكرة .. « ان امضاء السلطان عبد الحميد صعب، ولكني استطيع ان اقلده ! » وهكذا خرج الفنان توفيق من عند السلطان ومعه ورقتان : الاولى بترفيع قائمة الضباط . . والثانية بترفيعه هو ! وعلمت دمشق بالحادث ، فأبرقت الى تركيا تخبر القصر بان المدعو توفيق طارق ليس من الضباط المستحقين الترفيع. وثار السلطان عبد الحميد.. « كيف يستطيع هذا الفنان ان يقلد امضائي ويلعب على ذقني ؟ »

وهكذا سلبت منه الرتبة .. وسجن .. تم عفا عنه السلطان واعاده الى رتبته السابقة : (مرشح) . وسافر اثناء الحرب العالمية الثانية الى (الترعة)مع من ذهب من جنود الجيش التركي لمقاتلة الانكليز .. وهناك اسره هؤلاء ، ولكنه استطاع ان يكسب الطف الضباط الحراس عليه .. أخذ يرسمهم .. واقنعهم مرة بزيارة دمشق . قال لهم ان في دمشق جامعا كبيرا جدا ، له باب واحد اسمه (الاموي) ...

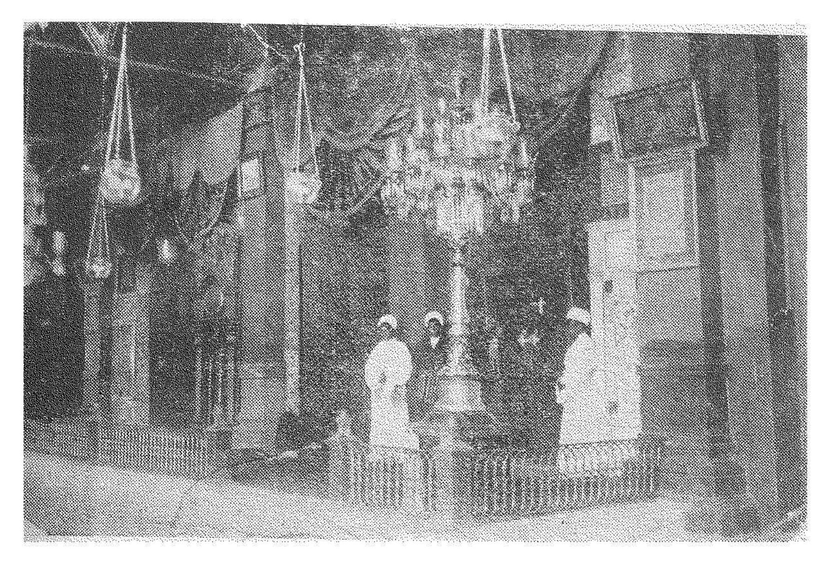
وفي دمشق دخل معهم هذا المسجد من باب (المسكين) وبقي بعض الحراس من الرتب الخفيفة على الباب خوفا من هروبه ... وفي داخل المسجد الكبير اختفى الفنان الذكي ..

كان قد خرج من باب اخر !

ومن المعروف ان (للاموي) اكثر من باب !

وسافر بعد مدة الى الحجاز ليرسم (الحجرة النبوية) ، ولكنه منع هناك من ذلك بحجة ان الدين الاسلامي لا يسمح بهذا .. ورجع الى دمشق عن طريق فلسطين وفي رأسه انطباع قوي للحجرة النبوية الشريفة . رسم الحجرة في لوحة رائعة (ترى صورة عنها مع هذا المقال) وهو في فلسطين . اصبح في هذه الفترة فقيرا معدما ، وقبل ان يعود الى دمشق اودعها عند احد بائعي (الكازوز) لان نقل الصور من فلسطين الى دمشق كان ممنوعا الا بمراسيم قاسية وطويلة ، على أن يرجع فيأخذها حين يمتلىء جيبه بالمال ، ولكنه لم يستطع الرجوع الى فلسطين ثلاث سنوات رسم خلالها حوالي ثلاثين لوحة تركها كلها عند آل (فوزي ابو الهدى) الذي ارتحل الى بيروت ولا يزال يسكن فيها حتى الان .

وعاد الى دمشق . كان يلبس في هذه الفترة قبعة ، فأسماه اهل دمشق لذلك بـ (الكافر) . ويروون انه كان مرة مع تلميذه الفنان المعروف (زهير الصبان) يرسم احد احياء (العمارة) .. ومر امامه احد الفلاحين على



صورة فوتوغرافية عن لوحة (الحجرة النبوية) للفنان طارق . لاحظ الدقة في التنفيذ .

★

حماره ، وهتف به :

ـ هادا هوه الكافر !

واذا بفناننا الكبير ينفجر غيظه المكبوت ، ويهاجم الفلاح الغبي ، ويشبعه ضربا ولكما ، حتى جاء الناس وحلوا التشابك الدامي !

وكان توفيق طارق يهدف الى توحيد لباس الرأس ، وقد رأيت بين مخلفاته في بيت ابنته ـ زوج السيد (عبده المرسناني) في دمشق ـ اسكتشات كثيرة للباس الرأس في انواع متعددة ، ولكنه لم يكن ليجب ان يعتم بالطربوش الاحمر ، ويفضل عليه القبعة .

وعندما احترق الجامع الاموي وتهشمت اكثر تزييناته ، جاء العمال الجاهلون، فكادوا يضيعون معالم البقية الباقية من الفسيفساء وهم يرسمون الجدر ... وجاء فناننا المهندس يوما يراقب العمل ... وصاح بملء فيه بنزفه المعروف ـ توقفوا ايها الاغبياء ..

وتوقف العمال . وصعد الفنان الاصيل يرمم الفسيفساء المحترق .. ولولاه ، لكان فخر دمشق بفسيفساء الجامع الاموي الان ، ليس له مكان في احاديث التاريخ . وفي هذه الفترة ايضا اشرف على ترميم جامع السنانية المعروف في منطقة (باب الجابية) بدمشق ، وعلى اعادة مبنى المجمع العلمي العربي . وفي هذا المجمع اليوم اربع لوحات محفوظة للفنان (توفيق طارق) .

وكان سخيا الى ابعد حدود السخاء ، نزقا الى حد انه لم يكن احد ليجرؤ ان يوجه اليه اي نقد ، وثرثارا ذا نكتة وسخرية .

وقد تزوج مرتين . الثانية اسمها (مسرة) تزوجها بعد وفاة زوجته الاولى ، ومنها ابنته (زهره) التي تعيش الان في دمشق ويقدر عمرها بحوالي الخمسين . تقول ابنته (زهره) هذه انه لم يكن يبيع اية لوحة الا اذا وافقت هي على الثمن . وحدث مرة ان رسم لوحة (مشمش في كأس مملوء بالمياه) وعرضها في واجهة مكتبة (محاسن) القديمة في شارع الصالحية بدمشق ، ووضع تحتها رقم (٢٥ ليرة ذهبية) . وحين قال له صديقه الفنان المعاصر سعيد تحسين :

ـ السعر غال جدا يا توفيق .

اجابه :

ـ الذي لا يريد ان يزوج ابنه ، يرفع مقدار مهرها .

وكان يدخن بكثرة ، ويقول عنه البعض انه كان يحسي الخمرة . ولكن ابنته (زهره) نفت لي هذا بشدة .

وكان انيقا جدا .

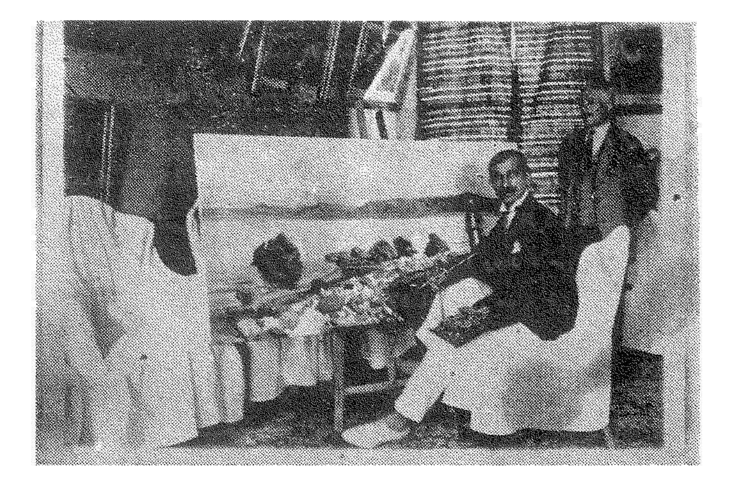
وجاءه مرة صاحب احدى دور السينما التي كانت في « سوق التبن في دمشق ، ورجاه ان يرسم له على الستارة المتحركة للمسرح اي منظر تزييني . وصور عليها الفنان توفيق صورة لجبل (المهاجرين) في يوم مشمس وقد ارتاده الدمشقيون (للسيران) ، واخذ الناس يتدفقون على صالة السينما هذه ليتفرجوا على الصورة لا على ما تعرضه الشاشة ! وقد ربح صاحب الدار من جراء ذلك ، كثيرا من المال .. وبدأ الفنان الكبير يمرض . فسافر الى بيروت .. وهناك ابلغ ان الحكومة التركية قطعت عنه معاش التقاعدية الذي كانت منحته اياه بعد انهاء خدمته في الجيش. وقد عاش في بيروت وحيدا الا من خادم سفيره من افريقيا رسمها في لوحة صغيرة الحجم ، محفوظة الان عند ابنته في دمشق ، وهناك ابدع لوحته الضخمة المسماة (حريق صيدا) .

وكانت له طريقة عجيبة في الرسم .. فلقد جرت العادة ان يبدأ الفنان برسم اللوحة من الاعلى الى اسفل .. اما هو فقد كان يبدأ من الاسفل ثم يصعد في العمل الى اعلى .

وفي بيروت اشتغل بالاضافة الى ممارسته هوايته المضنية عمل مساحة الاراضي .

★

كان مساء خريفيا ، رجع فيه من احدى رحلاته الى حقل رطب الارض ،



الفنان الانيق اثناء العمل في احدى لوحاته (اعمى طبرية)

واحس بان في عينيه غشاوة ما . وفي البيت انكب على طاولة يكتب لابنته في دمشق انه يحس بمرض وتعب مرهق .. ثم انتقل الى زاوية اخرى في غرفته ليضرب بريشته الخطوط الاخيرة للوحة كبيرة عن (معركة حطين) .

وبعد ايام جاءته الابنة التي يحبها ..

كان وجهه قد اصفر ، فتجعدت البشرة ، وارتجفت الاصابع الطويلة المؤنفة ..

وعانقته الابنة الباره .. ومن خلال دموع الوداع رجاها ان تذهب فتمر بكفها على سطح اللوحة التي لم تتم ... لوحة (حطين) . ودهشت الابنة لهذا الطلب ـ اذ انه لم يكن يسمح لاي انسان ان يلمس اية لوحة من لوحاته ـ . ومرة ثانية رجاها ان تذهب فتتلمس اللوحة الكبيرة بكفها ، ولما فعلت ، سألها :

ـ ماذا وجدت بها من جديد يا زهره ؟

قالت الابنة :

ـ انها .. خشنة يا ابي .

وقال الفنان في تباطؤ :

ـ هذه هي الطريقة التي ستسود المدارس الجديدة في الرسم .

ثم توقفت شفتاه المتحركتان عن الحركة ، وتهدل الجفنان الطريان الازرقان ، وارتخت اليد التي كانت قائمة تشير بأناملها المؤنفة الدقيقة الطويلة الى اللوحة الاخيرة ... وغرزت الابنة الباره وجهها في الصدر البارد ، مجهشة بصمت .

قد تمطر السماء هذه الليلة .. وبين قطرات المطر المنسابة على القبور الترابية في مقبرة (باب الصغير) في دمشق ستكون دموع الناس الطيبين الذين يحترمون الانسان الحقيقي الذي يعيش بصدق وبساطة وعمق وطيبة . ان فناننا العربي الكبير يرقد اليوم في مقبرة (باب الصغير) .. اننا لا نستطيع ان نحدد يوم وفاته لتكون له ذكرى سنوية معينة .... فلقد مات توفيق طارق في وطننا العربي هذا ، مثلما يموت كل الناس العاديين .

عبد الهادي البكار — سوريا ـ دوما



لا يزال مكان المسرحية خاليا في الادب العربي على اطلاقه ، وفي الادب المعاصر بوجه خاص ، وذلك لان الفن المسرحي جديد في الضاد ، لما يستقر على أساس مكين . واذا كان للشعر في اللغة العربية تراث ضخم ، واذا كان للقصة من مطولة وقصيرة موضع في الادب العربي الحديث ، الا ان المسرحية في الضاد لا تزال بغير تراث ، وكتابها قلة قليلة ، والمترجم من المسرحيات ما برح متواضع القدر بالنسبة لما تعمر به اللغات الاجنبية من ثروة عريضة في باب الادب المسرحي .

وهناك عقيدة تتملك الحياة الادبية العربية جميعا ، وهي أن المسرحية جزء من الفن لا جزء من الادب ، اعني انها تمثل ولا تقرأ . وما دام باب القراءة موصدا ، فليوصد اذن باب النشر ، ويقتصر دور المسرحية على منصة التمثيل ، فهي المكان الطبيعي لهذا الفن الاصيل .

وسواء صحت هذه العقيدة او لم تصح ، فقد فعلت فعلها في الحركة الادبية ، وانصرف الادباء عن كتابة الروايات المسرحية ، وضعف المسرح حتى كاد يصبح اثرا من آثار الماضي ، وصار حظ الادب العربي في باب المسرحية حظا كثير التواضع والخمول .

وما يصدق على التأليف المسرحي يصدق كذلك على ترجمة المسرحيات من اللغات الاوروبية . فقد تضاءل ركن المسرحيات المترجمة في المكتبة العربية الى حد بعيد ، واصبحت الضاد من افقر لغات العالم في المسرحيات ، ما كان منها مترجما او مؤلفا ، وهو فقر تتضح جسامته كلما تضخمت فروع الادب الاخرى وانكمشت المسرحيات . واذا كانت القصة والمسرحية فرعين في دوجة واحدة ، فهما فرعان غير متكافئين ، احدهما مثقل بالثمار ، والاخر يكاد يكون عاريا من كل ثمر .

ولعل مشكلة الحوار هي اعصى مشكلات التأليف المسرحي ، لان المسرحية حوار كلها ، اللهم الا ما قد يورد فيها من اوصاف قليلة تساعد على توضيح الصورة ، كالاشارة الى ملابس المثلين والى مكان التئامهم او الى نبرات اصواتهم او خلجاتهم او تصرفاتهم . اما القصة ، فان عنصر الحوار فيها ثانوي لانها تعتمد في المقام الاول على التصوير بالقلم . والتصوير في الاغلب ايسر من الحوار ، لانه مجال فسيح يجول فيه الكاتب ويصول ، بينما الحوار يقتضي كثيرا من التركيز ، وكثيرا من الذكاء ، وغير قليل من البديهة الحاضرة .

فوصف العاطفة مثلا ايسر من صوغ العاطفة في حوار طبيعي موجز . فان جاء الحوار متكلفا تبدو عليه امارات الصنعة والافتعال ، افقد المسرحية كل قيمتها . وفي وسع كاتب القصة ان يستغني عن الحوار تماما ، فيجنب نفسه ركوب هذا المركب الصعب . وفي وسعه ان يعبر عن دخائل النفس جميعا بالاوصاف المسهبة ، اما ان اراد ان يستعين بالحوار للاعراب عن المشاعر ، فقد لا تسعفه اداته ، وان اسعفته ، فقد يجيء الحوار مفتعل العبارات مضطرب الالفاظ . ولعل هذا من اسباب عدم اقبال الكتاب على الادب المسرحي ، وايثارهم القصة عليه .

وقد جرت محاولات ناجحة للجمع بين الشعر والادب المسرحي في عمل واحد ، وكان رائد هذا الفن الشاعر احمد شوقي ، ثم حاكاه محاكاة مزدانة بالتوفيق الشاعر عزيز اباظة في مسرحياته المختلفة والشاعر علي عبد العظيم في مسرحيته الشعرية « ولاّدة » والشاعر حسين سراج في مسرحيته «غرام ولاّدة» . وقد تكون هناك محاولات اخرى للشعر المسرحي ، ولكنها لم تبلغ في قمتها مبلغ ما وصل اليه شوقي وعزيز اباظة وعلي عبد العظيم وحسين سراج . ومع ان خليل مطران كتب للمسرح وترجم ، فانه لم ينظم شعرا مسرحيا اسوة بقرينه شوقي . ومما يلاحظ ان الشعر المسرحي المعروف لنا ، سواء في ادب شوقي او ادب عزيز اباظه وعبد العظيم وسراج ، انما يقوم على قصص تاريخي لم يتعب الناظم في « تأليفه » ، وان كان قد اجهد قريحته الشعرية في تنضيده شعرا اخاذا يشجي بنغمه القارئين والمصغين على السواء . اي ان اجتماع فرعي المسرح والشعر الادبيين قد جنى على فرع التأليف القصصي ، ولكنها جناية مغتفرة يشفع فيها ان اولئك الشعراء قد حلقوا الى قمم في الادب والفن عاليات .

وحاول علي احمد باكثير محاولة جديدة في اللغة العربية هي ترجمة رواية « روميو وجولييت » لشكسبير بشعر مرسل . وقد جاءت الترجمة بارعة من حيث انها نقلت ادب شكسبير نقلا امينا الى القارىء العربي ، ولكن ارسال الشعر منقوصا فض عنه الثوب الشعري . وأدخله في صميم النثر الفني .

وشارك في ترجمة المسرحيات ادباء قلة ، منهم خليل مطران وطه حسين ومحمد عوض ابراهيم ودريني خشبه ومحمد فتحي ومختار الوكيل وسهيل ادريس وابراهيم ناجي وكاتب هذا الفصل ، غير ان جهدهم قليل بالنسبة للعبء الثقيل الذي ينبغي ان يحمله المترجمون في هذا المضمار . فالمسرح الامريكي والمسرح الانجليزي والمسرح الفرنسي ، ودع عنك سائر المسارح من اوروبية ولاتينية ، لا تزال تحتاج الى تقديم لقراء الضاد . بل ان كبار

المسرحيين وروادهم من امثال ابسن وجورج برنارد شـو ويوجين اونيل وارثر شنتزلر وسترندبرج وجولز ويرذي وأرثر ميلر واوسكار وايلد ومكسويل اندرسن وغيرهم مـا برحوا مجهولين لدى قراء العربية ، سواء بأشخاصهم او بأدبهم المسرحي الرفيع .

اما في باب التأليف المسرحي ، فان الضاد مدينة لـرواد هذا الفن مثل عزيز عيد ويوسف وهبي ومحمود تيمـور وتوفيق الحكيم وابراهيم رمزي وزكي طليمات وعـادل الغضبان وعلي احمد باكثير وسعيد تقي الدين وبشر فارس وفتحي رضوان واحمد الشرباصي ، ومدينة قبل هـؤلاء للاوائل النابهين من امثال فرح انطون وطانيوس عبده ونقولا الحداد . فقد كانت لكل من هؤلاء الادباء جولات بارعة في الادب المسرحي ، ولولاهم لما كان للمسرح مكان في الادب العربي . وفي المسرحيات الفكهة عرفنا مؤلفين بارزين مثل نجيب الريحاني وبديع خيري في الجيل الفائت ونعمـان عاشور في يومنا هذا .

ولعل المسرحية الوحيدة التي استضافها الادبالسعودي هي مسرحية« الشياطين الخرس » لعبدالله عبد الجبار ، وان تكن محاولة اولى . اما الادب المسرحي في سوريا والعراق والاردن فيكاد يكون منعدما .

ولا ريب في ان مما يعيب الضاد خلوها من ادبمسرحي، الا في النطاق الضيق الذي اشرنا اليه . وحتى الادبـاء المتخصصون في كتابة المسرحية ، فانهم مشدودون الـى التاريخ بحبال متينة ، يستمدون من التاريخ لا من الحيـاة المعاصرة ، مادتهم الاصيلة ، ويضيفون عليها ما يرتأون،سواء في الحوار او في الوقائع . وقد سبقت القصة المسرحيـة في هذا المضمار ايضا ، لانها تحللت من قيود التاريـخ ، وانطلقت تعالج مشكلات النفس ومشكلات الجماعة ،معتمدة اعتمادا كليا على خيال الكاتب ، سواء استمد مادته من واقع الحياة او استجمعها من انسجة الخيال .

والمسرحية في الادب الغربي هي من ارفع الفنون الادبية التي تسمو بذوق القراء ، وتلقنهم دروس الحياة في قالب طبيعي لا اثر فيه للكلفة . وهي كذلك ركن جوهري مـن اركان الادب لا يقل عن القصة مرتبة ، وقد يتقدم علـى الشعر في المنزلة القيمة ، كما هو الشأن في الولايـات المتحدة . فقد انحسر الشعر في امريكا الى حد كبيـر ، ونهضت المسرحية نهوضا مطردا بعيدا . والادب المسرحي آخذ في النمو في الادب الانجليزي والفرنسي والالمانـي والاسباني . ولكن مما يؤسف له ان مكان هذا الادب لا يزال خاليا في اللغة العربية ، ويخشى ان يموت موتا معجلا ان لم يتداركه الموهوبون من حملة الاقلام .

ولعل هذه الازمة في الادب المسرحي من صنع الناشرين لا من صنع الادباء انفسهم ، اي ان العلة كامنة في الطباعة لا في التأليف . ودليل ذلك ان هناك تمثيليات تمثـل على المنصة فعلا دون ان تطبع وتنشر ، فيضيع اثرها مـع توالي الايام . ودليل ذلك ايضا ان نصيب المسرحية فـي حصيلة المطبعة في كل عام لا يتجاوز عدد اصابع اليـد الواحدة ، مما يقطع بأن الناشرين غير متحمسين لهذاالادب المسرحي ، وانهم يؤثرون فنون الادب الاخرى على الفـن المسرحي .

وهذه المشكلة تحل اذا صار الذوق العربي متقبـلا للمسرحية المنشورةتقبله للمسرحية الممثلة . فعندئذ لا يجد الناشرون حرجا في طبع المسرحيات ، ولا يخشون انتبور بضاعتهم اذا ما عرضت في اسواق الكتب . وان قيل ان الامر يحتاج الى مخاطرة من جانب الناشرين ، قلنا : وهل عدمت تجارة ما عنصر المخاطرة ، حتى وان كانت تجارة كتب او تجارة لؤلؤ ؟ ومتى عرف الناس قدر المسرحيـة المطبوعة ، ازدادوا عليها اقبالا ، وزالت حيرة الناشريـن وترددهم .

فالمسرح في آداب الدنيا جميعا بناء شامخ عالي الذرى محمول على اعناق العباقرة من الادباء المبرزين . ولكـن المسرح ما برح يحبو ويتعثر في دنيا الضاد كالطفـل اذ يتحسس خطاه في عتمة الليل . وما دام الاساس قد ارسي في الضاد بكوكبة من طلائع المسرحيات ، فلم يبق الا اتمام هذا الصرح بأقلام السائرين في هذا الدرب من مؤلفيـن ومترجمين .

وديع فلسطين

لقاء على سفوح الأرز

كنا صديقين ، وكان الهوى
طفلا بريئا ، وشراعا صغير
ورفلة من حرير
وبسمة تغفو على بسمة
وكركرات . وحكايا عبير .

***

كنا صديقين
نلون الفجر باحلامنا
ونستحي من بوح اقدامنا
ونطعم الحقلا
مشاتلا خضراء من هوانا
وانجما بيضاء من رؤانا
ايام كان الهوى
في مهده طفلا .

***

كنا صديقين
اشرب ماء القمح من عينها
وتشرب القهوة من عيني ،
كنا اليفين
اسأل عنها الناس انى اسير
تسأل عني الناس انى تسير ،
... ودارت الارض
ودارت الارض بنا اربعا
فخلفت اضلعا
مهشمات ، وهي لا تدري
بأننا كنـا
كنا صديقين
على شراع وحكايا عبير
ورفلة من حرير
وهمس قلبين
نجمع العالم في قصـة
ونستحي من بوحنا ان يطير .

***

ودارت الارض
ودارت الارض ... فقمحيتي
على سفوح الارز حقل يطير
حقل يغني : « امتي امتي
طيري مع النسر ، الى القمة
فنحن جند من حواليك
ونحن في دربنا
الى الاعالي قمة قمة
الى الاعالي نطير
على جناحيك »

....

من اين يا انت
من اين اقبلت
من اين .. كيف الحال .. «مشتاقة
اسأل عنك الناس انى اسير »
وصافحتني .. وابتدت قصة
اقوى من الموت
اقوى من الحب الكبير الكبير :
« اوحشتنا ــ قالت ــ فحلق بنا
فنحن في دربنا ...
الى الاعالي نطير .

هذي يدي ما عانقتها يد
فاشدد عليها يا اخي في المصير

محمد جميل شلش

العراق ــ بعقوبة



ألف الباحثون الغربيون ان يصموا بالوحشية كل الشعوب ذات المستوى المتأخر نسبيا . ونحن الان ، في هذه الفترة الحاسمة من معركة تقرير مصير امتنا العربية مرغمون على تصحيح هذا الخطأ ، اذ أننا مرغمون عموما على اعادة النظر في كل القيم التي ورثناها عن اجدادنا والتي تلقيناها من النوافذ الحضارية المختلفة . اننا ، بقفزتنا البطولية من رصيف التاريخ الى قلب المظاهرة ، اصبحنا مسؤولين بعد ان كنا هامشيين . والمسؤولية تقتضي الفهم الواعي . وربما كانت «المدنية» هي اولى المقولات الانسانية التي يجب علينا فهمها واتخاذ موقف عقائدي واضح منها . فهل تقوم المدنية على النفعية كما زين لنا فلاسفة الاستعمار ذلك ؟ ام هي قائمة على ركائز نظام لاهوتي غيبي استسلامي ؟ ام انها من الامور الرومنطيقية التي تذهلنا روعة احاديث هيجل ونيتشه وبرغسون عنها ؟؟ لقد نفينا هذه المواقف الثلاثة – في العدد الماضي من الاداب – اذ اظهرنا دورها الخداعي في تبرير وحشية الاستعمار الاجنبي او سيطرة الطبقات المستغلة الداخلية ، تلك كانت « سراب » المدنية ... وآن لنا ان نتحدث عن « اليقين » (١)

من اين يبدأ اليقين ؟ يبدأ اليقين من محاولة فهم «الموضوع» فهما عقليا واعيا ... اذن فهل ادرك علماء الاجتماع « الحياديون علميا » كنه المدنية ؟ لقد قال علماء الاجتماع : « في كل مجتمع بلغ درجة ما من المدنية نشاهد فئتين من الوظائف هما الوظائف الفكرية والوظائف التقنية – اي التكنيكية الفنية العملية – يضاف الى ذلك وظائف التنسيق والتوجيه والسياسة والدين . فالمدنية ، بالاعتبار السكوني ، هي حال نمو واتساق هذه الوظائف . اما بالاعتبار الحركي ، فالمدنية حركة تطور وتقدم ونمو كنمو جميع فئات الوظائف الاجتماعية الكبرى على نحو متلازم ، بالرغم من تفاوت هذا النمو بالقدر وبالانتظام » .. هذا كلام علمي .

ولكننا نقول لعلماء الاجتماع ان المدنية قيمة . فاذا تجاوزنا المعلومات المفيدة التي زودنا بها علم الاجتماع ، ووصلنا الى مستوى القيم ، فعلينا ان لا نتهالك عند اقدام اول قيمة نصادفها ونتشبث بها فنؤكد بأن «المدنية ثقافة» مثلا . وانما علينا ان نتابع البحث ونسلط كل الانوار ، وآنذاك نجد ان ثلاثة اقطاب من «اقطاب القيمة» تحيط بمفهوم المدنية . « ان فكرة المدنية مفهوم معقد يغتذي في آن واحد بفكرة الطبيعة ، وفكرة الثقافة ، وفكرة الاخلاق ... ويجب علينا ان نتصور العلاقات بين الطبيعة والثقافة والاخلاق ، في بناء فكرة المدنية ، على نحو تتجلى فيه هذه المدنية واقعا في الطبيعة ، وحقيقة في الثقافة وقيمة عملية في الاخلاق » وآنذاك لن يخدعنا سراب .

ما هو قطب الاخلاق الذي يؤثر في بناء المدنية ؟ « انه ينبوع حب الانسان لقرينه حبا يؤلف المحرك الدافع الى ابداع اتحاد روحي يؤدي به الى تواصل الضمائر التي تغدو شفافة بعضها ازاء بعض ، فتنظمها ارادة مشتركة تتوخى زيادة الاغتناء والنوايا الصالحة . انها امور كثيرة يلخصها كلم قليل . ولكن لا بد من طرح هذا الينبوع الذي ينبثق عنه الاجتماع الانساني والحفاظ عليه اذا شئنا الا نفلت من يدنا كل ما يمنح الانسانية معناها وقيمتها » .

ولكن ماذا نقصد بالحب ؟ هل هو الحب الشاعري الحالم ؟ ام هو الانصهار الصوفي بين الانا والانت ؟ ام انه ذلك التعاطف الذي تحدث عنه « ماكس شيلر » ؟ انه لا هذا ولا ذاك . بل هو حب واع بالفكر وبالروح جدير بأن ينهض بالطبيعة ويحورها مستعينا بالثقافة . اذ أن الاخلاق لا تتسرب الى كيان الطبيعة عند الانسان الا بتوسط الثقافة اي الذكاء . ان الكلمة وحدها تنقلب لحما . ولا بد للحب اذا اراد الاستغناء عن الذكاء من ان يؤول به الامر دائما الى ان يفسد داخل الطبيعة عوضا عن النهوض بها ورفعها اليه . ان الحب ، ما لم يكن ارادة فهم ، لا يستطيع القيام بما يراد له من ان يكون خميرة اخلاقية في الاجتماع الانساني .

وارادة الفهم هي عمل ذهني تجعل صاحبها قادرا على ان يتبنى وجهة نظر الاخر من غير ان يهمل وجهة نظره

---

(١) ان بحثينا عن المدنية هما تلخيص للكتاب الرائع : «المدنية ، سرابها ويقينها » الذي وضعه جورج باستيد عميد كلية الاداب في تولوز ، وترجمه الى العربية الاستاذ الدكتور عادل العوا رئيس قسم الفلسفة بالجامعة السورية

الخاصة . « وعلى هذا فان الاخلاقية الاجتماعية تتجلى بالسلوك التعاقدي . وعندما تختفي النية الصالحة المتفهمة لا يرتد الانسان الى الطبيعة ، بل يحل محل نيته نية شريرة خبيثة قوامها اساءة التصرف بنية الاخرين الحسنة . وعلى هذا فان النية الفاسدة نوعيا انسانية شأنها شأن الاخلاق ، وهي تفسح المجال لظهور انماط من السلوك الانساني لا تشبه البتة سلوك الحيوان ، استغلال الانسان للانسان ، الرق ، الظلم ، الاستعمار ، الحرب ، كل ذلك يغتذي بالنية السيئة في العقود » .

اذن فمن ارادة الفهم النابعة من نية حسنة يتفتح العمل الانساني المنطوي على قيمة تمدين . وما فاعلية التمدين الا هذا التوجيه الذي يجعل الفاعلية البشرية تنحى في منحى زيادة تفهم الانسان نفسه ، اي تطلع الشخص الى ذاته على نحو تأملي شفاف مهتديا بنور ينبغي اقتطاعه بالثقافة من ميدان الطبيعة ، وذلك بتعاون كل فرد من المجموع تعاونا حرا. ان الشخص لا يتكون بالانطواء على ذاته بل بفاعلية متفهمة ، اي بطرح حقيقة موضوعية خلقها تبادل الاستشارة بين ضمائر متأهبة لان يتفتح بعضها امام بعض وان ينفذ بعضها الى باطن بعض .

وهكذا يصبح بامكاننا أن نقول عن المدنية : « انها توجيه الفعالية البشرية على نحو تحدث به الثقافة تغييرا يسبغ على الطبيعة او على الواقع المعطى قيمة اشارة او أداة لاتصال الضمائر » وان هذا التعريف يسمح لنا أن نتنفس بحرية خارج نطاق « الثقافة » الغربية ، ويسمح لنا بالتالي ان نحاكم الذين اتهموا بالوحشية ــ ضد المدنية ــ كل شعب لم يتبن الثقافة الغربية بحذافيرها .

فمن جهة اولى لا يوجد مجتمع من غير ثقافة . اذ لا بد من توفر منظومة من الآلات والاشارات والادوات في كل مجتمع انساني مهما كان اوليا حتى يوجد . وينجم عن ذلك ان غير المثقفين لا يوجدون الا بالمعنى النسبي ولهذا يتضح لنا فورا ان اعتبار الفوارق الثقافية لا يصح ان يستخدم لتمييز المتوحش عن المتمدين بل لتفريق مستويات المدنية بعضها عن بعض . ومن جهة اخرى نلاحظ امكان قيام وحشية علمية ثقافية ، وحشية منطقية، وحشية تقنية ، ولسنا بحاجة للالحاح على ذلك كي يقتنع الناس حولنا ممن لا يزال بصرهم سليما . « اننا نسمي وحشية هذا الوجه من الفعالية الانسانية التي يفرض بها الانسان على الواقع المعطى تغيرا من شانه استخدام الثقافة مهما كان مستواها في منحى نفي اتصال الضمائر وحذفها ... ان ادق انواع الكلام كالرياضيات ، واعمق انواع الكلام كالموسيقى ، واكمل اداة كأداة الاذاعة ، واعظم تأثير مثل تفجير الذرة ، كل ذلك يغدو مدنية بقدر ما يزيد اتصال الضمائر ، او يغدو وحشية بقدر ما ينفي هذا الاتصال . ان وسائل الثقافة لا تنطوي بذاتها على اية كفالة تضمن انها وسائل مدنية » لانها لا تنطوي على أية كفالة تضمن توفر نية اخلاقية طيبة .

اذن فاذا خلصنا من تهمة الوحشية الشعوب التي لم تتبن ثقافتنا بالذات ، اصبح من الممكن القول بوجود عدة مدنيات، هنا وهناك ، البارحة واليوم وغدا ، وهذا يعني ان الجهد الانساني الرامي الى فهم « الانسان » يستخدم مادية الوسائل الثقافية المختلفة بحسب الامكنة والازمنة ، وينجم عن ذلك اختلاف اشكال النتائج الحاصلة بحسب اختلاف الزمان والمكان . بيد أن معنى هذا الجهد ، ووظيفة هذه الوسائل ، وحصيلة هذه النتائج ، ينبغي ان يتوخى فهم « الانسان » بالانسان ، اي الاتصال الكبير بين الضمائر. وعلى هذا فان « التقدم » لا يمثل في تفجر قوى ارضية او كونية ... بل هو تغيير الانسان شروط وجوده المكانية ــ الزمانية على نحو يمكن الضمير من أن يزيد في وقت واحد غناه ووحدته ، ووضوحه وعمقه .. ان التقدم هو كسب المدنية » .

وما هو دور الحرية في هذا التقدم او في فاعلية التمدين او في ارادة الفهم الاساسية ؟ ان الحرية وظيفة تمدين .لان العمل الانساني يتم بالحرية ، وفي الحرية ، وللحرية . ان العمل الانساني يتم« بالحرية » اي انه ينبثق دائما من حرية اختيار واعية ، وانه يتم « في الحرية » اي انه يولد وينساب في هذه الفواصل الماثلة في الكون ، حيث لا شيء معطى ، وحيث يوجد عدم ينبغي ان يملأه فعل جائز لما يستقر بعد ، والعمل الانساني يتم « للحرية » اي من اجل الاستقلال الذاتي ضمن مواءمة تريد ان تكون دائما اكمل فأكمل بين المعرفة والارادة . والحرية هذه نشاهدها تقوم بدورها كوظيفة تمدين حين تتجلى في فاعلية ضمائر الرجال الاحرار ، او حين تتجلى في ثورات ــ الشعوب النزاعة الى الحرية والاستقلال الذاتي . والامم ، كالاشخاص ، تعظم حريتها بقدر ما تعرف كيف تجعل من ثقافتها قانون تحررها .

وجعل الثقافة قانونا للتحرر يوثقها برباط اخلاقي متين ويجعلها في منأى عن الايدي الوسخة . اذ اننا نعلم لسوء الحظ أن الثقافة قد تمكن لظهور الاخلاق : جميع اشكال الاستعباد الهمجي الذي يزداد آرهاقا كلما كانت الثقافة المستخدمة اكثر تقدما . ان الايدي الوسخة استطاعت ان تجعل الثقافة وسيلة للانحراف الانساني . وفي وسع الامم ، كما في وسع الافراد ، اعتناق سلوك قائم على الهوى المضطرم بقدر ما تتجاوب فيه البواعث الانفعالية على هيئة صدى آخذ بالتضخم الى ما لا نهاية . وتمسي الامم حينئذ « فريسة تتناوبها جميع انواع الهذيان ، هذيان العظمة او هذيان الاضطهاد . وتصبح العلاقات الدولية لا تخضع الا لقانون واحد هو قانون تناوب القوى التي تشيع الذعر والصلف وما يقابلها من تناوب العبودية والسيطرة » .

وقد اصابت المذاهب الاشتراكية في تشخيصها لهذا الانحراف المَرَضي ، عندما كشفت امام مذهب السياسة الاقتصادية الحرة جميع مساوىء الاهواء الاقتصادية التي تعمل فيما وراء جدار الحياة الخاصة . وكذلك اصابت المذاهب الاشتراكية في تشخيصها للاباحية المحتومة التي يدين بها النظام الحر « حيث لا تكون الحرية فيه الا فوضى » . ان من حق الاشتراكيين المطالبة بتغيير البنيات الاقتصادية « الحرة » تغييرا جذريا ، والمطالبة بضرورة تمتع الدولة بوظائف اقتصادية واسعة ، وذلك منعا لاستغلال الثقافة في طريق منحرف تبريري . ان اي بناء اقتصادي لا يستطيع ان يحمل في ذاته سبب وجوده ، اي قيمته . . « ليس من شأن الانسان الحر ان يعمل ليعمل ، بل ذلك شأن الاستعباد القميء ، شأن الشح الذي يطلب الثروة للثروة ، وان من شأن الضمير الهمجي وحده ان يتحرى الوصول الى السلطة من اجل سحق القريب على احسن وجه . الا ان هذه هي حال الامم ايضا : انها بحركة واحدة تفقد اتزانها فتفقد حريتها الحقيقية اي استقلالها الذاتي » .

لا توجد امم حرة ، كما لا يوجد اشخاص احرار ، الا بقدر الاشتراك في ممارسة جهد الاستقلال الذاتي الحقيقي « اي بقدر انحراف قيم الثقافة عن وظيفتها كوسيط بين الطبيعة والاخلاق . ينبغي ان تكون دورة الثقافة تامة : ان يتعلم الانسان ليعمل ، وان يعمل ليتثقف ، وان يتثقف لتكون له قيمة ، اي ليعرف ما هو يريد ، ليريد وهو يعرف ، اي اخيرا ليكون حرا ، لا حرية اتباع الهوى ، بل حرية بناء ذاته بوعي يزداد وضوحا ويزداد عمقا بعلاقاته مع العالم ومع الناس . هكذا ينبغي ان يكون اتجاه كل سياسة تمدينية حين تعمل على بناء العلاقات القومية والدولية بالقانون » .

وينتج عن ذلك ان الامم ، وهي التجمعات التي تحمل المدنية ، تؤلف اشكالا جد رقيقة لما يشتد ساعدها كالمدنية عينها « لانها تنزعج في حمى مأساة الحياة السياسية الراهنة الى ان تنفي ذاتها بحسب احدى حركتين متعاكستين : الاولى حركة انحلال ، والاخرى حركة ازدهار . ذلك ان القوى التجريبية الخاضعة للاهواء حين تترك لشأنها انما تولد في الواقع حركة لامعينة من الانحلال الذي لا يحده حد الا في قانون الطبيعة اي في شرعة الغاب . والواقع ان حركة الانحلال هذه تنشأ من ان افرادا ، او احلافا قائمة على الهوى ، داخل الامم او خارجها ، تسرف في استغلال نتاج الثقافة من اجل نصرة ارادة القوة لدى اولئك الافراد او تلك الاحلاف . يعطف القانون وكل ما يغذيه من علم وفن وفلسفة ودين في منحى ارضاء الاهواء التجريبية وهذه الاهواء بطبعها ذاته لا يمكن ان تطابق الارادة التمدينية في الامة . . . ان غفلة أولاء من الناس ، وهؤلاء الآخرين ، ونوم القانون ورضوخه السلبي الى نوع من البقاء ، كل ذلك يمثل اقوى عوامل الانحلال القومي ، ويمثل من ثم اضمحلال الجهد التمديني الدولي لسيطرة ذوي الاهواء على الغافلين » .

اما حركة الازدهار ، على العكس ، فانها تنجم عن استقامة توجيه القانون الى اهداف انسانية كلية ، وتسعى لان تخلق لدى كل فرد وعيا اوضح ونورا ازهى وتعاونا ثقافيا اشد .

ولكن هل تنفصل هاتان الحركتان عن بعضهما ؟ كلا بل « ان جدل الانحلال وجدل الازدهار ، لا ينفصل احدهما عن الاخر الا بالتحليل . اما في الواقع فانهما يمتزجان دائما امتزاج الماء بالراح . ويعمل كلاهما باتجاه يعاكس الاخر . وان محصلة هذين الجدلين المتقابلين هي التي تؤلف في كل لحظة مستوى المدنية من الناحية الاخلاقية ، وان ثنائية توجيه هذين الجدلين تؤدي آخيرا الى شكلين من سلوك الانسان خلالهما يقرر مصيرنا : فجدل الانحلال يجر دائما الى السلوك الحربي المصحوب بتقهقر قيم المدنية تقهقرا مريعا ، وجدل الازدهار يتدفق على العكس ، بنسغ الفكر الخصيب في الدفقات التمدينية الكبرى ويتجلى في ثمار انتصاراته السلمية الفنية كل الغنى بالطعم الانساني » . وان السلوك الحربي يفضح الانحلال لان الحرب محنة لا برهان : انها محنة اليمة تمتحن بها الاخلاق ، وليست بالبرهان على قيمة هذه القوة من الناحية الاخلاقية . وبهذا المعنى يقول جوريس : « لتحل اللعنة على الانسانية ان وجب على الانسانية ان تقتل الى الابد لتبرهن على شجاعة الانسان » .

واذا كانت الحرب محنة فان المادية التاريخية لا تخطىء عندما تعتبر الحياة الاقتصادية أهم العوامل في السلوك الحربي . وكذلك فان الذين يعتبرون ان الاهواء اصل الحروب لم يخطئوا ايضا . « والحق ان النظريتين تتم احداهما الاخرى لانه لا توجد اية مادة محضة كما لا توجد اية عقائدية محضة في حقل الاهواء » .

وبذلك فان المعتدي مجرد من كل صفات المدنية اذ انه مجرد من القيم الانسانية . ان المعتدي حين يخدع نفسه ويذكر ايمانه بالقيم الروحية « فان هوى العدوان يفسد هذه القيم لان هوى كهذا الهوى انما هو ايمان بكون زائف . واذا زعم هذا الهوى انه من الله ، فالله الذي يشار اليه ليس سوى « كائن » يتعقله ضمير فاسد ، انه عكس « الكائن » اي ان اسمه الحقيقي « العدم » » .

ولكن أليس ثمة من طريق للخلاص ؟؟ ان باستيد ، بعد ان فضح المستعمرين الغربيين الذين رموا بالمدنية في احلك أزماتها ، لم يختم كتابه دون ان يعتقد بأن هناك طريقا للخلاص ، وهذا الطريق هو عبارة عن « ميثاق اخلاقي للمدنية » مؤلف من عشرين مادة .

المادة الاولى : ينبغي ان ندعو « مدنية » ظهور جهد عالمي يتوخى تحقيق مصير الانسان .

المادة الثانية : ان مصير الانسان لا يمثل في ان يرضى بل في ان يتكامل .

المادة الثالثة : لم يعط الانسان اية حال من احوال الكمال، ولذا فان من المحال ذكر نظام مطلق يمكن تعيينه من اجل تحديد هذه الحال . ولكن حضور فكرة « الكامل » في ذات الانسان يجعل من واجبه ان يتحرك في منحى تكامله .

المادة الرابعة : الحياة حركة فعلا ، ولكنها لا تنتظم من تلقاء ذاتها في قيمة « الكمال » . فلا بد اذن من توفر فعل الارادة الانسانية حتى تخصص الحياة « للقيمة » .

المادة الخامسة : ان « التاريخ » فعلا حركة محصول الارادات الانسانية . ولكن الارادات الانسانية لا تتجه اتجاها تاما ولا كليا في منحى التقارب شطر « القيمة » . ولذا وجب قيام حركة هدي الارادات والا بقيت هذه الارادات بدونها عائمة وظل « التاريخ » الذي يعرب عنها يضم كل شيء من الاسوأ الى الافضل في مزيج مضطرب لا يمكن تنقيته .

المادة السادسة : ان الدستور الاساسي « للعلم » يوكل اليه تفسير الحوادث بالقوانين الوضعية التي تسيطر عليها . ولكنه يفرض على العلم عدم صلاحيته لتحديد المنحى النهائي لتكامل الانسان . ولذلك يمتنع قيام علم وضعي «بالمدنية» . وكل معرفة تدعي ذلك خطأ ، وهي تفقد اما في غبار الحوادث واما في تراكيب طائشة انحرفت انحرافا غير مشروع عن عملها التفسيري الى عمل معياري .

المادة السابعة : ان التفكير الفلسفي هو الطريقة الوحيدة التي توصل الى وعي الشرط الانساني وعيا دقيقا وذلك بتحديد وضع الانسان في دنيا القيم تحديدا دقيقا .

المادة الثامنة : ينبغي للتفكير المنهجي ان يساعدنا على احتياز وعي دقيق بمضمون المفاهيم الرئيسية الثلاثة ، مفاهيم الطبيعة والثقافة والاخلاق ، وبالعلاقات القائمة بينها ، مما يضفي على المدنية دلالة معيارية .

المادة التاسعة : تتكون فاعلية التمدين بالدرجة الاولى من انتظام الطبيعة في الاخلاق بتوسط الثقافة ، خلال جميع احوال التنوع التجريبي ، وان عكس فاعلية التمدين يسبب الوحشية .

المادة العاشرة : ان امام المدنية طريقا ممتازة هي طريق زيادة التفاهم بين الناس اي طريقة تقدم الضمير .

المادة الحادية عشرة : ان ارتقاء الضمير يطابق تقدم الحرية .

المادة الثانية عشرة : ان المجتمع الانساني لا يبرهن على تمدنه الا بقدر ما يهدف الى ازدهار الاستقلال الذاتي .

المادة الثالثة عشرة : ان للعلم وظيفة قويمة تمثل في زيادة وضوح الضمير عن طريق معرفة موضوعية قوامها النية السليمة ، وبهذا المعنى فحسب ، يتمتع العلم بوظيفة تمدينية رئيسية .

المادة الرابعة عشرة : ان للفن وظيفة قويمة تمثل في زيادة عمق الضمير حين يحرص على أن تتصف العواطف الانسانية بصفة القيمة الكلية . فبهذا المعنى وحده ، يؤدي الفن وظيفة تمدينية رئيسية .

المادة الخامسة عشرة : للفكر حياة تتجلى وظيفتها الخالدة في زيادة وحدة الضمير بهدي الارادات الانسانية الى سبيل « القيمة » المتعالية ابدا ، مع ما يتصل بهذا الهدي من نتائج أخصها بالذكر النظر الى الحرب من زاوية الباطن والاضطلاع بمسؤولية الشر ، واشادة النية السليمة المجردة .

المادة السادسة عشرة : ان وظيفة العمل هي تحقيق قدرة الانسان في العالم . وهذه الوظيفة تجعل الانسان في الواقع حقلا ممتازا لارادة القوة فيستغل الانسان الانسان داخل انخلاع عام غير ان العمل ليس سبب هذا الانخلاع المنبثق عن انحراف الارادات ، وانما مناسبة وحسب . ولذا يمكن تحويل العمل بهدي هذه الارادات الى سبيل قيمة وحدة الضمير .

المادة السابعة عشرة : ان الطريق الطويل الشاق ، طريق « الحق » والعدالة ، هو السبيل الذي يمكن ويجب ان يسلكه الجهد الانساني للخلاص من النتائج اللاانسانية الصادرة عن ضرورة البحث عن سلطان الانسان في العالم ، اي لمنح العمل قيمته كمحرر مشترك .

المادة الثامنة عشرة : ان اسم « الجمهورية » يليق بالامة بقدر تنميتها العدالة بالقانون ، اي بقدر تنميتها الحرية . والحرية هي وحدها الشيء الذي يمكن ان يكون عاما مشتركا . اي ان امتلاك عدد من الناس له لا ينقص منه ولا يحط من شأنه وانما يزداد من جراء تنافس الجميع فيه .

المادة التاسعة عشرة : ان الانسان ليس بانسان الا بين الناس . وكذا الامة ليست بأمة الا بين امم تتعاون في اطار ميثاق دولي مشترك .

المادة العشرون : لا يرين على « الانسان » اي مصير محتوم . وانما يلقى الانسان امامه تناوبا وحيدا : فاما وحدة الضمير وهي فرح وسلام ، واما تمزق الضمير وهو حزن وحرب . وبعبارة اخرى ، ان عملا واحدا يطلب اخلاقيا من الانسان : الجهد ضد الاختلاف وفي سبيل الوحدة . ذلك هو وحده طريق الحياة . اما سائر ما بقي فليس سوى هوى مميت .

شريف الراس

الدودة الاخيرة

« القصة تتلخص فيما اظن ان الدود يزدحم على جثة الميت ... فاذا فرغ منها عاد الدود فالتهم بعضه بعضا ويبقى منه بعد ذلك دودتان كبيرتان فيتنازعان البقاء فتفترس اقواهما اضعفهما ، ثم تموت الدودة الاخيرة بعد ان لا تجد ما تقتات به »

ازدحم الـدود على جثـة — اضفى عليها نسج اضراسها
حلة نعمى اذهبت طيبهـا — واستنفدت آخر انفـاسها

كم قلبت فوق فراش وثير — وكم تروت من معين السرور
واستخدمت في عيشها زمرة — كبيرها يهرع قبـل الصغير

الامر امر نافذ حكمـه — والنهي نهـي بالغ شأنـه
حازت من الدنيا جميع المنى — فاين (هرون) وسـلطانه

هذي الملايـين بلا حاسب — من ذلك الدود الكثير الكثير
امتارها مائـدة دسمـة — وبات يرعى في حماها النضير

لو شامها في قبرها شائم — لتلفت ــ للهول ــ اعصابه
منظر قبح بعـد حسن فما — لذة عيش تلك اعقـابه

امسى يغني الدود في روضة — ما اخرجت احسن منها السماء
اغصانها اثمارها ، نورهـا — يقطف من الوانها ما يشاء

قد استوى المأمور والآمـر — فيها وامسى العبد كالسيد
فمن يجد في راسه عزة — شجت غدا بالترب والجلمد

ثم خلا الدود الى بعضـه — من بعد اكل الجثة العافية
وابتـدأت معـركة فـذة — تسحق اوهام المنى الفانية

تنازع العيش لـه عبـرة — كانهم بعد الوغى يخلدون
للنفس امال وطول المـدى — يقصر ان اذوته ريح المنون

الدود يردى بعضه جاهدا — يقتات اقواه من الاضعـف
كالناس والطبع له شاهـد — في حيثما يممت من مقذف

واختتم المرأى على دودتين — من بعد فتك وافتراس واين
قد رامتا خلدا فيا سخفـما — توختاه مـن خداع ومـين

واحتدم الجوع قلم تصطبر — احداهما وانبـرت الثانيـة
كلتاهما تبغي البقـاء الذي — اعيا جميع الامم الماضيـه

واشتدت المعمعة الدائره — واستضرمت جبارة حائره
فيا لها من صورة ان تكن — صغرى ففيها المثل السائره

ما الفرق بين الحرب عند الانام — والحرب عند الدود فوق الرغام
من كان ذا نفس ضنينا بها — فلن يبالي في هواها الصدام

حتى وهت احداهما وارتخت — فابتلعتهـا الدودة الظافره
كم دودة في بطنها يا ترى — من بعد ان كانت هي الاخره

واصبحت في القبر غلابـة — لا ملك الا ملكها في التراب
انفردت بالعيش واستيقنت — وهماً بان العمر رحب الجناب

ماذا وراء النصر في حومة؟ — مغلوبها يشبه غلا بهـا
ان الردى كاس ولا بد ان — يجرع جبار القوى صابها

يستبشر المنصور في غدوة — ومادرى ماذا يجن المسـاء
وكم لواء فـاز صبحا فان — جاء الدجى حطم ذاك اللواء

وخدعة العيش طبيعيـة — لكنها تذهل عمـا يـرام
اعشت الفا ام ثلاثاً ؟ فمـا — بعد سوى تركك تحت الرجام

وغبرت ساعات برح اليم — ونالها في الجوع امر عظيم
حالة نحس بعد سعد وهل — من حالة عند الليالي تدوم؟

وجهدت تبقي علـى نفسها — ما ادخرته من ذمـاء الحياه
تنهش من احشائها ما تقي — به كريم الروح كرب الوفاه

خطبتها تمت ولا ضير ان — يمنى خطيب مصقع بالسكوت
بالعـة الجثة مع دودهـا — آن لها مرغمة ان تـموت

مكة ــ الحجاز

حسين سرحان



نجوى

ديوان شعر للاستاذ عدنان مردم

دار المعارف بمصر — ١٥٥ صفحة

✶

لم تسبق هذا الديـوان ضجة من اجله في صحيفة او ندوة ، ولا مطارحة حول موضوعه وشكله ، وانما اتخذ سبيله في رفق وهدوء الى القراء مطويا بين دفتيه وتحت عنوانه ، فجاء بمظهره ومضمونه دليلا على ان الشعر العمودي الموهوب ما يزال بخير وعافية ، ماضيا على طريقته مرتقبا تجديدا أعم ومسايرة للزمن والواقع ، على الرغم من تيار الاعصار الذي هب في وجه الشعر الحديث فافقده وزنه وجعله مترنحا حيران ،لا يدري في هبة التيار اين المصير .

غير أن الحركة الادبية التي مرت بها الرياح الاربع في زماننا وكل ريح تتقاذفها نحوها لا يستطيع ادبنا الجديد بسببها ان يستقر وأن يتخذ وجهة محددة ، ولا ان يتعرف الى ملامحه ومزاياه ولو ان هذا الادب تمثل شخصا ووقف امام المرآة لرأى ثوبه وذاته في الوان شتى وطراز غير مؤتلف ولا متسق ، فاين يكون شعرنا الجديد من شعرنا القديم ، ومـاذا طرأ عليه من التطور والتحول الذي اختلفت فيه الآراء والاهواء ؟

من البديهي ان ادبنا لا يستطيع ان يجد الاستقرار في مجتمع غير مستقر ، فمثلما يكون مجتمعنا يكون ادبنا وفيه شعرنا الذي تتجاذبه اشتات الثقافات والمذاهب الفكرية والسياسية ولا يتجافى عن المحاكاة والتكرار ، فهذه البلبلة اذن تدعونا لالتماس المعذرة حين نحس قلق الشعر واضطرابه كما يدعونا للبشاشة والامل ما نرى بين حين وحين من شعر لم يتنكر لاصله وما اخذ بالحديث على علاته وغلوه في التقليد والانطلاق.

من هذا الشعر العمودي الجزل ديوان ((نجوى)) للشاعر عدنان مردم بك الذي قيد خواطره وانتفاضات احساسه وقريحته في ابيات ومقطوعات منوعة الالوان والالحان ، كان اروعها ما اهتاج في نفس الشاعر وما طـوف بباله وخياله من الصور اللماحة التي لم تلبث ان استحالت رؤاها الطبيعية الى شعر مردمي اصيل ، وقد عنيت بالمردمي في شعرنا المعاصر ما ابدع فيه ابو الشاعر الاستاذ خليل مردم بك رئيس المجمع العلمي العربي فـي دمشق ، فان دقة الوصف وروعة التصوير في شعر عدنان امتداد لنبوغ أبيه في هذا الفن الذي كان الطابع الاول لشعره المعهود .

والشواهد كثيرة في الديوان ، على ان الوصف الدقيق هو عمود الشعر لديه ، فما اجمل تصويره لحلقات الرقص ، وفيها تهادت الغواني تـارة تهادي الاطياف بالمقل ، وتارة كانت تتلوى كلما عصفت اشواقها بنـار كالافاعي .

وكان الشاعر عدنان مستجيبا لحس الطبيعة عميق الشعور بحياتها وتقلباتها ، فصور بشعره كثيرا من مجاليها ، فهو اذا رأى العاصفة صورها في هبوبها وتزعزع الغصون وتشريد الطير عنها وسقوط الاوراق ، وقـد كان موضوع العاصفة في الفن الغربي مثارا لاشواق كثير من الشعـراء والموسيقيين ، وهذا ما استهوى الشاعر عدنان ، فقد اجاد في تصـوير الطبيعة تعبيرا وحسا وخيالا ، وفي ديوانه تصاوير كانها الـواح فنية مواجة بالظلال والالوان للشتاء والبحر والنار المتاججة ومشرق الصباح وانسدال المساء ، وحين انعقدت سحابة وطفاء في السماء شاق الشاعـر المردمي تصويرها فالهمته قصيدة رائعة ، اما السراب الذي تصوره في خياله فقد جاء في شعره ظمأ الفن الى انهار الحياة .

وفي ((نجوى)) عواطف وطنية وهواجس انسانية تربط المرء بارضـه ومائه وهوائه واهله . فمقطوعة ((دمشق)) وقصيدة ((امي)) واهـداء الديوان الى اخي الشاعر الذي لفه الموت ففيبه في ربيعه العشريـن ، والوقفة على ضريح البطل في ثورة ((ميسلون)) والجولة الطويلة فـي رواق الجامع الاموي وتسريح النظر في نقوشه ومآذنه ، كل هذا تحنان خالص ومواجد شعرية سكبها صاحب ((نجوى)) في الفاظـه ومعانيه ، فجاءت شفافة الاداء طافحة بالصور واللمحات .

وقد لا يروق هذا الشعر الذي نسجه صاحبه كما نسج العـرب قصائدهم حتى شوقي ومطران وامين نخله وأبي ريشة ، كثيرا من المتعلمين الذين يحسبون ان الشعر العوبة ناشىء تعلم العروض او تسلية مراهـق في تنضيد الحروف ورصف الكلمات في مسلوب من القريحة والموسيقى والروح الشعرية التي تتابى على كل من لم تخلق فيه ، فلا ترضى بـان ينسكب جمالها هدرا ولغوا ، فالشعر الذي يشوق المتخففين اليوم من كل قيد او صعوبة في الفن والثقافة هو ما سال عفو المداد لا عفو الخاطر حتى اجترأ على مثل هذا النظم كل من استهواه الظهور على الـورق ، مستعينا بالالقاء المسرحي والحركات التمثيلية اذا حدثته نفسه بالانشـاد والترداد .على ان اكثر ما نقرأ من النظم اليومي شبيه بالازاهير الصناعية من الشمع والورق ، لا يعطيها الحياة ما توضع فيه من الآنية المزخرفة .

اما الشاعر المطبوع عدنان مردم الذي نشر نجواه على الطريقة التقليدية فانه لم يتجاف عن التجديد في صوره ومعانيه ، لكن هذا التجديد يبـدو فاترا وضئيلا اذا قيس بما ينشر اليوم من آثار الشعراء المجددين ، وكان

بطاقة الشاعر ان يرضي الفن الذي يريد للشعر الحديث انسكابا موسيقيا وتجاوبا عميقا مع الحياة التي تترادف كل يوم بأشتات الرأي والصور والمفاهيم الجمالية الجديدة .

لقد اعطانا الشاعر صاحب « نجوى » قصائده بيسر وسهولة حتى هون علينا لذة التفكير ، وكاد يضيع جمال الاداء والصورة ، والشعر اذا لم يحملنا على الشوق والتامل ويرمينا في انسراح الخيال والابداع هو شعر يؤثر العافية ، ونحن نؤثر المشقة في سبيل الفن .

دمشق **وداد سكاكيني**



نحن .. والوجودية

تأليف محمد لبيب البوهي

✶

الامة العربية في تجربتها الثورية الراهنة ، وفي عودتها الى تاريخها وذاتها وابداعها ، وفي استفادتها من حضارات امم العالم ... بامس الحاجة الى (التطعيم) بافكار الامم الاخرى ، والى التفهم للفكر العالمي الحديث ، والتفاعل مع تجربة العصر القلق التي تقاسيها امم الارض كافة !

وعندما ياتي بعض الكتاب في احيان كثيرة ، وفي زحمة ما تخرجه دور النشر العربية في هذه الفترة ... فيدعون الى الانعزال والتقوقع والقرف من كل ما هو « غربي » ، ومن كل ما يمت لامم الغرب كافة بصلة نسب ... انما ينفعل هؤلاء انفعالا سلبيا زائفا بالنكبات التي سببها الاستعمار الغربي للامة العربية ، وبالتاريخ الاسود المشؤوم الذي سجله تعامل الغرب مع الشرق ... وانما يسير هؤلاء مع وهم تقسيم العالم الى شرق وغرب ، وفكرة ان الشرق شرق وان الغرب غرب وانهما لن يتلاقيا ابدا !

ان هذا الانفعال السلبي ، او هذا (الانكماش) والتراجع الذي هو بمثابة دفاع عن النفس وصيانة لها وخوف عليها ... اقول ان هذا الانفعال السلبي ، رغم انه انفعال طبيعي وعادي في اصله وفي بدايته ، الا انه ليس بالموقف الحر الخلاق ، ولا يمكن ان يكون استجابة ايجابية . ان هذا الموقف انما يجاري ضعف الشرق السابق ، وضعف امتنا (السابق ايضا) .. فتكون الاستجابة بقدر الامكانيات وبقدر الاسلحة وبقدر المناعة . هذه سنة الامور ، فلا يستطيع اي كائن في اول الامر ، وعند مداهمة الخطر له ، الا ان يتراجع ويتحصن ضد الخطر ، ولا يستطيع الا ان يتخذ الموقف الذي يتلاءم مع امكانياته واستعداده لمجابهة الخطر .

ولكن هذا الموقف — بالنتيجة — لا يكون موقف الحر المبدع ، ولا موقف المستجيب الفاعل المنفتح على الفكر وعلى العالم وعلى التاريخ ، والمتلقي لكل تراث البشر مع الحفاظ على اصالته ونبعه ، وعلى شخصيته وقوميته ، رغم صهره للتراث البشري في بوتقته والتفاعل معه وتمثله وخلقه من جديد : خلقا عربيا اصيلا . ولا يكون هذا الموقف ايضا ، موقفا لائقا بالامة العربية في فجرها المنور الجديد ، فجر الظفر وبور سعيد ... لانه موقف الوهن والضعف والانهزام ! ذلك ان الامة العربية مستعدة الان — اكثر من اي وقت مضى — لتلقي كل تراث البشر وهضمه وتمثله دون ان تفقد شخصيتها القومية العربية ، وانما لتتخذ من الفكر الحديث ومن تجارب الامم حافزا لها في ثورتها الانقلابية الخلاقة التي تطبع المرحلة الانسانية لا تاريخها الخاص فحسب !

الامة العربية في امس الحاجة التي شعر بها القديس غاندي لامته الهندية عندما قال اننا يجب ان نفتح كل النوافذ وفي كل الاتجاهات دون ان يستطيع اي اتجاه ان يقتلعنا من جذورنا او ان يفقدنا شخصيتنا.

✶

ان على السياسة العربية التحررية ، واجبا اهم في اساسيته واولويته من السياسة الخارجية ... والامر كذلك لانه لا تستقيم اية سياسة خارجية تحررية الا انبثاقا وانطلاقا من وضع داخلي تحرري ، لا تستقيم وتثمر وتنمو سياسة خارجية تحررية الا بضمان من الداخل والا بمناعة في الداخل . السياسة العربية الداخلية اذا ارادت ان تكون متحررة من عصور الانحطاط العربية ومن فقدان الشخصية العربية الخلاقة ، واذا ارادت ان تكون محررة للشعب العربي الذي رزح قرونا متطاولة تحت وطأة اعمدة الهدم من جهل ومرض وفقر وجدب في الابداع — ان على هذه السياسة ان تفسح الطريق والمجال للافكار المختلفة ، ولتيارات الفكر الحديث المعاصر ، كي يستطيع الشعب ان يبني تجربته وهو منفتح على العالم ، بقوة تعادل قوة امم العصر وافكار العصر .. والا استمرت حالة التخلف والانعزال . هذه الافكار المختلفة لا بأس ان تتصارع وتتصادم ولا بأس ان تنقد وتهاجم بعضها البعض ، على شرط واحد لا مفر منه لتوفر الايجابية والاخلاص : وهو توفر جو النقد السليم الواعي المرتكز على الاسلوب العلمي ، وعلى المعرفة الاكيدة ... لا على تصورات واوهام واساليب جاهلة ، قاست الامة منها في السابق ولا يجوز ابدا ان يستمر وضعها على ما كان عليه .

✶

من الافكار الغربية التي نقلت بعض آثارها الادبية الى المكتبة العربية حديثا ، والتي كان سماع المواطن العربي عنها حديثا ايضا : الافكار الوجودية . والفكر الوجودي المعاصر ، كما انتشر في بيئته الفرنسية والالمانية وغيرها ، وجد بعض الصدى في انحاء مختلفة . وككل دعوة حديثة او بدعة جديدة كثر قول القائلين وكلام الذامين والمخوفين من اضرارها في الشباب العربي وتاثيرها عليهم . ولا شك ان اية دعوة في بداية وصولها الى اي شعب من الشعوب ، تجد من الزيف وسوء الفهم والتقدير ما يتناسب مع حداثة معرفتها وجدة السماع بها . ونحن نعرف ان الدعوة الوجودية كثيرا ما ثرثرت عنها الصحافة العربية السيارة ، خاصة المصورة منها ... وكانها مجرد دعوة الى الانحلال والابتذال والى التفتيش عن كل ما هو غريب وعجيب .. واعتقد ان هذا النوع من الفهم للفكر الغربي الحديث غير مشرف اطلاقا للامة العربية وللمواطن العربي في فجر البعث العربي الجديد .

فنحن لا يجوز ان نبدي هذا الخوف من الفكر الغربي ، وهذا التشويه له في نفس الوقت ، بدلا من ان نكون ايجابيين فعالين فنعمل — قبل تكوين وجهة نظر لنا — على ترجمة كافة الاثار الوجودية الى لغتنا العظيمة ، ونمني في نفس المواطن العربي حب معرفتها ودراستها ، معرفة واضحة ودراسة جدية كافية لان يستطيع المواطن ان يكون نظرة حقيقية صادقة عنها .

وطبعا ليست الفلسفة الوجودية ـ واعطيها اسم (الفلسفة) رغم كل ما تثرثره الصحف وما يثرثره الادعياء ـ ... مجرد صور عارية منحلة ، ومجرد تصرفات شاذة مبتذلة . نحن لا نستطيع ان نتجاهل ان الفلسفة الوجودية بناء كامل شامخ يقف بنفس المستوى ـ على الاقل ـ من التعمق الفكري والبناء الفلسفي ، وفي منطلقاته ومقولاته .. مع الفلسفات التاريخية الاخرى ... وانها كموقف انساني من الله والكون والانسان والموت تبدأ من مسلمات ومعطيات معينة وتبنى عليها محافظة على انسجامها .. انها وحالتها هذه جديرة بالاهتمام كل الاهتمام . ولا نستطيع ان نتجاهل ايضا انها تقف فلسفة امام فلسفة وفكرا امام فكر مع الفلسفات والافكار الاخرى التي تطبع العصر الحديث المتأزم بالقلق والخوف والتوقع .

✶

ليس في خاطر هذا الحديث ان يتعرض بالتفصيل والبحث للفكر الوجودي ، ولما يقوله هذا الوجودي او ذاك ، او ما يشرحه هذا الاتجاه الوجودي او ذاك .. لانه موجه كرد على الذين كتبوا ويكتبون في الوجودية لمجرد تحذير الناس منها لانها بدعة غريبة ـ ويفهمونها على الوجه السطحي الذي تثرثر به الصحافة ـ ... ولانها لا تؤدي الا الى انحراف الشباب واستهتارهم بالفضائل والتقاليد والعرف العام المحافظ .. ولان هذا الحديث موجه بصورة خاصة « للاستاذ » محمد لبيب البوهي الذي اصدر كتيبا بعنوان « نحن والوجودية » ، وطرز عليه انه نال جائزة الادارة العامة للثقافة في وزارة المعارف المصرية . لا نستطيع ان ندخل في بحث تفصيلي عن الوجودية وعن اصحابها ، لان الكتاب تسوده روح واحدة هي روح الانفعال السلبي والصاق كافة التهم المتعارف عليها بين الناس والشتائم القاموسية في الوجودية وانصار الوجودية .. ولان كل قول لاي وجودي يستدعي التعليق عليه عند المؤلف بانه ضد الدين والمقدسات والعقل والمنطق والمجتمع وكل ما تعارف البشر عليه . وليس غريبا ان تكون الدراسة بهذا المستوى ما دامت مصادر البحث ـ كما وردت في الكتاب ـ مجرد ترجمات بسيطة وآراء مبتسرة . ورغم انك يا اخي القارىء اثناء مرورك على صفحات الكتاب ، لا تستطيع الا ان تتصور ان على رأس المؤلف عمامة ضخمة .. الا انك تجد ان اكثر ما يهتم به المؤلف هو ايراد آراء (هنري لوفافر) في الوجودية ، او آراء (جان كانابا) فيها في كتابه (الوجودية ليست فلسفة انسانية) ... فالمؤلف يتبنى ـ دون وعي ودون انتباه ـ آراء ماركسية في الوجودية ، وأنا متأكد انه يستعمل نفس سباب وشتائم (جان كانابا) في كتابه السابق الذي كتب ليكون فلسفة امام فلسفة فكان مجموعة قاموسية من الشتائم ..

ونحن لا شك بحاجة لشواهد الكتاب لاظهار الحقيقة فيما زعمناه . ومن السهل تصور النية المعينة التي اقنعت المؤلف بجعل اول فصل للكتاب عن (الوجودية والاسلام) ، وكان المؤلف خاف من تهمة الرجعية فكانت اولى كلمة في الكتاب تقول : « ليست هذه كلمة رجعية » . ومن اول البحث تظهر الغيرة على مثاليات الشرق فيقول « فمن حق مثاليات اهل هذا الشرق ان تكشف عما في هذه الواردات من حق او زيف » . ثم ينجلي الخلط ، وتتجلى قيمة البحث كرد فلسفي فكري « اذا كانت الوجودية من المرونة بحيث يمكن ان تتسع لافكار كثيرة فانني استطيع في وضوح ان اقول «ان الاسلام دين يحقق الوجودية المثالية ؟! ص ٥

ثم يتحدث المؤلف عن (حقيقة الوجودية) فينفي عنها صفة (الفلسفة) اولا على اعتبار ان الفلسفة « لا بد ان تنتهي الى نتيجة ولكن الوجودية لا تنتهي الى شيء » ص ٩ ، وكأنه يتصور ان لكل فلسفة نتيجة هي مجموعة من الفرائض والوصايا والمواعظ !! ثم يقول شيئا اعتقد انه مضحك « فما يصلح به فرد يصلح للمجموع الا في حالات شاذة نادرة قد تحتاج علاجا خاصا » ص ١٠ ، وذلك طبعا لان « الاديان تشير الى ان الله تعالى خلق الانسان على صورته » ص ١٠ ايضا . وعندما يتحدث عن الايمان الوجودي بالتجربة والمعاناة يصل به الحد الى تجهيل الوجودي بشكل لا يخطر على بال انسان « فهو لا يعترف بالنار لمجرد انه يشاهدها او لان الناس اسموها كذلك وخافوها بل لا بد له من ان يحترق بها كي يدرك ذلك » ص ١٥ ، وكأنه قد قدر للوجودي المسكين ان يعزل عن العالم والناس والتاريخ فلا يهتم بتجاربهم ومكتشفاتهم . ثم يبين جناية الوجودية على « المقدسات » فيقول « فالله سبحانه خلق الشيطان لا لنتجه اليه ولكن لنتجنبه » ص ٢٤ . وطبعا عليك ان تقتنع ان الروح العلمية تسود البحث سيما وهو يذكر المحاسن والمساوىء كما هي عادة العلماء « ومن محاسن الوجودية اليقظة التامة لدفع كل ذرة من ذرات الوجود الانساني لتنفيذ الهدف اذا كان الهدف ايجابيا » ثم يشك فيقول « ولو حدث هذا لكان لها محاسن اخرى منها تنمية الشخصية الاستقلالية» ص ٣٠ . اما ما يردده المؤلف في كل صفحة فهو ان الوجودية صنو الانانية والانعزال والفناء في الذات حتى انه يقول في الصفحة ٣٤ «معنى هذا ان الوجودي لا يمكن ان يكون زوجا او ابا لان اتجاهات الحياة الزوجية او العائلية سوف تتعارض مع اتجاهاته الذاتية » . والمؤلف يفرض وصاياه على البشر وينوي رسم طريق محدد للفكر الحديث (كالدوجميا) التي استعبدت القرون الوسطى ونشرت ظل (ارسطو)

على قرونها الطويلة ((فهو لا يريد ان يعلم — الكلام عن الوجودي — بأنه عسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وانتم لا تعلمون)) ، فلماذا تريد ان تعلم وتؤلف يا حضرة الاستاذ ؟! وكفى الناس شر القتال ما دام هنالك ما يسميه المؤلف ((نظرية القضاء والقدر)) . وبعد ذلك يقف المؤلف ندا لند امام المفكر العالمي (هيدجر) فيقول ((نسير على حذر مع هيدجر فاذا استحق ان نصفق له فعلت ذلك كمسلم مخلص صادق غيور على الاصول المقدسة)) .

وانا مرتاح الضمير — كما يقولون — عندما اقول ان المؤلف يضيع حتى في معاني التعابير والكلمات ، لانه يخلط خلطا مضحكا في كثير من الاحيان بحيث لا يفهم الا المعنى اللغوي العادي لبعض الكلمات ولا يهتم بمدلولاتها الفلسفية .. فكثيرا ما يعتبر الوجودية لا تفترق عن البحث في ((موجودية)) الانسان اي كونه موجودا !! وخاصة عندما يعتبر ان الاسطورة في التاريخ مجرد تخيلات اطفال فيقول عند التحدث عن الاسطورة الاغريقية (سيزيف) : ((ولعل هذا دليل على عدم جدية الوجودية لان الاستشهاد بالخرافة هو نوع من الخرافة لانها لن تؤيد نظرية قائمة)) ص ٧٤ ، وكأن الاساطير عند الاغريق لا تمثل هواجس وارهاصات وروح حضارة عريقة جبارة ؟! ويحمل بعد ذلك حملة صليبية على انسان مسكين اسمه (انيس منصور) وكأن كل جريمته انه اصدر اخيرا كتابا عن الوجودية وانه يتعرض لها احيانا في كتاباته ، مما يدل على النية المبيتة للعمل على استعداء الناس على كل من يشذ عن المواضعات المتخثرة والتقاليد المحفوظة في العلب ويسعى لتنفس كافة الاجواء والصيد في كافة المناطق. وكما قلنا آنفا ، رغم مشيخة المؤلف كما يعترف هو ، نجد انه يتحدث سهوا بنفس معتقدات (جان كانابا) الماركسي ((اننا نعيش في زمن تزداد فيه قوة الطبقات الصاعدة في تعاون يقوى ويشتد على مدى الايام ، ولا بد ان تجرف المخمورين بنشوة كاذبة بما يسمونه زيفا حرية الاختيار)) ص ٨٤ ..وينهي المؤلف (اطروحته) بتشريح قصة (الغريب) لحائز جائزة نوبل لهذا العام (البير كامو) ، فيصور بطلها (مورسو) وفظاعة مجونه ولهوه عند وفاة والدته كشاهد على انحلال الوجوديين الذي قال فيه ما قاله مالك في الخمر !!

✶

ان الوجودية عندما تقول ان الانسان حرية تستدعي مسؤولية وعندما تدعوه للالتزام لموقفه الخاص ولفداء التزامه ، لا يمكن ان تكون دعوة استهتار ولهو لااخلاقية .

وان الوجودية عندما تقول انه لا مفر من القلق والشعور باللامعنى والفراغ والضياع لا يمكن ان تكون متشائمة سوداء يائسة لمجرد ذلك ، لانها تحرض وتدعو للرد الانساني الصاهر للقلق والمفتش عن المعنى لكل شيء... ولا الحكم عليها معلق بالفهم للفداء الذي تطلبه في الرد الانساني الحر الذي يعطي ملامح الانسان الخاصة ونكهته الخاص لكل موقف يختاره. فلو كانت فلسفة تجد الجراة لان تقذف المواعظ والوصايا وتدعو للامبالاة واللااهتمام بالحياة لكانت كذلك ، ولكنها تطلب الموقف في كل حين ، وتطلب الرد ، وتطلب الاستجابة للتحديات .. تطلب الفعل امام اللافعل والانفعال، تطلب الحرية والمسؤولية امام التازم الذي نعيش ، وتعيش الامة ، ويعيش العصر ... فكيف تكون فلسفة حرية ومسؤولية وفلسفة موت وانهزام وتخاذل في آن معا ؟!

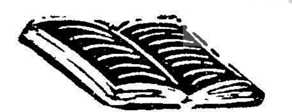
وان الوجودية عندما تقيم الانسان على عرش الوجود ومملكة الكون وتجعله المسؤول الاول ، وعندما تجعله خالق مثله واخلاقه ومواقفه لا يمكن ان تكون لا انسانية لا تقيم وزنا للانسان وتهدم انسانيته ؟! اللهم الا اذا فهمت — كما كان الامر مع صاحبنا — من انها صنو الانانية وفناء الفرد في انحرافاته النفسية لا غير !!

✶

اذا كان يراد بهذه الحملات على كل فكر حديث عالمي ، وعلى الذين يحاولون توضيحه للمواطنين في هذه المرحلة الحرجة ، ارهاب وكبت هؤلاء الناس ... فليعلم اصحابها انهم الخاسرون الان ودائما . ولنا في التاريخ عبرة ، فكم من فكر ارهب وحورب فما ازداد الا اصرارا واقتناعا، وما كانت حملات التجهيل ومحاكم التفتيش لتجدي ان لم يجد البحث الرصين الهادىء..

وكل ما اتانا به المؤلف لا يهم بقدر ما يهمنا ما هو على جانب كبير من الخطورة وهو تزكية وزارة المعارف المصرية لمثل هذه الدراسة ومنحها جائزة يستغل المؤلف كتابه للاعلان عنها ولاقناع الناس بتبني هيئات رسمية لدراسات تنقصها الجدية اللازمة ... فما دامت الوزارة هيئة رسمية مسؤولة لا تمثل فردا او جماعة ، انما الشعب كله ، وما دامت وزارة (معارف) بالذات ، فأول ما يفرض فيها وهي القيمة على المعرفة ان لا تسخو على ما هب ودب من كلام الجرائد ... وانما ان لا تتعامل الا مع الدراسات الجديةالمثمرة ، وهو اول ما يفرض في رجالها . اما ان يتصرف في شؤونها طاقم من طرابيش السلطان عبد الحميد ومن — ربما — خريجي دار العلوم المصرية ... فهذا مما لا يليق بها ، خاصة والسيارة الحرة الجبارة للثورة التي انعكست داخلا وخارجا لا بد لها من ان تجد سندا دائما لمثلها وشعاراتها بتنظيف الاجهزة الحكومية واخطرها جهاز المعارف سيما في هذا الدور الذي تطلع علينا فيه في كل يوم دار مشبوهة للنشر .

الكويت فريد ابو عيطه



اسطورة الادب الرفيع

تأليف الدكتور علي الوردي

مطبعة الرابطة ، بغداد — ٣٨٤

✶

انها وأيم الحق تباشير نضج فكري تلمع في العراق الشقيق ، فهذه الماحكات وهذه الشبادات التي يرويها لنا الدكتور علي الوردي في كتابه ان تدل على شيء فعلى نضال الوعي السليم في سبيل الظهور والتسامي نحو حقائق العقل والمفيد من العلم والادب . وكم نتمنى لو أن كل ادبائنا ومثقفينا يدرسون ويتفهمون تاريخنا وحاضرنا بمثل الاسلوب التحليلي الذي يكتب به الدكتور الوردي . ان قارئه يتلمس ثورة جامحة ورغبة شديدة بقلب ودرس كل ما يقوم عليه المجتمع من تقاليد ومفاهيم قديمة، سيان في التاريخ ، او في الادب ، او في الدين ونظام المجتمع ، او في السياسة والاقتصاد . والثورة في نفس الوردي — كما تظهر من خلال

كتاباته – هي مختمرة وذات جذور في نفسه وليست مجرد رد فعل لاستثارة ، او تحمس وقتي لفكرة ، او امر تعرض له في ظرف او وقت معين . فهو في كل ما يعرض لنا ، بمناسبة او غير مناسبة ، يعطينا آراء جديدة بأفكار اقل ما يقال فيها انها تدعو للدرس والاهتمام ، وهو بذلك يقوم برسالة علم الاجتماع خير قيام في بلادنا ، فنحن ، ان نكن بحاجة لشيء الان فنحن بحاجة لجرأة الفكر وصراحة الراي والمعتقد .

ولم يقصر الدكتور في حملته على ادب السلاطين الذي حملته لنا عصور الجواري والغلمان . وان لم اوافق الدكتور في كل آرائه بهذا الخصوص ، فهناك ناحية هامة اراني بحماس انطلق في تأييده بها .وهذه هي في رايي التخلص من عبودية التاريخ والاسلوب الفكري ، الجامد ، القديم : عبودية الماضي وكل ما ياتينا من الماضي ، من ادب مقيد وتقاليد اجتماعية واهية وأساليب في التحزب بغيضة ، والتغني بأمجاد غابرة يلهينا عن واقعنا الحاضر المرير .

ولكن سامح الله الدكتور الوردي ، فهو يتحامل ويقسو بحملته على قواعد اللغة ، وعلى الشعر وقواعد الشعر العربي . فهل يعتقد الدكتور – وهو المدقق بدراساته – ان من الممكن لفرد واحد ، في بلد عربي منفرد ان يفرض قواعد جديدة للغة العربية ، وان تعم هذه القواعد كامل انحاء العالم العربي ؟

هذا تساؤل على اعتبار ان هناك قواعد هامة وجذرية يجب ان تغير في اللغة العربية . ولكني انا من جهتي اخالف الدكتور بآرائه في قواعد اللغة . فهو يرى ان هذه القواعد وجدت ارضاء لاهواء بعض اللغويين ، ولكن ما يظهر لنا من القواعد الحاضرة هو انها وصلت لنا نتيجة لتطور طويل الامد وتبدل مستمر ارتكزت في نهايته على ماهيتها الحاضرة .ولناخذ مثلا على ذلك الهمزة وقواعد كتابتها ، وهي قاعدة عسيرة في اللغة كما هو معلوم . اننا لا نستطيع تبديل أي قاعدة من قواعدها دون ان يحصل التباس في القراءة او المعنى . وان يكن ينوء الدكتور بحركة الحرف الاخير في الكلمة العربية ، هذه الحركة التي تخضع لقواعد عامة في التشكيل فماذا يمكن للانكليز ان يقولوا عن لغتهم الحية الحاضرة وهي لا تخضع حروفها الصوتية لاي قاعدة في اللفظ ، كما تعفى من اللفظ عدة حروف من الحروف الساكنة ؟

وكم من الوقت كذلك يلزم لدارس اللغة الفرنسية حتى يستطيع ان يكتبها بلا اخطاء املائية لكثرة ما فيها من حروف لا تخضع لقواعد بوجودها وتشكيلها بالضوابط اللفظية !!!

ولا ادري ما يقصد الدكتور بعلم البيان ، او علم المعاني كما يقول عنه ، فهو يتحامل عليه ايضا . ولا استطيع تعليل ذلك الا بان الدكتور يريد النقد والثورة لكل ما يمر به . والا فهل يمكن للدكتور الوردي ان ينكر بأن لكل كلمة معنى خاصا يميزها عن الكلمة الاخرى ؟ نعم لا يمكن لاحد ان يقول بأن الكلمة هي جزء ثابت من الشيء الذي تعنيه ، حيث هي ليست بنفس الاثر في نفس كل السامعين على السواء ، كما ليست بنفس المعنى البياني عند كل من يتلفظ بها . فهي رمز لشيء ما وحين نعيب عليها تحديد رمزيتها نكون كمن يعيب على الشيء مرافقة ظله له . وكما ان الظل يتطاول ويتقاصر حسب مواجهته للنور كذلك رمزية الكلمة تتدانى وتتباعد ببيانها حسب سبكها بالتعبير اللغوي المفيد . وان يكن يعيب فذلكة البيان والتصنع به فاني معه ، ولكن اذ نعيد بحث مشكلة كهذه نسيها عصرنا الحاضر ، عصر الصحافة ، نكون قد اثرنا جدلا ونقاشا لاجل الجدل والنقاش فقط .

والثورة الكبرى عند الدكتور تتجلى في نقمته على الشعر والشعراء ، فهو يظهر في هذا المجال ناقما ، حاقدا يتخلى عن رصانته العلمية المتحررة احيانا ، فنراه وكانه قد فقد كل حجة يرمي بها الشعراء فتابط القرآن يقارعهم به ويستشهد بالآيات التي نزلت بذمهم ، ولعل ذلك يعود لتاثير نقد الدكتور محي الدين فيه . ولست أدري ماذا يطلب من ابن البادية ان يتخذ من الفنون !!! فالشعر العربي هو تعبير صريح عن صفاء نفس البدوي واتزانها . وحين نعيب على الشعر القديم تواتر قوافيه على حرف اخير واحد نعيب على النفس الانسانية طريقتها الغريزية في تذوق انواع الفن . وحين نقابل القافية والوزن الشعري العربي بالقافية والوزن الشعري عند احدى اللغات الاجنبية نكون قد قابلنا بين ذوقي شعبين يعيشان في بيئتين مختلفتين كل الاختلاف بمؤثراتهما الخارجية . ولولا الشعر واضطرار الشعراء الى التفتيش عن القوافي في اللغات العربية المختلفة قبل الاسلام لما وصلت لنا اللغة العربية كما هي الان غنية بمفرداتها ومرادفات الكلمات فيها .

ولعل ما يريد ان يعيبه الدكتور الوردي هو ليس الشعر ولا البيان ولا اللغة ونحوها وانما الاسراف بالاهتمام بهذه الشكليات السطحية .واني مع الدكتور في هذا ، فالامة التي وقف بها التاريخ وعجزت عن الابداع والتكوين هي التي تبتديء باجترار ماضيها والتلهي باللغة والقشور الاجتماعية السخيفة .

وان ما يلفت النظر لحماس المؤلف للاصلاح الاجتماعي هو حين يأتي على ذكر المرحوم السيد محسن الامين وكيف قاوم المغرضون وجهلة الشعب آراءه الاصلاحية في الدين وتقاليد الدين الرعناء . واني من ناحيتي اقدس ذكرى هذا المصلح الكبير وادعو كل من يود الخوض في غمار الاصلاح الديني من اخواننا الادباء ان يرجع الى تآليفه وآرائه في الدين كما ادعو لتشكيل لجنة تشرف على نشر اثاره وآرائه وذلك لما له من جميل الاثر وحسن الذكر والتقدير في نفس كل من عرفه من ابناء الشعب .

ولقد تضمن كتاب الدكتور الوردي مجموعة مقالات ومقتطفات نقدية لعدة ادباء غيره . ومجمل ما نستطيع قوله بها هو أنها عصبية المزاج ، وكانها كتبت بتأثير طبيعة رمضان (حسب التعبير المألوف) وما يلفت النظر فيها هو حتمية الدكتور محي الدين وطلبه للمبارزة اكثر من مرة للدكتور الوردي . وحيث لم تصلنا مقالاته من تصديره ، هو ، فليس لنا ان نناقشها وما نرجوه لهما هو التوفيق لما به خير الامة العربية وصلاحها.

يوسف الحوراني





وصف ذو النون ايوب السياسة ـ التي عانى تجربتها منذ اعوام قليلة ـ في مجموعته القصصية الاخيرة «قصص من فينا» بانها «عالم كنت بعيدا عنه، عالم لا يمت في اساليبه، خلقا، وتفكيرا، وعملا، الى العصر الحاضر ومدنيته بصلة، فهو اقرب الى العالم الذي لم ير غرابة، ولم يحرك ساكنا حينما قدم رأس يوحنا المعمدان على طبق (١)». والواقع اننا لا نجد مناقضة صريحة بين الطريقة او المنهج الذي سار عليه ذو النون منذ اصداره اول مجاميعه في ثلاثينات هذا القرن حتى الان وبين قرفه وتوجسه وشعوره بعدم الراحة وسلبيته مع السياسة ... ذو النون التزم الادب الهادف المبني على الفكرة الانسانية الواقعية Humain Realism في جميع ما كتب (٢) وقد قلنا عنه فيما مضى «عرف الالتزام يوم لم يكن هنـــاك التزام (٣)» ولا زلنا عند قولنا الذي نزيد عليه ان ذي النون اكبر مـن السياسة والاعيبها وازماتها فهو ان خاض غمارها ارتعش عمله الادبي ولم يظهر واضحا كما نريده ولكنه ان عاش يرقبها فسيخدمها ـ ويخدم امته بالتالي ـ عن طريق فضح الاعيبها والسخرية من مفارقاتها وتوجيهها الى خدمة الصالح العام .. نرى ان موضوعنا يكاد يكون سياسيا وهذا ما لا نريده ولكن الكلام عن ذي النون يجرنا الى ذلك ... واننا لنجد فـــي مجموعته الجديدة معنى انسانيا متعاظما جديدا يختلف نسبيا ـ لاننا لا نؤمن بالجوهر ـ عن موحيات مجاميعه السابقة التي كتبها قبل هجرته الى النمسا سنة ١٩٥٤ ورجوعه منها في نهاية ١٩٥٧ .. معنى يتسم بالالـم واللوعة والسخرية الدائبة المتحشرجة التي جعلت يراعه يصر باهتـــزاز محموم عنيف على قرطاسه المثقل بالنار والدموع واليأس المتجاذب المتشابك مع الالم، مبرزا لنا ارهاصات غربته وبعده عن بلاده التي احبها، مجسما لنا شخصياتها الحياتية المعاشة بوضوح وايمان مبهرجة المضمون هادفته رغم خنقها والحافها عن الشكل الذي يطل امامنا متألما معانيا لقوة مضمونه وشدته وكثرة خنقه لانفاسه بين حين وآخر بعبارات استطرادية او كلام ملموس يخاطب القارىء بعنف مؤذ للفنية القصصية .. احيانا.

ذو النون في غربته يذكرنا بشعراء المهجر في موحياتهم لخرائدهـــم والمعطيات المهموسة اللاواعية والمحفزات المثيرة لكياناتهم على اللوعـــة وتذوق الالم من خلال لذة الالم التي بعثت انعكاسات سخرية ديكباجوية(١) في قصص ذي النون وان هذه الذكرى لا تمنعنا من الاشارة ـ رغم انه هذا مفهوم بداهة ـ الى اختلاف فني الشعر والقصة في خصائصهمـــــا ومميزاتهما

«وأعاد النظر الى وجه جوته فخيل اليه ان الوجه الصخري يبتسم استخفافا واحتقارا . وود لو يجد من يتبادل معه الحديث وتذكر انه لا يعرف من الالمانية الا بضع كلمات منها : «يش ين اوسلاوند ... اهـو غريب كما تعني هذه العبارة ؟ انه ليستنكر ..» هذه شريحة من موقـف مؤثر لقصاصنا وهو في وقفته امام تمثال جوته في فينا اقتطعته مضطرا الى تشويهه وآسفا لذلك ـ من قصة المجموعة الاولى (جديد تحت الشمس) الذي يزيدها انسانية وروعة ان يتعرف ـ وهو في صمتـه وتأمله ـ على فتاة رومانية مشردة .. مثله، ونحن لا يهمنا بعد ذلك من القصة ـ خصوصا وانا قد حددنا عنوان المقال بالتكلم عن معنى ومعطيات الغربة ـ ما حدث بعد ذلك ولكن الذي يثير اهتمامنا هو هذا الانسجـام التام السريع المشذب الفواح بالصراحة والانطلاق الجميل بينهما .. اليس ذلك من حقهما بل من ضرورة موقفهما ما داما موحدي النكبة ـ وان اختلفت الاسباب ـ وشريدين .. غريبين ؟

وفي قصة (كافية رابيل) نجده يتقصد ان يكون هذا المقهى ميـدانا لقصته هذه .. ليس من عجب في ذلك ما دامت تجمع اشتاتا ولمامات مختلفة من الغرباء .. هنغاري .. انكليزي .. وهو .. عربي، ونحن يحفزنا تصويره الشيق لفتيات فينا اللذيذات المشدوهات الابصار امـام كل فتى بل وحتى شيخ اجنبي وواقعهن التعس المنهار اقتصاديا الهـادم باصرار لكل مقومات الشرف، بل يهمنا ان نركز على اختياره (هـذا الذي اشترك فيه «أناه» و «لاشعوره» وعقله الواعي) لمقهى رابيل الذي تبحث فتياته دائما عن الرومانتيكية الحالمة المظللة بسواعد الشبان.. علها تنسيهن ـ ولو لسويعات ـ لوعات الحرب الماضية ورد الفعـــل السايكولوجي لكل اوروبا وأناسيها ـ وهن منهن ـ الذي اعقب ذلك .

وفي (مناجاة) تجد حتميات غربة ذو النون واضحة جلية امامنا فهـو رغم انتقاله من مقهى لآخر ـ وهذا داب العراقيين جميعا فهم لا يطيـب لهم قضاء امسياتهم الا في المقاهي ـ وهذه عادة عراقية بغدادية ترسبت متكلسة منتقلة معه الى فينا ـ فقد صاحب كتابا يعلمه لغة القوم الذي اضطر ان يعيش بينهم سنوات لكي يستطيع ان يتفاهم بابتهاج مع ناولة

---

(١) كلمة الاهداء في قصص من فينا

(٢) قد يرتأي البعض ان قصته «العقل في محنته» التي اصدرهـا عام ١٩٤٠ رمزية فنقول انها كذلك شكلا ولكن مدلولاتها مترسخة واقعا.

(٣) قصصيون من العراق : ذو النون ايوب بقلم باسم حمودي في مجلة (الورود) اللبنانية شهر ايلول، السنة الحادية عشرة، الجزء الاول صفحة ٢٢

(١) (الديكوباج) وهو تقطيع سيناريو الفيلم السينمائي وقد استعرنا الكلمة ناسبين اياها الى فن القصة ايضا على اعتبار ان معنى الغربة في قصص ذو النون يمر متقطعا في غير مرونة في بعضها ومركزا في بعضهـا الاخر .. يزداد او ينقص نتيجة مدى الفورة الشعورية ساعة كتابة القصة ومدى الزاوية التي يحاول القصاص تصويرها .

المقهى الشابة (اركا) وغيرها من المخلوقات .. لكي يتخلص من ذلك الطوق الحديدي الساكن السخيف المضطرب المضروب حوله في اوليات ايامه هناك .. الصمت .. لكي يتفاهم بلغة القوم بدلا من التفاهم معهم باللغة العالمية التي يتقنها كل انسان على الارض .. لغة الاشارات التي قد تخطىء وقد تصيب .

اننا نجد في هذه القصة حشدا من العبارات والجمل المتقطعة كديكوباج سيناريو الفلم السينمائي (١) .. متقطعات من نفثات الشعراء والادباء الجرمان .. يريد بها ايوب ان يثبت لنا انه ما سافر عبثا وانه قد استفاد شيئا ثقافيا ومعطيات ادبية اكتسبها هناك وترشحت محاولة ان تثبت وجودها من خلال سيله السردي القصصي .

اما قصته التالية (هم .. طويل) فتضطرنا الى التراجع قليلا عن الضوء المتغرب الاشعث السوداوي المحاك بخطوط من نور الذي سلطناه على هذه المجموعة الايوبية ... تضطرنا الى تضخيم تلك الزاوية وتوسيعها لكي يجول ضوؤنا الكشاف النقدي في زوايا اخرى اسلوبية ومضمونية ، فذو النون يعرض امامنا مشكلة (غريب) ايضا وقد تبدو هذه المشكلة احدى مترادفات او مكررات لنفس الصور في القصص السابقة ، ولكن اهميتها تبرز عندما تتضح جذور هذه المشكلة المترسخة العميقة في شرقنا . فبطلنا جالس بين جماعة من النمساويين تكره السياسة تماما ويضجرها الحاح صاحبنا - كأي شرقي صميم - على التكلم بصددها .. انها مشكلته بل هي التي قلبت حياته رأسا على عقب كما قلبت حياة ايوب ...

فلنسمع البطل يقول هذه الكليمات لفتاة كانت تجلس بجانبه : ((اني طالب مجتهد متقدم . اتيت الدراسة على نفقة حكومتي تقديرا لقابلياتي، حتى اذا ما اجتزت نصف مرحلة الدراسة قطعت هذه الحكومة الطريق علي وطلبت مني العودة دون ان تخفي علي بأن السجن او الذلة في انتظاري .. هذا بعد ان قتلت اخي في مظاهرة عامة ، ان اهلي لا يملكون الرمق ولولا غيرة بعض اخواني ورفاقي لكنت الان هالكا او مصفدا بالاغلال)) .. انه شرقي .. غريب يطلب العلم في بلاد غريبة ، وموطنه يعاني الامرين من ظروفه التاعسة المقيدة ، وقد اصابته نكبة ما عن طريق شخصي مباشر ... بأخيه وبالتالي بنفسه فهو مضطر الى التكلم بالسياسة ابدا الى ما شاء الله لانه عانى من ويلاتها كل شيء .. اما هؤلاء الغربيون فمغلقو العقول لانهم لا يعانون مثلما يعاني .. ليس من مشكلة سياسية متأزمة شديدة الوطأ تخص بلادهم وتؤججها بين حين وآخر بعكس وطنه الذي ينز الما وقهرا .. اذا فهو دوما على محك اسئلة خالدة مضطربة امثال ((ما المصير ؟كيف تجري الامور ؟ ما النهاية ؟! ..)) انه يحس بانه هو ((وابناء قومه ارقى من هؤلاء وأكثر تقدما)) انه ليحلم حلما عجيبا جعله يقول ((انني احلم باننا قادرون على انقاذ العالم من الكارثة المقبلة . اننا نحن الضعفاء سننقذ العالم من اكبر كارثة ، نحن الجهلة المتوحشين سنحميكم ايها السادة)) وهو بلا ريب تفكير فلسفي شرقي عميق ساخر ومحكم بالسخرية اللاذعة المصبوبة على عقول الغرب السيء الفهم المغلف بالسخف نتيجة التفكير الركيك البليد الذي لا يئذ بالانسانية ولا يعرف منها الا نقشها على الورق او اجترارها دماغيا ومضغها باللسان .

(١) راجع الهامش الرابع

ولعل ذو النون قد سئم الغربة بعض الشيء فانقلت منها الى قصة (دمية .. وظلام) التي تنزوي بعيدة عن اضوائنا التي نلقيها على قصص ذو النون من زاوية معينة هي الغربة .. فالقصة رومانسية غير واردة في بحثنا .

اما قصة (ايتام في عيد الميلاد) فهي تعكس لنا مأساة معبرة مخيفة ... هي تثاقل اوروبا وهي تتاهب للقيام بعد ركلة قوية من رجل هتلر على المناطق الحساسة من جسمها .. تأهب مصحوب بانهدام لاغلب النوازع والمثبتات الاجتماعية المتعارفة .. هو رد فعل عميق حتمي لويلات الهتلرية التي أضرت بالنمسا - الشلو الممزق من جسد اوروبا - اكثر من غيرها لمجاورتها اياها .

بطل القصة فتى ايراني (غريب) عن النمسا اسمه رضا .. يعشق فتاة اوسترية متعجرفة تهتم بالاتيكيت اشد الاهتمام نافخة نفسها كالطبل ... نفخا متعاظما بليدا موجعا لصاحبها الشرقي الذي يملك ارهاصا بأن هذه الزوبعة من التصرفات التي تضجره تخفي وراءها عقدة نقص هائلة .. كان يريد منها ان يرى دارها وكانت ترضى - ولو بعد الحاح - بكل ما يطلبه منها الا هذا الامر . واخيرا جاء عيد الميلاد وحدث من الملابسات ما اضطرها ان تدعوه .. الى دارها ، فرأى اوروبا دون رتوش او مساحيق مظللة متجسمة في بيتها الحقير المحشور في زقاق كئيب من ازقة فينا .. وهناك بعد ان تم التعارف قالت امها التي تهتز رأسها باضطراب رتيب نتيجة لصدمة سايكولوجية اصابتها بعد غارة جوية ، معلقة على هذا الاجتماع الغريب في ميلة عيد الميلاد (١) : ((ما اغرب هذا الاجتماع ؟ طفلان امريكيان وعجوز نمساوية وسيدة هنغارية وسيد ايراني من الشرق يحتفلون بمولد السيد العظيم)) .. مأساة صغيرة تكمن في هذا البيت طفلان اولدهما جندي امريكي هذه الفتاة ، وعجوز نمساوية هي امها .. وهي .. اصلها هنغاري .. ابوها من المجر قدم النمسا وشاءت تعثرات الحياة ان تزوج امها و (رضا) الشرقي الطيب الذي تقول عنه البطلة (٢): ((لقد ادركت بانك تختلف عن الامريكان والاوروبيين .. ان بين جنبيك قلبا رحيما ، وربما كان ذلك لانك من ايران من الشرق ، من نفس بلد هذا الصليب)) مشيرة بذلك الى صليب المسيح النابع من الشرق ... يصر الغربيون على وصفنا بالطيبة وهي تعبير مشوه لما يقصدونه بذلك .. البلاهة ، .. لما يشاهدونه من العواطف المتدفقة المشحونة التي نعكسها امام كل حافز انساني يشجينا .

والنتيجة .. لقد اثارتنا هذه القصة لما تحويه من مشاكل متأزمة متكاتفة بارزة .. ولست بمطيل فقد اوفيت ولكن الخاتمة تضطرني الى التأمل قليلا (٣) : وتقدم رضا من رنانا فرأى عينيها تضيئان كشمعتين من شموع الشجرة (٤) ومدت له ذراعيها والتقت الشفاه الاربع .. التقاء ود صميمي وتفاهم عميق)) .. ارجوكم ايقظوا كبلنج شاعر الامبراطورية الشوهاء العجوز من قبره ولو رفسا باقدامكم وقولوا له : أين ما قلته من ان ((الشرق شرق والغرب غرب ولن يلتقيا)) .. قولوا له بأصوات تصعقه

(١) ص ٤٩

(٢) ص ٤٤

(٣) ص ٤٩

(٤) يقصد شجرة عيد الميلاد

وتميته مرة اخرى : لقد التقيا هنا تحت ظل انسانية عارمة مدركـــة واعية ممتزجة بالعاطفة . ولننحدر نحو قصة اخرى . ينتقل ذو النـون في قصة(عجفاء) الى منزل جديد .. غرفة في دار يسترعي انتباهـه فيها شخصية عجفاء هذه وهي انسة مزمنة مع سبق الاحرار يطنب قصاصنا في وصف عاداتها وامالها والامها ، ولكن الذي يؤرقنا هـو خروجه ـ هذا الخروج المزحوم الذي يطرب القارىء بعض الاحيان ويؤلم الناقد في كثير منها ـ خروجا يبلغ بها (اي القصة) حد العرض ، واذا كان لناقد ان يقول اني انا باسم عبد الحميد حمودي قد خرجت عن قواعد القصة في قصة المحروم (١) فخاطبت القاريء مباشرة فانا اعترف بأنه خطأ لا يصح ، اما النقاد الذين تغاضوا عن ذلك بالنسبة لي فلا ينبغي ان يتغاضوا عن هذا الخطأ المؤذي للفنية والذي ارتكبه طود القصة الضخم المعطاء الاشم .. ذو النون ايوب في هذه القصة .

والنتيجة .. اننا ان اردنا ان نرى شيئا يتعلق بالغربة في هذه القصة فلا نجده الا في انتقاله من دار الى دار وهو امر لا يثيرنا في شيء.

وفي قصة (اللاجىء اللاجىء) نجد معنى الغربة متكاملا واضحا يقف كجبل ضخم امامنا يسترعي انتباهنا بشتى الطرق حتى نتحسسه ونشعر به ويكتنف ارواحنا عندما نصغي الى ايوب يقول عن فينا : « لا ريب أن فين (٢) مأوى اللاجئين في عصر اللاجئين » فيأتي تداعي المعاني مثقلا بظله علينا جارا عقلنا بآفاقه الواعية واناه ولاواعيته الى مشكلتنا المصمدة المحرقة .. لاجئونا نحن .. عرب فلسطين . تصور القصة يوما عسيرا مضطرب الجو من ايام فينا يلتقي فيه لاجئان .. ايوب ولاجىء مجـري في (كافيه) ما ويسري بينهما الحديث متطورا الى جدل سياسي يقتطعه في منتصفه لاجئان آخران .. (غريبان) من الجزائر ومن فلسطين .. بلدي النكبة والتحرر المتوثب ، فيزداد الجدل حدة للغشاوة المؤسفة التي تظلل عيني الهنغاري الذي يصر على ان الجزائري فرنسي .. غيـــر عربي ، وذلك لتأثره بهزات كتف مدام ماريان .. ونحن نرى ان الحديث قد جرنا الى اشياء اخرى بعيدة عما اردنا ان نحدده في عنوان موضوعنا فحسبنا من هذه القصة هذا التعليق .

اما (المنتحرة) فتمر بالغربة مرا سريعا ليس فيها من معناها الا تطوع الغريب الى وصف قصة غرام بين شابين تنتهي بالانتحار وهذه مسالة نتركها للنقاد الذين سيبحثون من جميع الزوايا .

اما القصة الاخيرة (بدماء القلب) فهي رغم طرافتها بعيدة عما نريده .

والخلاصة .. لا زال ذو النون يستخدم السرد والسرد فقط في كتابة القصة ولا زال يتدخل في شؤون الابطال ويحركهم كيفما يشاء تحريكا نتقبله بسذاجة احيانا وبضجر احيانا اخرى ، ولكننا نجده في معظم قصص مجموعته الاخيرة هذه قد قادنا الى شعور جديد .. انساني ، لم يتح لاكثرنا ان يعانيه (٣) لبعده عن بيئته ولرتابة حياته فايوب قـد اغترب سنوات خارج العراق واستوحى قصصه الاخيرة من غربته ... قصصا حارة لاهبة تذكيها مشاعره المتدفقة المرتعشة الساخرة الحاقدة على الظروف ، فصاحبه التوفيق وزاد عملقة رغم انه لم يتعب ولـم يشعرنا بانه يتعب في نحت الحرف ... ان « قصص من فينا » قـد اضافت شيئا جديدا للادب العربي وحسبنا ان نختتم بحثنا بالتأكيد على هذا القول ..

باسم عبد الحميد حمودي بغداد

(١) انا عاطل .. وقصص اخرى لباسم حمودي .. ص ٣ وما بعدها .

(٢) فين : هي فينا كما ينطقها سكانها

(٣) عدا ضحايا فلسطيننا وجزائرنا

السجينة

★

يموت عند بابك الضياء
ويصبح الصباح في دياركم مساء
ورنة العصفور في دياركم عويل
وأنت تقبعين خلف ذلك الجدار
وظله طويل
يمتد فوق جسمك النحيل
وانت تسمعين
اباك كل يوم
يجتر كلمتين
يجتر كلمتين في الصباح والمساء
وأمك العجـــوز
تظل تغزل الاوهام
بمغزل الخرافة العتيق
تشيد من خيالها السحيق
عوالما رجالها وحوش
وانت والنساء كالظباء في الفلاة
وتبذر الظلام
والرعب والاوهام
في قلبك الصغير
وفي المساء
ما زلت تحلمين
بمطلع النار
وتبصرين خلف ذلك الجدار
جماعة العشاق خلف ذلك الجدار
وتقرأين في عيونهم سطور
وتعرفين من يكنّ في فؤاده الغرام
وتبسمين
وترسلين نظرة الحبيب للحبيب
وتنتهي حكاية الجدار
. . . .
ويطلع النهار . . .
لكنما ابوك عاد للحديث
يجتر كلمتين
وامك العجوز
تردد الاوهام من خيالها السحيق
وعدت بعد حلمك الطويل
تحملقين في الجدار
يسد عن عيونك النهار

مبارك حسن الخليفة
ام درمان ـ السودان

الضوء عند حافة الأفق

قصة بقلم وحيد النقاش

(الى صديقي سليمان فياض ، الذي ادين له بايقاظ عالم هذه التجربة في نفسي .)

★

بلغت الثامنة والعشرين من عمري ، ليس اليوم ، ولكن منذ عدةشهور. ترى هل يشفع لي هذا التقدم المريع في السن اذا ما قمت ببعض الاعمال الهستيرية التيقد يحكم الناس علي من خلالها بالجنون . او على الاقل قد يكتفون بالنفور من معاملتي على مستوى الكائنات السوية الجديرة بالاحترام ؟ . أعمال هستيرية ؟ . وما هو نوع تلك الاعمال ؟مثلا: أقوم من النوم في الصباح فاعبر صالة شقتنا حتى اصل بمنتهى السرعة الى غرفة الجلوس . ودون ان اهتم حتى بازالة آثار النعاس منوجهي، اسارع بفتح الشباك واقذف براسي الى الخارج حتى يصبح نصفي الاعلى معلقا كله في الهواء . وارفع عيني الى اعلى مسددا نظرتي الى حبل الغسيل المعلقفي شرفة الشقة التي ترتفع بدورين عن شقتنا في العمارة المقابلة . وادقق النظر . فهناك شيء ما يربطني بهذه الحبال . ليس نظري ضعيفا ، ولكن غشاوة النوم ما زالت تمنعني من رؤية الاشياء بوضوح . وأحاول جهدي أن أعد مشابك الغسيل المعلقة على الحبال : واحد . اثنين .ثلاثة . اربعة . خمسة . اذن فالموعد في الساعة الخامسة . تمام . وانتظر دون جدوى ان يفتح شباك الشرفة وتطل سناء بوجهها المليء بالرغبة ، فأتملى منه قليلا ، وأحظى بابتسامة تدغدغ حواسي . ثم بعد ذلك اعاود الرجوع الى حجرتي فأرتمي على السرير بتكاسل وقد غمرني احساس شديد بالقلق : كيف ، وأنا الانسان المثقف الجأ في سبيل ارضاء رغباتي الى مثل هذه الطرق التي طالما كرهتها ونفرت منها ، بل ونددت كثيرا بما فيها من تفاهة وسطحية ؟ واذا ما تصادف ورآني احد مع سناء ، بعض معارفي او اصدقائي مثلا ، فماذا اقول لهم ، وكيف لي بمواجهتهم ، وهم الذين يعرفون شغفي الشديد بالدفاع الجاد المتزمت عن الصلابة والقوة والمثل العالية ؟ . لا شك ان هذا لا يتفق بحال من الاحوال مع السنوات الثمانية والعشرين التي احملها كما يحمل المسافر بطاقته الشخصية . وقد ينخدع البعض فيقولون ان الانسان عندما يبلغ الثامنة والعشرين فانه لا يعتبر حينئذ متقدما في السن . ولكني أسارع فاقول ان الحياة لا يكفي في قياسها الزمن وحده ، الزمن المجرد ، ولكنها بالنسبة لي ولبعض الاشخاص الاخرين تقاس بالزمن المليء بالاعمال ، الزمن الكثيف . وعلى هذا يجدر بي انألقي السؤال هكذا : ماذا صنعت انا خلال هذه المدة من الزمن ، او بالاحرى ، ماذا اتيح لي ان اصنع ؟ .. وعندما يكون الجواب : لا شيء ،اكون انا قد تقدمت في السنكثيرا جدا ، دون ان يتاح لي عمل شيء ، بل وأكون أيضا قد اصبحت شخصا يرثى له ، آلة تدور في الفراغ .

لا انكر ان لي اصدقاء كثيرين ، كثيرين جدا، يفوق عددهم اضعاف متوسط اصدقاء اي شخص عادي . وهذا من احدى الزوايا قد يعتبر من قبيل الحظ الحسن . ولكني لامر ما ، بدأت اشعر ان ذلك ما هو الا بعض مظاهر تعاستي . هم يقدمون لي الولاء والاحترام الكافيين لجعل ايانسان يزداد شعورا بالثقة في نفسهفيما لو حظي بمثل هذا القدر من العواطف . الا اني ، وقد تجاوزت الثامنة والعشرين من عمري ، بدأت اشعر بجفاف عجيب في علاقتي بهم . جفاف في داخلي يجعلني باستمرار احس بكثافة جسدي كلما قذفت بي الظروف في موقف مع أي منهم . وأتململ ، وأراهم هم الاخرين يتململون بدورهم وكأننا قد حبست واياهم في غرفة خانقة وما علينا الا ان نسارع بالهرب منها قدر ما نستطيع قبل ان يصيبنا الاختناق . ويكون انهاء الموقف مصحوبا بالشعور بالاثم من ناحيتي على الاقل ، مهما كان الامر تافها . وأحاول قتل هذا الشعور بكلمات الوداع الجوفاء التي احملها انفعالات زائفة تدل علىارتباطي بهم. وأحدد معهم موعدا آخر للقاء معتذرا عن تعبي في هذه اللحظة . وأنا وان كنت تعبا ،فانه ذاك النوع من التعب الذي لا يمنعني بأي حال من الاحوال من الجلوس مع اي صديق والتحدث معه بطلاقة فيما اذا وجدت المبررات الكافية لذلك في نفسي . الا انني بعد ما ارهقني هذا النوع من الانفعالات حتى صرت لا اقوى على القيام بأي عمل ، بدأت افكر في الامر . وليس غريبا في الواقع ان ترتبط هذه الانفعالات بالانفعالاتالاخرى التي تصاحب تفكيري في سناء وانا بعيد عنها . (عندما كنت جالسا معها كان التفكير فيها مستحيلا فقد كنت ساعتها مستغرقا في نوع من الحذر الذي يحيلني دائما الى كائن شبه سلبي) . فقد حدث انني بعد عودتي الى سريري ذات صباح من رحلتي القصيرة الى شباك حجرة الجلوس ، كان قلقي قد بلغ قمته . وكنت في الليلة السابقة قد قابلت عشرين صديقا ،على الاقل ،وسهرنا حتى تجاوزت الساعة منتصف الليل بكثير. لم اكن اذكر بالضبط ما هي الاحاديث التي تبادلتها مع هؤلاء الاصدقاء لانها كانت من ذلك النوع من الكلام الذي ينسى بعد قوله مباشرة ولا يتخلف منه في النفس الا بعض المشاعر التي تؤرق الوجدان طويلا مثل الريح الكريهة التي تمر على مكان نظيف لتمكث فيه قليلا ثم تمضي . وفتحت نوافذ حجرة غرفتي كلها واضطجعت على الفراش بتراخ وجعلت استمتع بضوء الصباح الغامر الذي دخل الى الحجرة في قوة .وساعتها اشعلت سيجارة وأخذت أفلسف المسألة على هذا النحو : « الحياة يا محمود من حيث اللفظ مشتقة من فعل « يحيى » او « يعيش » فعلان يدلان على الحركة . وما من حركة في العالم الا وتستهلك ما يسمى في العلم « بالطاقة » . واستمرار الحركة التي هي الحياة مرهون بوجود الطاقة دوما . البنزين الذي يحرك السيارة . الحرارة التي تدفعها الى امام . وقد علمتك ثقافتك التي تحرص عليها دائما حرصك على شرفكان العلاقات الانسانية ـ والصداقة بوجه خاص ، او الحب ـ هي الحياةفي أنقى لحظاتها ، الحياة الطاهرة الشفافة . والحياة في أنقى لحظاتها ـ في الصداقة مثلا ، ولندع الحب جانبا لان لنا معه شانا آخر ـ تحتاج الى الطاقة في اقصى صورها . ومن اين لك بهذه الطاقة يا محمود وقد

استنفدت . استنفدت نهائيا على التقريب خلال ثمانية وعشرين من الاعوام الطوال ؟ لقد كنت تعمل مدرسا في العراق لانك لم تجد عملا في مصر بعد تخرجك . وكنت تحظى بكل احترام من الناس هناك ، وكنت تنفق عن سعة . ولكنك عند عودتك كاد اصدقاؤك ألا يعرفوك من شدة نحولك . وكان الذبول باديا عليك مما اثار دهشة الجميع وشفقة اهلك. طبيعي اذن يا محمود ان تجلس مع صديق لك لقيته بعد غيبة مدة طويلة، عن طريق المصادفة ، وكنت في الماضي قد انفقت معه احلى اللحظات، ثم بعد ان ينتهي حديث الترحيب والسؤال عما حدث خلال مدة الفراق هذه ، ترى نفسك قد فرغت جعبتك تماما ، لم تعد لديك كلمة واحدة جديدة لتضيفها الى ما فرغت من قوله . ثم ترى لزاما عليك ان تقوم مدعيا الانشغال ـ وانت في الواقع تشكو من الفراغ ـ متمنيا ان تلقاه قريبا جدا لتعاودا احياء الصداقة التي كانت مزدهرة بينكما في الماضي.»

وبقيت أخاطب نفسي مدة طويلة على هذا النحو . ثم تتوارد على مخيلتي جميع مواقف اللقاء التي مررت بها منذ عدت الى القاهرة،فاشعر بقليل من الضيق متمنيا لو حدثت من جديد ، اذن لكنت كيفتها على النحو الذي يرضيني . والغريب انني بدأت الاحظ عدم تفردي بهذا الجفاف . دعاني « شوقي » ذات مساء لالقاه على المقهى الذي كنا نلتقي فيه كل مساء اثناء فترة دراستنا . وشوقي اليوم يشغل منصبا كبيرا في التدريس رغم صغر سنه . وطالما حسدته على هذه الطاقة العجيبة من البلادة التي يتمتع بها في مواجهته امور الحياة . وكثيرا ما كانت هذه البلادة مثار سخرية مني حتى أنني فرحت ذات يوم باثارته فاذا به يدافع ـ ربما لاول لاول مرة في حياته ـ عن بلادته بانفعال شديد .ولكن،ها هو الان يفحمني بواقع حياته المطمئن . ولست ادري اينا كان على حق، حتى الان . وظللنا نتحدث في هذه الامسية طويلا . وادهشتني نبرة المرارة التي كانت تشوب حديثه ، لقد كان كأنه كتلة سوداء من اليأس. تعلقت به زميلة له كنت اعرفها وانفر منها بشدة ، اذ أنها كانت ، فيما بدا لي ، تتستر على حقدها العارم الموجه ضد الناس ، بمظهر خادع من الفكر والثقافة والحرية . لم تكن قبيحة جدا ، ولكنها كانت تدفع من يراها الى النفور منها بسرعة شديدة . ولكنه بعد مدة تعلق بها هو الاخر، بيأس . وها هو الان يرجم كل شيء بكلماته ، حتى نفسه ، حتى خطيبته سامية . قال لي يومها ونحن نحتسي اكواب الشاي ونتبادل السجائر في جو غريب من صخب زبائن المقهى وأشكالهم المتنافرة ، وطرقعة زهر الطاولة بسرعة ، وتعليقاتهم المرتفعة : ـ

ـ ماذا بقي لنا يا محمود ؟ لقد كنا ندفع الثمن في بداية عهدنا بالدراسة من الكبت والمثابرة والتغاضي عما في حياتنا من تمزق . كان أبي كما تعلم انت جيدا يرسل لي اربعة جنيهات في الشهر أنا وأخي . تصور . كنا ندفع جنيهين منها للحجرة التي كنا نسكنها فوق سطح احد البيوت القذرة . وكان علينا بعد ذلك ان نقضي جميع مطالب الحياة من أكل وشرب وشراء للادوات الدراسية من الجنيهين الباقيين . تصور .لقد كنا نتحمل هذا كله . ندفع هذا الثمن الباهظ عن طيب خاطر ، في سبيل الامل الذي نسعى اليه ويبرق من بعيد في ظلمات المستقبل . يبرق فقط . ومع ذلك فقد تخرجنا ، واشتغلنا ، ولم يحدث اي شيء . تعقدت الامور عن ذي قبل . وستراني بعد ايام ارضى ـ ولا حيلة لي ـ بالبقاء في بيت واحد طول عمري مع وجه قبيح . ولكني احبها معذلك. هيه . وهي تعبدني . تعبدني .

ومط حروف كلمة تعبدني بشكل يوحي الى السامع بعكس ما تحمله من معنى على طول الخط . أسخرية هي ، ام اشفاق ، أم يأس ؟ كانت جميع هذه الانفعالات تطل برؤوسها من كل حرف من حروف الكلمة وهو يخرجها ببطء ويتوقف عند كل مقطع ليوفيه حقه من الطاقة الصوتية . وأجبته دون ان اسمح له بالاسترسال في هذا الجو الكئيب من المعاني الخانقة : ـ

ـ ولكنك تملك كثيرا من الاسلحة تستطيع ان تقاوم بها كل هذه الاوضاع . لديك مثلا مركزك المطمئن في التدريس ، وهو مركز يحسدك عليه كثيرون ممن هم في مثل سنك . ولديك القدر الكافي من الثقافةالذي يؤهلك لفهم كثير من الحقائق . ولديك زاد من الاحترام تلقاه كلما وجدت في مكان ما . واخيرا فانك تستطيع ان تعتمد على« سامية » طالما هي « تعبدك » كما تقول .

وحاولت بكل جهدي ان انطق الجملة الاخيرة بصوت محايد خال من كل انفعال ، ويبدو انني لم افلح في ذلك كثيرا ، فقد بادرني بقوله على الفور :

ـ سامية ! هيه . انني سانتحر على صدرها . انني اتصور نفسي منذ الان لا ادخل عش زوجيتنا المزعوم الا بعد منتصف الليل ، وجسمي يترنح من فرط السكر أتساند على الجدران في الشوارع المظلمة . اسمع . سأحكي لك ما حدث لي ذات مرة : عدت الى منزلي بعد ما شربت وثرثرت كثيرا مع كل من قابلتهم من المعارف . وكنت قد دعوتها لاول مرة لزيارتي في بيتي ذلك الصباح . وحاولت تقبيلها ولكنها رفضت ، الملعونة . ترفض . تصور . انها تتمنع . ها .ها . ها . تتمنع بنت اللئيمة .وقد أثارني هذا الموقف جدا حتى انني لم استطع ان افعل شيئا غير الهرب من نفسي . وبمجرد ان عبرت مدخل البيت ـ وكان ذلك في الثالثة صباحا على التقريب ـ حتى رأيت الشقة الاولى في الدور الارضي مضاءة في هذا الوقت المتأخر ، والباب مفتوح على مصراعيه . وهذه الشقة يسكنها شاب في مقتبل عمره يعمل سائقا في احدى شركات الاتوبيس ، وله زوجة جميلة جدا في ريعان شبابها وطفلان صغيران . ولم اكن اسمع عنهما شيئا قبل اليوم على الاطلاق منذ سكنت في الدور الثاني . كنت احيانا ألتقي به في مدخل البيت وأنا خارج الى العمل في الصباح فأكتفي برد التحية التي يوجهها الي في اقتضاب بالغ . وعندما كنت اعود ، كنت ارى وجهها هي مطلا من فرجة الباب تنادي طفليها اللذين يلعبان في الشارع . وغالبا ما كانت صورة وجهها تظل عالقة بوجداني لمدة ساعات بعد ذلك حتى تطمسها مشاغلي التي كنت استغرق فيها ابتداء من المساء. وفي هذه المرة رأيتها ـ بكامل جسدها وليس بوجهها فقط ـ جالسة على الارض في صالة شقتها وقد جلس قبالتها زوجها على كرسي من الخيزران ومد ساقيه امامها في وعاء بينما انهمكت هي في تدليكقدميه. كان وجهه شاحبا وسمعته يتأوه في صوت واهن بينما كانت هي اشد شحوبا منه . وتباطأت خطواتي من تلقاء نفسها لالتقط تفاصيل المنظر وأنا اعبر المسافة الصغيرة من الباب حتى بداية السلم دون ان يبدو علي الفضول . ولكنها لمحتني ، فجرت نحوي بسرعة ، فحرصت على ان اكون مبتعدا عنها بمسافة كافية لمنعها من معرفة حقيقة الحالة التي كنت فيها عن طريق الشم ، وبادرتني بجرأة الذي لا حيلة له :

ـ انا انتظرت حضرتك كتير . طلعت فوق وخبطت على الباب لكن ما حدش رد علي . أعمل معروف تكتب لجوزي علشان يحولوه مستشفى الشركة ...

واستردت انفاسها قبل ان تستأنف حديثها القلق : —

— أصله عيان قوي ، وما قدرش يروح الشغل النهار ده .

الذي استوقفني يا محمود ليس الحادث في ذاته ، فكثيرا ما يتكرر أمثاله امامي عن طريق المشاهدة او السماع ، ولكن المهم هو تلك الطريقة التي كانت تدلك بها امرأة شابة قدمي زوجها المريض في قلب الليل وليس من احد معهما سوى الظلام في الخارج والسكون المطبق والانات الخافتة . ثم ، يا محمود ، تلك اللهفة التي بدت عليها عندما رأتني كأنما قد عثرت على كنز ثمين ، او قطرة ماء بعد عناء سير طويل في صحراء محرقة ، ذلك هو الذي بهرني حقا . وحاولت ان ارد عليها ان اشاركها بأي طريقة في ألمها ، غير اني لم اعثر على غير هذه الكلمات:—

— انشاء الله ، مري علي الصبح خذي الجواب .

وعندما كانت تقول لي ((كثر الف خيرك)) كنت انا اصعد الدرج متساندا على الحاجز الحجري ببطء شديد وكأنما قد صب علي وعاء كامل من الماء البارد فأصابتني رجفة شديدة وبدأت آثار السكر تزايلني بشكل فجائي . وخيل الي ان هذا الرجل المريض ذا الوجه الاصفر ، المتهالك على كرسي قاس ، انما يستنشق ، في هذه اللحظات ، انسام سعادة خفية . وعبرت في خاطري تفاصيل ما حدث لي مع سامية في الصباح، فكدت ابصق على صورتها التي بدأت تبرز في رأسي بشكل وقح. وظللت مرتميا على فراشي بملابسي كاملة طول الليل والدموع تنهمر من عيني دون ان اقوى على حبسها . سامية ! آه ! اني سأضمها ذات يوم ، قريبا جدا ، الى صدري ، كما عانقت كليوبطرة الافعى بغية الانتحار . سأنتحر على صدرها يا صديقي . ولا مفر . انها تريد ان تتزوج المنصب فيّ ، تريد ان تشركني في تمثيلية سخيفة تبرر بها نفسها امام المجتمع. ولكن .. لا مفر لي منها ....))

وانهمرت الدموع من عينيه مما اضطرنا الى القيام خشية ان ينتبه الينا زبائن المقهى وكلهم تقريبا يعرفوننا منذ زمن طويل . واذ لم اجد ما أرد به عليه ، لم يكن لي بد من تركه لاعود الى المنزل كي احاول النوم لاستيقظ في الصباح على عدة مشابك للغسيل رتبتها سناء باناقة على الحبال المعلقة في شرفتها لتحدد لي موعدا ألقاها فيه ، كيما انحدر ، للحظات ، الى الخدر الذي تدفع بي اليه .

✶

منذ عدت من القاهرة اسلمت نفسي كلية للمصادفة . قد يكون هذا جميلا ، ولكن في هذه الظروف القاسية التي كنت مارا بها ، لم يكن من الاوفق ان اترك نفسي على سجيتها هكذا ، وأسلم زمامي الى الحوادث تشيلني وتحطني كما شاءت . قد يكون السبب اني كنت مشتاقا جدا الى كل ما في القاهرة ، كنت اريد ان أمتعها ذرة ذرة بوجداني المتعطش لاطمئن نفسي الى انني لم افقدها الى الابد كما كان يخيل الي في ليالي غربتي القاسية ، فأصاب بالذعر ، وأعكف على الشراب والبكاء . وقد تكشفت لي خطورة هذا الوضع عندما انسقت وراء ابتسامة سقطت علي من شرفة سناء ذات صباح فلم استطع ان اصمد امامها لفرط اشتياقي الى صحبة امرأة ، أية امرأة . لقد رسمت لي موعدا بمشابك الغسيل . وكان ما يشغلني في هذا الوقت هو كيف سأستطيع ان اعاود الحياة في القاهرة من جديد ، وكنت أدرس جميع الوسائل العملية التي يمكن ان توصلني الى ذلك . وعلى خطورة هذا الموضوع بالنسبة لحياتي كلها : في الحاضر، وفي المستقبل ، وكذلك في الماضي ايضا ، الا انني نسيته تماما عندما انفرجت شفتان مكتنزتان ورسم انفراجهما على البعد ابتسامة دعوة ، وتألقت عينان سوداوان جميلتان وقالتا لي كثيرا من الكلام . ولم افكر يومها في شيء آخر غير لقائها . وظللت قبل موعدها بساعات ادبر في رأسي كل ما سأفعله معها خلال جلوسي اليها وكل ما سأقوله لها بالتفصيل . وعندما كنا ننزل درجات السلم المؤدي الى حديقة الكازينو المطل على النيل ، عثرت قدمها وكنت متأخرا عنها بدرجة فاذا بها تسقط على صدري،ورأسها ، بالشعر الغزير المعطر الذي يكسوه،مدسوس تحت أنفي مباشرة . ولففت ذراعي حول خصرها ودفعتها الى الامام بكل قوتي حتى لا تسقط وأسقط أنا معها . فاذا بها تعمدت هذه العثرة كي افعل انا هذا الذي فعلته . وتلاقت عينانا ونحن نعاود النزول فتأكدت ساعتها تأكدا تاما من صدق هذا الخاطر الذي مر بي .

وعندما كانت جالسة قبالتي على المائدة المغطاة بمفرش طويل ينزل مسترسلا حتى يكاد يلامس الارض ، احسست انها تقترب بصدرها من حافة المائدة اكثر فأكثر حتى التصقت تماما بها وثبتت كوعيها عليها بينما أسلمت رأسها الى كفيها وهي تنظر الي . وبعد قليل شعرت بساقها ،من تحت المائدة ، تلتف بساقي وتضغط عليها بشدة . لم يكن في نظراتها اي خجل . واستحوذ علي ارتباك عنيف حتى شعرت بقطرات من العرق تتجمع على جبيني في بطء وأخرجت منديلا اجفف به وجهي بينما بدأت هي الكلام بقولها:—

— أتدري ما الذي اريده انا من هذه الحياة ؟. انني لا ابتغي سوى الرجل ... الرجل ولا غير .. لقد طلقني زوجي منذ سنة لانه كان يغار عليّ . أبله ! وهاأنذا اليوم قد مضت علي سنة طويلة وأنا محبوسة في المنزل مع أمي وأخي المتزوج لا أكف طول النهار عن الشجار مع زوجته. وهم ثلاثتهم يحصون علي كل حركة اقوم بها كما لو كنت موشكة على ارتكاب جريمة في كل لحظة . اسمع . انا لا اريد زوجا ، ولا حبيبا ، ولا اي شيء آخر من هذا النوع . أريد فقط رجلا ... عشيقا !...

لها وحولوا نظراتهم الينا من اجلها . بينما كنت انا منهمكا بكليتي في تجفيف عرقي أحرك يدي القابضة على المنديل بشكل آلي ابتداء من جبهتي حتى ادنى ذقني ، مستسلما للخدر اللذيذ الذي يحدثه احتكاك ساقها بساقي من تحت المائدة .

واستأنفت قولها :

ـ هل ستظل مع اهلك دائما ؟.

واستجمعت طاقتي لاجيب عليها :

ـ لا . انني انتظر حتى احصل على عمل ثم انفصل عنهم لاسكن وحدي . فانا بحاجة الى الوحدة لكي أواصل اتمام مشاريعي التي اعددتها للمستقبل .

ـ واين ستسكن ؟

ـ لست ادري حتى الان .

ـ ارجو ان تحرص على ان يتوفر في سكنك الجديد هذا شرطين : ان يكون بعيدا في وسط المدينة ، وأن يكون كذلك في حي صاخب .

ولم استطع ان افهم مغزى هذا الطلب الا بعد قليل ، فقد سألتها :

ـ ولم هذه الشروط ؟

فاطلقت نفس الضحكة العالية وهي تقول :

ـ الم تفهم وحدك . انك ساذج !

فارتبكت مرة اخرى بصورة قوية ، ولكني تذرعت بالهدوء وقلت لها :

ـ لم افهم . انني اريد حيا هادئا . يصلح للعمل . فلماذا هذه الشروط ؟..

ـ لكي استطيع زيارتك دون ان يراني احد !..

وعندئذ ادركت ضرورة فراري من هذا الموقف بأسرع ما يمكن . لم اكن ابتغي الجلوس الى انثى . محض انثى لا تبتغي من حياتها شيئا سوى الرجل . كنت اريد فتاة رقيقة سحرتني في الصباح ببسمتها وتألق عينيها لاجلس معها قليلا فأحظى بشيء من الراحة وهدوء البال . وربما ... ربما استطعت بعد تكرار لقائي معها ان آنس اليها اكثر فاكثر وأحظى في النهاية بانسانة تحبني وأحبها . ما كان اشد خيبتي ! وما شعرت بعدها الا وأنا ادفعها امامي الى الخارج بقوة ونظرات الرواد تلاحقنا ، وسمعتها تقول ، وأنا اودعها على محطة الاتوبيس :

ـ ماذا جرى لك ؟

ـ لا شيء . مجرد تعب بسيط يحدث لي احيانا .

ـ مسكين !

قالتها بسخرية حتى قررت ان احسم الامر بأسرع ما استطيع ،فقلت لها بعصبية والمنديل ما زال عالقا بيدي :

ـ مع السلامة .

ـ ومتى سأراك ثانية ؟

ـ قريبا .. قريبا ...

قلت ذلك وأنا اسارع بالابتعاد كأنما أجري ، أفر من شيء مفزع . وعدت الى البيت . وكان اول شيء فعلته هو ان اغلقت شباك حجرة الجلوس ، وأنزلت عليه ستارة لم تكن تنزل عليه ابدا مع انها موجودة منذ زمن طويل ، وجلست خلفه على كرسي مريح اجفف عرقي،ودموعي، حتى الصباح .

✶

غير ان الصباح كان يحمل لي مفاجأة جديدة ، بينما كنت قد عقدت العزم نهائيا على ألا تكون دموع المساء قد جفت الا ويكون القلق الذي استحوذ على نفسي قد تبخر نهائيا ورجعت الى حالة من الصفاء تؤهلني لبداية مرحلة جديدة من حياتي . ولكن الدموع آثرت ان تتخذ من هذه المصادفة الجديدة معينا لا ينضب . وظللت ابكي بعد ذلك بلا انقطاع لمدة ثلاثة ايام . ثلاثة ايام طوال .

كنت مستغرقا في دفء الفراش استغراقا كليا وقد اخذني ذلك الخدر اللذيذ الذي يسيطر علي في تلك اللحظات على الدوام كلما تصادف ونمت متأخرا . وسمعت طرقات على باب الحجرة ولم يمهلني الطارق حتى ارد عليه ، اذ سمعت صرير الباب وهو ينفتح برفق وصوت اختي الكبرى يصافح اذني وهي على مسافة قريبة جدا من رأسي :

ـ محمود ! محمود !

وتقلبت في الفراش على جانبي الاخر موليا ظهري اليها دون ان ارد ، لانني كنت متعبا للغاية وأريد ان استأنف النوم دون ازعاج . غير أنها كانت فيما تبدو متلهفة على ايقاظي بأي ثمن

ـ محمود . افتح يا محمود . صفاء هنا .

كان صوتها خافتا كالهمس عندما قالت لي هذه الجملة الاخيرة وهي تهزني من كتفي برفق ، ولكنه كان واضحا غاية الوضوح ، ولا مفر من قبول الحقيقة دون اي محاولة للتهرب . لقد سمعت بالذات الجملة الاخيرة بكل حرف من حروفها : « صفاء هنا . » . وكأنما ذابت الحروف وتحولت الى سائل ناري اخذ يجري في عروقي مع الدم . وفتحت عيني على اقصى ما تكون سعتهما وقذفت الغطاء بعيدا بركلة من قدمي، واستويت جالسا على السرير وجذبت اختي من يدها فأجلستها

فاغلقت الباب ، وقلت لها مفزوعا :

ـ ماذا حدث ؟

ـ اقول لك صفاء هنا ، الا تسمع . وصلت حالا .

ـ وماذا جاء بها ؟

ـ جاءت تقابل خطيبها وتمكث معنا قليلا . عدة ايام .

ـ وخطيبها معها الان ؟

ـ لا .

ولم ارد عليها . غير أنها قامت وخرجت في هدوء بعد ان اغلقت الباب وراءها وخلفتني وحدي . وتذكرت في الحال الخطاب الذي ارسلته لي صفاء وانا في العراق . فقد قالت لي فيه بكلمات ساذجة :« انني سأتزوج رجلا آخر غيرك ، ولكنك ستظل اطيب انسان عرفته في حياتي .» لم تكن متاعب السهر في الليلة الماضية قد زالت آثارها من جسمي تماما ، وفوق ذلك فاني لم أحظ بأكثر من ساعتين قضيتهما نهبا للاحلام المفزعة ، وهانذا أحس أعضائي كلها الان وكأنها قد انفصلت عن بعضها واستقل كل عضو بذاته استقلالا تاما . كانت الايام الاخيرة هذه قد سلبتني كثيرا من وهج الحياة ، ولذلك كان الشعور المسيطر علي بشكل واضح جدا هو انني اضمحل ، اتبخر شيئا فشيئا . وبالرغم من ان خبر وجود صفاء بالبيت قد اثارني جدا ، الا أنني بعد قليل استشعرت له طعما سائغا للغاية في وجداني . انها قريبتي ، وهي الانسانة الوحيدة التي عشت معها تجربة حب حقيقي لم تشأ له الظروف ان ينتهي نهاية سعيدة . فقد كبرت البنت دون ان افرغ من تعليمي ، وما ان فرغت منه حتى كان علي ان ابحث عن عمل خارج مصر . فما كان من اهلها الا ان قبلوا اول من تقدم اليهم يطلب يدها . لم اكن قد رأيتها منذ خمس سنوات على التقريب ، والصورة التي احفظها لها في ذهني هي صورة فتاة حلوة مشرقة الوجه لم تتجاوز الرابعة عشرة من عمرها . ترى كيف اصبحت الان ؟ وكيف لي ان اواجهها ؟ وعلى اي نحو سأتصرف معها ؟ وما الذي سأقوله لها ؟ وهل هي حقا آتية لرؤية خطيبها ام أنها ترمي الى شيء آخر دفع بها اليه اليأس وخيبة الامل ؟. في الحياة اناس قد ركزوا سعادتهم ، برغم قسوة الظروف ، في شيء واحد فقط ، جانب واحد من جوانب وجودهم تضخم وتضخم في نظرهم حتى صار هو الوجود نفسه ، الحياة بكاملها . بعضهم اختار المال وبعضهم آثر النجاح او الصحة مثلا . ولذلك فقلما تراهم يحزنون اذا ما اصابهم مكروه خارج حدود هذا الجانب ، بل انهم قد لا يشعرون به . وهذه الفتاة الصغيرة كانت قد فضلت الحب على اي شيء سواه فعلقت عليه كل آمالها وركزت فيه كل افراحها المبتغاة . وكنت انا الانسان الذي احبته . وهانذا الان ادرك تماما انها قد جاءت لا لترى خطيبها ، فانا واثق انها لا تود رؤيته طوال حياتها ، ولكن لتثير فيَّ كل احاسيسي القديمة لكي احاول بدافع منها ان امنع اتمام هذا الزواج . وهذا امر مستحيل ما دام قد وصل الى هذا الحد . فابوها قد اعطى كلمة لخطيبها ، وليس من الشرف بنسبة لرجل ريفي عندنا ان يرجع في كلمته . وهي تعلم ذلك ايضا . ولكني تذكرت امراة من قريبات امي مات ابنها الضابط في حادث سقطت فيه الطائرة التي كان يقودها في البحر وهي عائدة من اوروبا بعد تخرجه بشهور . غير انها أبت ان تصدق موته وظلت تؤكد لكل من تراه ان ابنها سيعود بعد ايام . وأخذت تهيء له حجرته كل يوم وترسل ملابسه الى المكوجي وتنظف فراشه ، وتفاضل بين الفتيات اللاتي قد رشحتهن من قبل للزواج منه . ظلت شهرا كاملا بهذه الصورة ولم تنتقل من البيت الا الى مستشفى الامراض العقلية . افكانت هذه الفتاة تطلق آخر صرخة يأس بهذه الزيارة على حب لا تريد ان تصدق انه مات ، او بالاحرى قضي عليه بالموت ؟ وصممت على ان اكون رابط الجأش جدا خلال فترة اقامتها بالمنزل ، وصممت ايضا على الذهاب الى خطيبها لاستدعائه ليكون الى جانبها معظم الوقت ، وكذلك صممت على ان اقضي اكبر فترة ممكنة من وقتي خارج البيت . ولكني كثيرا ما اصمم على اشياء لا استطيع تنفيذها مطلقا . وهانذا جالس على سريري قبل ان اخرج اليها ،وبيني وبينها فاصل رقيق للغاية ، باب خشبي ، ولست ادري اذا ما فتحت هذا الباب وخرجت اليها فهل سأستطيع كبت عواطفي التي تبرزها الان تمزقات هذه الايام الماضية . ربما ضممتها الى صدري امام الجميع وقبلتها قبلة اضع فيها كل متاعبي ومخاوفي وآلامي ، وربما لم تخرج من شفتي سوى ثلاث كلمات رتيبة خالية من المعنى هي : « ازيك يا صفاء » . لست ادري . الا انها هي نقطة الطهر الوحيدة في حياتي . غير ان الباب انفتح بصورة غير متوقعة ووجدتني وجها لوجه امام انسانة تعرفت في ملامحها بعد عناء شديد على فتاة الرابعة عشرة الصغيرة التي كنت احبها والتي قضيت معها فترة طويلة من عمري في طفولتي ومراهقتي . انني الان امام امرأة كاملة ناضجة ولم تمهلني حتى استرد قواي التي امتصتها المفاجأة ، اذ قالت لي وقد استلقت بكل شجاعة على مقربة سنتيمترات مني فوق السرير : ـ

ـ ازيك يا محمود . ألا زلت تذكرني ؟

ووضعت يدها على كتفي ، وكنت لا ازال مستلقيا كما تركتني اختي منذ دقائق ، ثم قربت جسمها مني اكثر من ذي قبل ، وامتدت ذراعها الى عنقي فطوقته ففقدت حساسيتي بالمرة ، ورحت في شبه غيبوبة ،واصابني دوار . ولست ادري ما الذي جعلني اتذكر سناء وما صنعته معي في الليلة الماضية . لقد تحولت الفتاة الصغيرة الخجولة التي كانت تحمر وجنتاها لابسط كلمة ثناء من رجل الى امرأة متبجحة ترغب في غير خجل ، ولا تطرف لها عين وهي تطوق شابا في الثامنة والعشرين من عمره بذراعيها وتقرب وجهها من وجهه وتكاد تلتصق به بجسمها كله وهو راقد لا حيلة له على فراشه غارق في الاحزان . وتخلصت منها بسرعة ، ونظرت اليها نظرة عتاب صامتة دون ان احرك شفتي بكلمة ،غير ان ذلك كان اشد اثارة لها فيما يبدو . وخيل الي انني ربما كنت بطلا لقصة غريبة تكتبها المصادفات ، والا فأي تبرير معقول لهذا الذي يحدث لي منذ عدت الى مدينتي . وحاولت ان اجعل صوتي يبدو رزينا وأنا اقول لها :

ـ أين خطيبك ؟

فضحكت . يا الهي ! ، انها نفس الضحكة التي اطلقتها سناء بالامس في الكازينو .

ـ من خطيبي ؟

ـ خطيبك طه .

ـ طه !.. آه ... في الوزارة

ـ أي وزارة ؟

ـ وزارة المالية .

وبعد قليل كان طه يجلس معنا على الغداء . ولست أدري أهي المصادفات وحدها التي جعلت مقعدها يكون ملاصقا لمقعدي ام هو تدبير محكم منها لكي تواصل اثارتي هكذا امام الجميع وفي وجود الرجل الذي سيصبح زوجها بعد اشهر . ولكني مع ذلك ظللت طوال فترة الاكل

صامتا . كانت انفعالات شتى ، بل ومتناقضة ، تتجاذبني . غير ان شيئا منها لم يكن باديا على سحنتي . هذه هي المرة الثانية التي اصبو فيها الى لحظة جميلة شفافة ، فما اكاد اصل اليها الا وأجد الوهج الذي كان يبهرني من بعيد وقد خبا منها تماما وأراني ازاء كائنات باردة ودنيئة ايضا.

واستأذنت بعد الطعام ودخلت الى حجرتي ، الا انها لم تتركني ، فسرعان ما رأيتها على سريري .

ـ لماذا انت حزين ؟

ـ لا شيء .

ـ انا افهمك . عندما خرجت في الصباح ، وقفت في شباك حجرة الجلوس ورأيت الفتاة التي تسكن في العمارة المقابلة ونظرت الي بغيظ. انها هي السبب . يا خائن !

ـ أي فتاة ؟

ـ أي فتاة . هه . لست أنا التي يمكن ان تخدع بمثل هذا الكلام . ولكن ....

ـ ماذا ؟

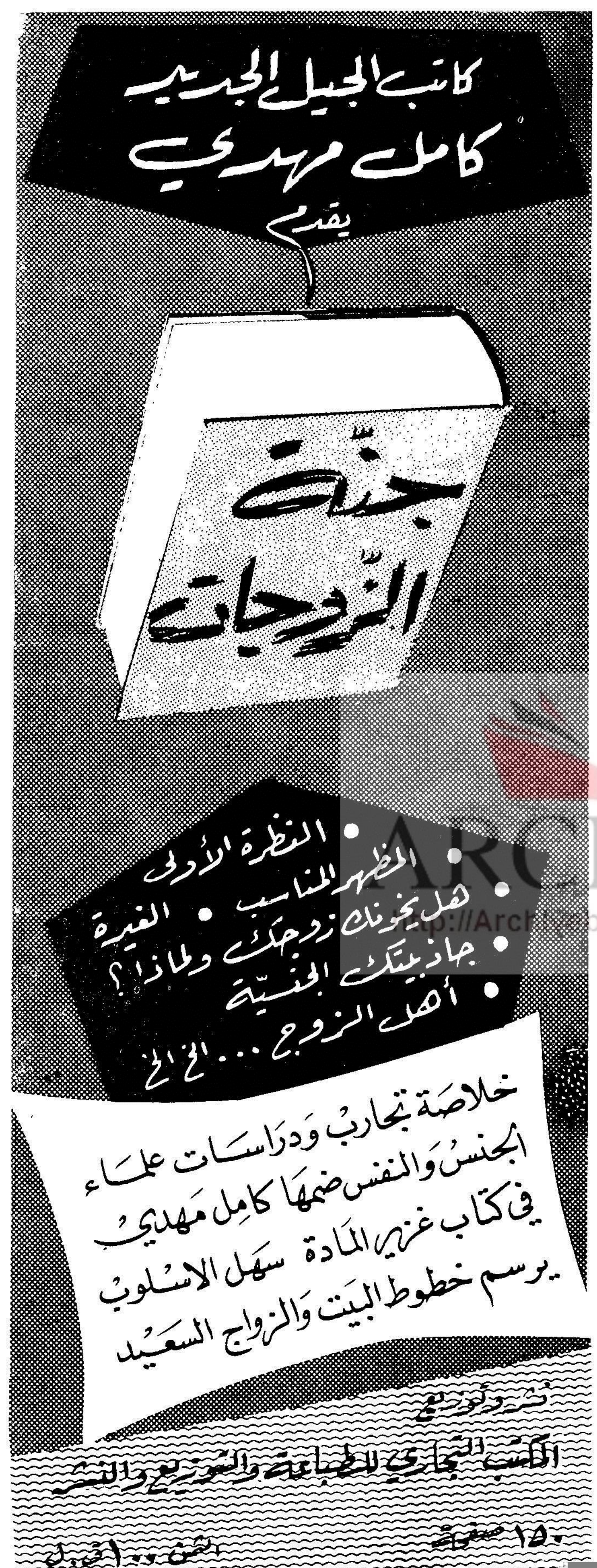
ـ ولكن ... احبك مع ذلك .

منذ ان دخلت هذه الفتاةالى بيتنا لم اسمع منها كلمة واحدة تنطقها باخلاص مثلما نطقت هذه الجملة الاخيرة . لقد خيل الي ساعتها أنها تحولت فجأة ، وبمنتهى السرعة ، الى فتاة صغيرة مشرقة الوجه ذات اربعة عشر عاما . فتاة احفظ ملامحها في قلبي بدقة بالغة . وكانت ساعتها كأنما تنفخ في نار خامدة في داخلي . وما انقضت دقائق الا وكانت مرتمية علي تقبل كل جزء من صدري وتجذب شعري وهي تشهق.ودفعتها بعيدا عني بذراع متخاذلة ، وصفقت باب الحجرة ورائي ونزلت الى الشارع لا ادري الى اين اذهب على التحديد .

★

يسعدني كثيرا ، اكثر من اي شيء آخر في الحياة ، ان استغرق في منظر العالم قبل ان تطلع الشمس بقليل . انها لحظة ميلاد رائعة تحتفل بها السماء وتستقبلها الارض نفسها بصمت مهيب ، كأنما المولود القادم سيكون له شأن كبير في هذه الدنيا . هناك لون لا استطيع ان اطلق عليه اسما محددا ، ولكنهيذوب بدرجات متناسقة جدا في الافق . البيوت كلها ساكنة وما من صوت بعد ، غير صوت واحد طويل متصل ، لا اسم له ايضا ، ولا استطيع ان ادرك من اين ينبع فهو آت من كل مكان ،كأنما ليبارك الضوء القادم هناك من بعيد . ويضحل اللون بالتدريج ، شيئا فشيئا . بينما تصعد حزمة من خيوط الضوء الذهبية لتندمج مع زرقة الافق وبياض قطع السحب المتناثرة . هناك ، في شرفة من شرفات احد البيوت في حي من احياء القاهرة، كان شاب قد بلغ الثامنةوالعشرين من عمره ، ليس في هذه اللحظة ، ولكن منذ عدة شهور ، يقف بملابس نومه وقد سدد نظرات الى الافق البعيد . وكانت لا تصدر عنه ايحركة : شاب لم يكن لديه عمل ، ولم يكن يتمتع بالحب ، وكانت الصداقةبالنسبة اليه عبثا لا يحتمل . ولكنه ظل مع ذلك واقفا يستقبل هواء الصبح الرطب وما زالت نظراته عالقة بالافق الرائع الذي يولد منه النور .

القاهرة — وحيد النقاش



ارنست همنغواي

– تتمة المنشور على الصفحة ٤٣ –

وفي ثلوج كليمنجارو يكون الثلج رمزا للموت وللخلود ايضا. اما الضباع والنسور فرموز للموت دون الخلود .

في كتاب همنجواي « تلال افريقيا الخضراء » (وموضوعه رحلات الصيد التي قام بها همنجواي في افريقيا تتخلله اراء له في فن الكتابة والحياة) يصف ضباعا كانت قد اصيبت في بطنها وتدلت احشاؤها ولكنها اثناء ذلك تنهمك في التهام امعائها المتدلية بتلذذ. ويقول الناقد الاميركي ماكسويل جيسمر « ان الضبع هو القاتل والقتيل وحين يصطاد يتحرك بالتواءات جنونية (تشبه حركاتنا) ثم يهجم دون وعي منه على احشائه .وأثناء اندفاعه بالموت النيكلي الصغير الذي اصابه (والذي ارى اننا جميعا نحمله باحد الاشكال) يقوم بدوره الساخر اذ يأكل نفسه واهما انه انما يغذي نفسه ، ولسنا نفعل في الغالب افضل منه .)

✶

تعتبر قصة همنجواي الطويلة الاولى « الشمس تشرق ايضا » قصة الجيل الضائع ولقد طالما قارنها النقاد بقصيدة اليوت « الارض الخراب » فكلتاهما من نتاج ما بعد الحرب العظمى الاولى وكلتاهما تصفان عالما ضائعا ليس فيه من القيم ما يمكن التشبث به وفي كلتيهما نجد رجلا فقد قواه الجنسية : في الملحمة يكون الملك الصياد قد فقد قواه ونتج عن عقمه عقم في الارض التي يحكمها وفي القصة يكون البطل جيك بارنز قد اصيب في طاقته الجنسية نتيجة للحرب التي خرج منها وهي معركة عقيمة . ولندن هي مسرح « الارض الخراب » تصبح في القصة باريس ما بعد الحرب ، وكما نجد في « الارض الخراب » ان الصلة بين الجنسين صلة ميكانيكية غاب عنها الحب كذلك نجد في القصة علاقات تقرب من هذه الصلات . ثم ان السؤال الملحاح في « الارض الخراب » وهو : ماذا سنفعل الان ؟ يتكرر باشكال عدة في القصة وجوابه « لا شيء » ايضا ، او تجاريب عدة تنتهي بلا شيء . وبغية الهروب من هذا السؤال فان ابطال القصة لا يلعبون الشطرنج كزملائهم في الملحمة ولكنهم يقضون اوقاتهم في شرب متصل . وكما ان الملك الصياد في الملحمة يصطاد السمك فعلا فان بطل القصة يذهب الى صيد السمك بالفعل . غير ان القصة اشد امعانا في اليأس من الملحمة ، ذلك لان الملحمة تنتهي بالامل عند سقوط المطر ولكن القصة ليس فيها مطر وحين يهطل المطر في القصة التي تليها « وداعا للسلاح » فانه لا يمنح الحياة بل الموت .

تستعير قصة « وداعا للسلاح » عنوانها من قصيدة لجورج بيل بنفس الاسم ، وحيث يشعر الشاعر بالحنين للسلاح والحرب يكون وداع همنجواي للسلاح وداعا لحرب قذره تقتنص الشباب باسم المجد والشرف وترميهم قطعا من اللحم ليس لهم من يدفنهم .

ولكي نستطيع ان نكتشف جذور قصة « وداعا للسلاح » وهي من اجود ما كتب من القصص ، علينا ان نعود الى اقصوصة من اقاصيص مجموعة « في ايامنا » وهي المسماة « قصة قصيرة جدا » وهي فعلا قصيرة جدا. اذ لا تزيد على صفحتين مع مقدمتها .

اما مقدمتها التي لا تتجاوز بضعة اسطر فلها اوثق الصلة بقصة « وداعا للسلاح » وفيها نجد نيقولا ادامس جريحا :

جلس نيقولاي تلقاء جدار الكنيسة حيث سحبوه ليكون بعيدا عن نيران المدافع الرشاشة في الشارع . كانت ساقاه بارزتين بشكل مضحك . لقد اصيب في عموده الفقري . اخذ العرق يتصبب من وجهه الذي كان وسخا . كانت الشمس تسطع على وجهه . النهار كان شديد الحرارة. رينالدى ذو الظهر الضخم بامتعته المتمددة معه انكفأ على وجهه نحو الجدار . نظر نيقولا الى الامام بوضوح . لقد انهار الحائط الوردي للبيت المقابل وتدلى منه نحو الشارع سرير حديدي معوج . نمساويان انطرحا ميتين فوق الانقاض تحت ظل البيت . في الشارع كان هناك موتى اخرون ... ادار نيقولا وجهه بعناية نحو رينالدى وقال « اسمع يا رينالدى ، اسمع ، لقد قمنا انت وانا بصلح منفرد . وظل رينالدى ساكتا تحت الشمس يتنفس بصعوبة(١).. »

وقبل ان انتقل الى الاقصوصة اود ان اشير الى قول همنجواي هنا « كانت ساقاه بارزتين بشكل مضحك » والجريح لا يكون مضحكا ايا كانت وضعيته غير ان همنجواي وهو احد سادات المتواضعين في التعبير يحاول اغفال المأساة مظهرا في الوقت نفسه احساسه الحاد بها. والحقيقة هي كما قال ت . س . اليوت ان الذين يملكون الشخصية والعواطف هم وحدهم المدركون لقيمة الهرب من الشخصية والعواطف (٢)

وبعد هذه المقدمة التي ليست لها علاقة ظاهرية بالقصة تبدأ «قصة قصيرة جدا » A very Short Story وهي تروي بسرعة برقية غرام جندي اميركي بممرضة تدعى لوز Luz وتعاهدهما على الزواج بعد ان يذهب الاميركي قبل صاحبته الى امريكا ليجد عملا فيها ولكي تلحق به ولكن الممرضة تظل بعد الحرب في ايطاليا لتدير مستشفى هناك ويحبها ماجور ايطالي فتكتب الى صاحبها في امريكا ان ينساها لان غرامهما لم يكن سوى مسألة صبيانية وانها سوف تتزوج الماجور في الربيع ، ثم ان الماجور لا يتزوجها في الربيع ولا في اي وقت آخر. اما صاحبها في امريكا فيصاب بالسيلان جراء اتصاله بفتاة بائعة في احد المخازن .

في قصة « وداعا للسلاح » رمزان رئيسيان هما التقابل بين الحياة والسعادة اللتين توجدان في الجبل – اي ان الجبل في هذه القصة رمز للبيت والحياة السوية – وبين الموت والحرب ، ويزخر بهما السهل .ان الجبل هنا هو المكان النظيف الحسن الاضاءة . وحين يسبح هنري في النهر هاربا من الحرب فانه يقوم بما يشبه طقوس التعميد ، اذ انه يريد ان يولد من جديد ويغسل عن نفسه ادران الكراهية والكفاح الباطل . كما ترمز بين ما ترمز الى محاولة الفرد الخائبة لاتخاذ موقف مستقل نحو السلطة ، والسلطة تريد منه ان يحارب ولكن متطلبات كيانه منصبة على ترك حرب لا تعني شيئا بالنسبة اليه وهو يريد ان يقوم « بصلح منفرد» كالذي قام به نيقولا ادامس حين استلقى جريحا في مقدمه « قصة قصيرة جدا » غير ان الصلح المنفرد الذي قام به هنري في « وداعا للسلاح » كلفه كل شيء تقريبا .

---

(١) قد يبدو هذا الاسلوب المقطع البرقي غريبا على اللغة العربية ولكن هكذا اراده همنجواي وقد أحسست ان ربط الجمل بحروف العطف وغيرها مما يفسد التشنج في وصف الدمار . على انه ينبغي ان اقول ان همنجواي يستعمل حرف العطف And في غير هذا الموضع من ادبه ببراعة لا اظن ان احدا وفق اليها .

(٢) Tradition and the Individual Talent (التراث والموهبة الشخصية) في Selected Essays by T.S. Eliot

لقد قال همنجواي : ان « وداعا للسلاح هي روميو وجولياي My Roméo and Juliet والشبه بين المأساتين يقع على عدة طبقات . فأولا نجد ان الحب العنيف الذي نجم في كلتيهما ما كان في منشاه سوى مغازلة عابرة . هذا الى ان الحب في « وداعا للسلاح » يشتعل في خضم عالم عدو متخاصم لا ضرورة تدعوه الى التخاصم وهو يشبه العداء الذي كان بين العائلتين في روميو وجوليت . يضاف الى ذلك من اوجه الشبه ان كاترين في « وداعا للسلاح » تصير الى مصيرها في جو من الحتمية يشبه الجو الذي سارت فيه جوليت الى مصيرها وان كان السبب المباشر لموت كاترين مسألة ليست من صلب الجو الذي كان يهيء اسبابا كثيرة اخرى ، اذ ان موت كاترين كان نتيجة لعدم استعداد جسمها للوليد وهذا السبب يقابل الصدفة العارضة التي قتلت جوليت وهي منع الرسول من الوصول الى روميو في منفاه في الوقت المناسب . فالحرب اذن لم تكن السبب المباشر في قتل كاترين كما لم يكن العداء بين عائلتي مونتاجو وكابيوليت سببا مباشرا في قتل جوليت غير ان الجو المأساوي في كلتيهما يطبع حياتيهما بطابع الموت منذ اللحظات الاولى .

كتب همنجواي بعد قصة « وداعا للسلاح » كثيرا من القصص القصيرة وكتابين طويلين احدهما المسمى « الموت بعد الظهيرة » وفيه يصف همنجواي تكنيك مصارعة الثيران تتخلل ذلك اراء شخصية حول الحياة وفن الكتابة واسبانيا التي يحبها . وهذا الكتاب لا يعد من اجود ما خلق همنجواي الا لدى الاسبان الذين اعتبروه من افضل الكتب حول مصارعة الثيران .

والثاني قصته الطويلة « الملك والاملاق » To Have and Have Not وقد استطاع فيها ان يرسم صورة لمغامر افاق في كي وست Key West تعد من اقوى ما كتبه في رسم بطل يصارع وحده في عالم لا قانون له وهو يخفق في ذلك لانه يصارع وحده . وان الفصول المتعلقة بالمغامر هاري مورغان قل ان استطاع همنجواي نفسه ان يدانيها من حيث التأزم والبلاغة المنبثقة من صميم الفعل . ولو ان همنجواي اقتصر على هاري مورجان وصراعه الفاش لكانت هذه القصة من اروع ما كتب ولكنه آثر ان يلقى ضوءا على شخصية مورجان الافاق المعدم الخارج على القانون بازائه صورا اخرى لاناس هم ضالة البشرية وعالة عليها لا من حيث انهم محرومون فحسب كهاري مورجان بل من حيث انهم عديمو الشرف تافهون جبناء غير مخلصين وقد كان يمكن لتلك الصور ان تكون جيدة لولا ان همنجواي بالغ في التقابل الساخر بين الصورتين حتى اصبحت محاولاته في البيان عنهم خطوطا كاريكاتورية اضعفت من قوة الخطوط التي رسم بها مورجان ولطفت من عنفوانها . غير اننا نجد محاولات همنجواي حتى في تلك الشخصيات المصورة بشكل كاريكاتوري تشع بعبقريته ونفاذ حسه ، من ذلك مثلا المقطع المتعلق بشخص وصولي استطاع في عالم المال ان يخدع الكثيرين وان يحصل على المغانم نتيجة انانية مفرطة دفعت بالكثيرين من ضحاياه الى الانتحار وهو الان نفسه يتأمل ذلك بعد ان ورط نفسه امام القانون بتزويره في دفع الضرائب « التجأ بعضهم الى رمي انفسهم من شقة عالية او من مكيث ، وبعضهم تجرعها بهدوء في كراجات ذات سيارتين بعد تشغيل المكائن واخرون استعملوا التقليد القومي بمساعدة كولت او سميث ويسون(1) ... هذه الالات الجيدة الصنع التي تضع حدا للارق وتنهي الندم وتداوي السرطان وتتجنب الافلاس ... هذه الادوات الامريكية الباعثة على الاعجاب، السهلة الحمل ، الاكيدة المفعول ، المهيأة بشكل مضمون لانهاء الحلم الامريكي حين ينقلب كابوسا ... والذين حطمهم استعملوا احد هذه الابواب العديدة للخروج ولكن ذلك لم يكن ليقلقه فانه يتعين على بعض الناس ان يكونوا خاسرين ولا يغتم لذلك سوى ضعاف القلوب .»

وقد وجب على هاري مورجان ان يكون اسدا في ذلك الغاب وهو يختلف عن ذلك المغامر المالي الذي يحطم كل من يتصل به في انه لا يفعل ذلك للذة السيطرة ولا حبا في الغنم الهين ولكن لانه ان لم يكن افاقا مغامرا ويضع قانونه يمت جوعا هو وعائلته . ثم انه رجل كامل الرجولة بعكس الكاتب جوردون الذي تلقي عليه امرأته سيلا شنيعامن السباب كما ان همنجواي يشير في هذه القصة الى الحياة الجنسية السوية المليئة بين هاري مورجان وزوجته ماري وكانه بذلك يرمز الى ان المعدمين يعيشون حياة اسلم وأثرى من المتبطرين وذوي اليسار الهين. ولو قارنا علاقة هاري مع زوجته بعلاقة زوجة المخرج السينمائي التي تمضي اياما على احد اليخوت مع عشيقها الذي لا يستطيع بدوره ان يجعلها سعيدة لادركنا قصد همنجواي في هذا المجال .

اما موت هاري مورجان فانه يعتبر مهما في تاريخ تطور وعي همنجواي الجماعي وعزوفه عن الفردية المطلقة التي كانت تسود ادبه السابق ، يقول هاري مورجان وهو في النزع بعد ان اصيب في مقتل :

« ما من جدوى هناك .. لا يستطيع الانسان وحده ان يفعل شيئا.. ليس للانسان وحده من حظ .. ثم اغلق عينيه . لقد اقتضاه هذا الكلام وقتا طويلا لينطقه وقد اقتضاه كل حياته ليتعلمه . »

وهذا تبشير بالانتظام في الجماعة الذي تعبر عنه قصة همنجواي التالية « لمن تقرع الاجراس »

*

ان قصة «لمن تقرع الاجراس» اطول قصة كتبها همنجواي حتى الان وهي على ما فيها من ثغرات قصة جيدة جدا .

لهمنجواي براعة خاصة في اختيار الاسماء لكتبه وقصصه وعنوان قصة « لمن تقرع الاجراس » مأخوذ من الشاعر جون دون Jhon Donne حيث يقول : « ما من انسان جزيرة وحده ، كاف بذاته . ان كل انسان جزء من القارة ... ولو ان قطعة من الساحل جرفها البحر فان اوروبا تصبح اقل رقعة .. وان موت اي انسان نقص في حياتي لاني واحد في البشرية فلا تتساءل اذن لمن تقرع الاجراس اذ انها تقرع لك . »

تصور هذه القصة اناسا بسطاء في حرب مع الفاشستية بينهم رجل امريكي مؤمن بهم ومحب لهم .

ان ادراك همنجواي لقبح الفاشستية بعيد الامد فكان سنة ١٩٢٤ يتوجس شرا منها في حين كان كتاب يدعون فهما للقضايا الاجتماعية مثل ه.ج. ويلز يعبرون عن تفاؤلهم بتسلم موسوليني للسلطة في ايطاليا . والحق يقال ان همنجواي ليس كاتبا متفلسفا ولكنه كاتب ذو حس سليم في اغلب الاحيان وهو الذي كتب عن الفرقة الايطالية التي ارسلها موسوليني لتحارب في اسبانيا والتي ابيدت عن آخرها فقال ابان احتفالات النصر التي قام بها الجمهوريون ان هؤلاء الصبية الذين ارسلهم موسوليني ليحاربوا باسمه ماتوا دون ان يعلموا ان عدوهم الحقيقي الذي كان يجب ان يحاربوه انما هو موسوليني نفسه ثم انه اثنى على شجاعة هؤلاء الصبية المساكين الذين قاتلوا في المكان الخطأ .

ورغم كل ذلك فان هذه القصة لا يمكن اعتبارها وثيقة ممتازة من وثائق الادب السياسي. والرجل الامريكي بما انه يمثل همنجواي نفسه الى حد كبير

---

(1) انواع من المسدسات

فان اشتراكه في الحرب الاسبانية منبثق بالدرجة الاولى من حب همنجواي الشديد لاسبانيا اكثر مما هو مستوحى من تعمق همنجواي في الفاشستية باعتبارها قوة ظلامية . ان موقف همنجواي طوال حياته من القضايا الثقافية (والسياسة قضية ثقافية كبرى في هذا العصر) كان موقفا لا يعبر عن تأملات فكرية توازن وتقيم بتجريد نظري ، وبعبارة اخرى ان همنجواي كاتب خلاق وليس متفلسفا .

في قصة « لمن تقرع الاجراس » اتخذ تكنيك همنجواي اتجاها جديدا لم يكن ناجحا في كل جوانبه فاولا نجد ان القصة ذات مدى زمني لا يزيد على ثلاثة ايام بينما كرس همنجواي ما يقرب من الخمسمائة صفحة لمعالجته اي انه حاول التحليل والتفسير والتعليق على الحوادث بشكل لم يفعله من قبل ولا يتفق مع متطلبات عبقريته التي تبدع في خلق احداث تتحدث ببلاغة كامنة فيها .

على ان همنجواي نجح في خلق شخصيات حية مقنعة كل الاقناع منها اولا شخصية بيلار زوجة بابلو تلك المرأة ذات الحس السليم والبطولة المذهلة والايمان الفلاحي الارضي بالقضية وهو اقوى انواع الايمان . وانسيلمو العجوز الذي لا يحب القتل ولكنه يقوم به مكرها ويتمنى ان يعيش بعد انتهاء الحرب حياة لا يؤذي فيها احدا يكفر عن التقتيل الذي قام به . كما نجح همنجواي في منح صورة كاملة للمنهارين الذين يدخلون معارك كهذه حبا بالدماء وهم بذلك يفقدون القابلية على الكفاح الشريف ويجبنون حين تحتاج الامور الى تضحية ونبل حقيقيين ،واستطاع ان يرمز الى كل ذلك خلال شخص بابلو رئيس تلك الجماعة ، ويجب ان لا ننسى كذلك شخصية ايلسودورو وموته هو وجماعته تحت نيران الطيارات وان الفصل المتعلق بموتهم هو من اروع ما كتب همنجواي من الفصول .

كما ان في القصة حوارا معجزا ككل حوار همنجواي الذي قال عنه الكاتب الانجليزي ايفلن « كان يجب على همنجواي ان يسجل براءة اختراع بحواره العجيب » .

اما الجو الحسي في هذه القصة فليس في ادب همنجواي ما يضارعه شعرا وعمقا .. ويمكننا القول ان هذه القصة رغم كل شيء ستظل من مآثر همنجواي الممتازة .

✶

لقد قيل ان همنجواي لم يستطع ان يخلق امرأة مقنعة وما كاترين في « وداعا للسلاح » ولا ماريا في « لمن تقرع الاجراس » سوى ظلال تدور في جو حلمي مما يدور في احلام الصبيان عن المرأة الملائكية المشتهاة . وعجيب ان يقول مثل هذا الرأي ناقد كبير جدا مثل ادموند ويلسون وهو رغم نفاذ بصيرته في كتاباته النقدية الاخرى لم يول همنجواي الاهتمام الذي يستحقه . على ان كارلوس بيكر Carlos Baker في كتابه القيم عن همنجواي كتب ردا شافيا ملخصه ان نساء همنجواي يعشن في عالم متشنج فلا تراهن في بيوتهن بين المطابخ وغرف الضيوف وان كن في اعماقهن ينظرن الى البيت كمثال وغاية وهذه الحياة في اتون الحرب والمغامرة جعلت منهن بالنسبة الى الابطال رمزا للمكان النظيف الحسن الاضاءة فأينما يكن يكن البيت او الحنين اليه . على انه من المسلم به ان عالم همنجواي عالم رجولي وليس للمرأة دور فيه سوى دور الاتمام والتكامل مع الرجل . انها تهب الرجل ما ينقصه من استقرار .

حين يذهب هنري مع كاترين في « وداعا للسلاح » الى فندق في ميلانو تقول كاترين عند دخولها انها تحس كأنها عاهرة ولكنهما ما ان يستقرا فيه حتى يشعرا كأنهما في بيتهما .

يحاول همنجواي ان يصور بعناية مستوى سويا لاخلاقية المرأة وهو يشير الى هذا المستوى حتى يجعل نساءه يخرجن عليه ، سواء اكان خروجهن نتيجة لتكوينهن الداخلي كالحال في بريت اشلي بطلة « الشمس تشرق ايضا » ومارجو بطلة « حياة فرانسيس ماكومبر السعيدة القصيرة» ام نتيجة للظروف القاهرة التي يقعن تحتها كاغتصاب الفاشست لماريا في « لمن تقرع الاجراس » . اما ماريا فان عودتها للمستوى السوي للاخلاقية النسوية بعد الصدمة التي احدثها الفاشست في كيانها للنفس رهين بحب روبرت جوردان لها وما محاولة المرأة بيلار في التقريب بين روبرت جوردان وماريا في مدى الايام الثلاثة التي سوف يعيشها جوردان غير رمز لتطهير ماريا من اثر الاغتصاب عن طريق حب سوي .

لقد قام الفاشست بقص شعر ماريا بالاضافة الى اغتصابها وان شعور ماريا بان شعرها سيطول اشارة الى استعادتها للانوثة السوية وتصالحها مع الجنس الرجولي في شخص روبرت جوردان .

ثم ان هناك جانبا آخر يجب ان لا يهمل بخصوص نساء همنجواي وكونهن تجريدا لعاطفة غنائية على حد قول ادموند ويلسون وهو ان نساء همنجواي على العموم مظهر من مظاهر الشعر في العالم الرجولي الجاف وهن بوجودهن يخففن حدة التوتر الذي يشد الرجل ويكدن يكن نغمة رقيقة ازاء النغمة الحادة التي هي الرجل Point Counter Point

✶

قال همنجواي سنة ١٩٤٢ « ان اخلاص الكاتب للحقيقة يجب ان يكون من القوة بحيث يبدو ما يبدعه من خلال تجربته اكثر صدقا من اي واقع حقيقي » . ولم يكن همنجواي حين قال ذلك القول قد كتب اقصوصته الطويلة « الشيخ والبحر » . بيد ان اخلاصه لفكرته تلك (والتي قالها بشتى الاشكال) يظهر على اشده واعمقه في هذه الرائعة العجيبة . ان كل شيء فيها واقع ملموس غير ان قراءتها تحدث جوا اسطوريا يلامس الواقع ثم ينفلت عنه الى شطئان لا ترى واصوات لا تسمع . وهي كما قال همنجواي في معرض الحديث عنها « لقد حاولت ان اخلق شيخا حقيقيا وصبيا حقيقيا وكواسج حقيقية وبحرا حقيقيا ولئن استطعت ان اجعل منها اشياء حقيقية بشكل كاف فانها قد تعني اشياء كثيرة » .

موضوع هذه القصة هو موضوع همنجواي الملحاح : انها قصة الرابح لا يأخذ شيئا . ما الذي استطاع ان يأخذه جيك بارنز في « الشمس تشرق ايضا » ؟ وهو الذي خرج من حرب ربحت بالفعل وأحبته امرأة لا يستطيع ان يحبها . وما الذي استطاع ان يناله هنري في «وداعا للسلاح » ؟ لقد ربح معركة في عقد صلح منفرد وتركه لحرب لم يعد يؤمن بالكلمات التي تحثه اليها من قدسية وتضحية ومجد ، ولقد ربح حب كاترين ولكنه لم يأخذ شيئا . فان كاترين تموت مع طفلها وتتركه وحيدا مقتلع الجذور في ارض غريبة . وما الذي ناله روبرت جوردان ؟ لقد نجح في تدمير الجسر الذي انيط به تدميره ولقد احبته فتاة تحلم ان تنشيء معه بيتا سعيدا ، ثم انه يموت وحده .

واخيرا ما الذي ناله الشيخ سانتياجو ؟ لقد اصطاد سمكة كبيرة جدا كانت من الجمال والنبل والجلال بحيث لم يعد الناس في نظره جديرين بأكلها ،غير ان الكواسج تأكلها فيتركها في النهاية هيكلا عظميا على الشاطىء .

✶

لا يعرف الاسطورة مؤلف كما لا يعرف للاغنية الشعبية مؤلف ولا

ملحن . انها اشياء تنبثق من اعماق الوعي الانساني وادراكه للحياة على شكل رموز . وكأن همنجواي حاول ان لا يبين عليها انها كتبت بخط يده بل يتحدث بها صوت بعيد لا مشخص ، صوت ليس هو صوت المؤلف وانما صوت الحقائق والوانها وظلالها التي لا تنتهي تموجاتها .

من خصائص الاسطورة انها بسيطة كبساطة الغرائز لها قابلية للتعقيد كما تتعقد الغرائز . ولا تعدو أية اسطورة في الكتاب المقدس او التراث اليوناني او أية اسطورة من الاساطير النوروية او غيرها ان تكون مسألة ساذجة ولكن تعقيد سذاجتها واعادة استكشاف معانيها امور لم تنته بعد وليس يظن لها ان تنتهي وكل زمان يضفي عليها فهما جديدا منبثقا من ادراكه للوجود المعاصر . ان اوديب الاساطير الاغريقية لم يكن بالتعقيد الذي اراده له جيد كما لم تكن انتيجون صوفوكليس تشير الى ما تشير اليه انتيجون جان انوي من قيم سياسية اوجبت اعادة تفسيرها وفقا لضمير عصر انوي . والفنان ليس سوى خلاق اساطير او هو بني بشكل من اشكال النبوة (والانبياء فنانون بشكل من الاشكال) . وكما قلت قابلية الفنان على خلق الاسطورة وتضاءل ما يثبت ان عمله تبرعم عن وعي غريزي بالوجود قلت قيمة انتاجه الفنية . وان النظر في اعمال فولتير وايلد وبرناردشو وزولا يؤيد انها لم تكن فنا بل مناقشات عقلانية وهذا في رأيي هو السبب في ان سارتر اقل اهمية (من حيث الجودة الفنية) من كامو ذلك بأن سارتر مناقش وكامو يتحدث بصوت نبي . ولو وضعنا هؤلاء الفنانين الذين اخفقوا في خلق الاساطير بازاء كبار الفنانين الذين نجحوا في ذلك ـ مثل شكسبير ودستويفسكي وجوركي وهمنجوايوشيخوفومالرو ولوركا وفولكنر وتستطيع القائمةان تتضخم كثيراـ اقول لو وضعنا اولئك بازاء هؤلاء لاتضح ما اعني بالاسطورة . انها لا تعني الخيال والا فأي شيء اشد امعانا في الخيال من كانديد لفولتير . كما انها لا تعني الواقع وحده فلو كان ذلك لاصبح زولا فنانا كبيرا . انها شيء قد لا يمكن فهمه كله دفعة واحدة ولكنه يدرك على مستويات عدة، مستواه الحرفي وما وراء المستوى الحرفي الى عدة طبقات في جيولوجية الوعي . مهما يكن حوار برناردشو ذكيا (وبرناردشو اذكى من كثير من الفنانين الذين هم افضل منه) يدرك على مستواه الحرفي . اما حوار شكسبير او تشيخوف (في مسرحياته على الاخص) فقد يدرك في حدود الفاظه ويدرك ايضا في ابعاد عدة . والاسطورة حتى اذا لم تكن تفهم بكافة ابعادها فانها تقع موقع اغنية جيدة ، وهي ان لم تفهم بالعقل تدرك بالشعور .

والاغنية التي نحن بصددها بعد هذه الافاضة التي قد تكون فضولا ونفاية هي « الشيخ والبحر » . ولو انك سألت الكثيرين ممن قرأوها واعجبوا بها ان يبينوا اسباب اعجابهم لتعسر عليهم الجواب : لقد اعجبتهم وكفى . وقولهم صحيح فهي اغنية وهل تستدعي الاغنية اسبابا للاعجاب بها ؟

غير ان الاغنية الجيدة تطرب بلحنها قبل الفاظها وهذا بعد واحد ثم يكون لها وقع اشد عمقا لو فهمت الفاظها وعماذا تتحدث وهذا بعد ثان ونمضي الى بعد ثالث اكثر نفاذا حين ندرك البناء الموسيقي لها كما ان اصداء الاغنية الجيدة في الذاكرة تشكل بعدا آخر او ابعادا اخرى وأظن هذا هو الذي يقصده همنجواي حين قال يمكن ان يكون للكتابة بعد ثالث ورابع وخامس .

قبل كل شيء ولدى كل قارىء على وجه التقريب تبعث اقصوصة « الشيخ والبحر » رموزا مسيحية . سانتاجو في البحر ممسكا الخيط بيد جريحة ويده الاخرى على الجانب الاخر ، وحين ينطرح اخيرا على الخشب مادا يديه الى الجانبين اعياء ، انما هو صورة المسيح على الصليب .

ليس همنجواي كاتبا متدينا بالمعنى الحرفي للكلمة . ولكن الدين عنده كما عند آخرين من الفنانين العباقرة رموز تتعرف بها الانسانية على نفسها .

تجري القصة اذن في اطار مسيحي لتفصح عن محبة وتواضع ومعانقة الكون كله . فالشيخ سانتاجو « كان من البساطة بحيث لم يتساءل متى ادرك التواضع . ولكنه عرف انه ادركه كما عرف انه لم يكن امرا مخجلا وان ادراكه لا يثلم الكبرياء الحقة » .

والشيخ حين يصارع السمكة الضخمة ويغلبها نجد ان كبرياءه قد تسربت خلال تلك المعاناة ولم يبق له سوى تواضع جم . ونرى الشيخ يقول اثناء تجربته :

« انت تقتلينني اينتها السمكة ولك الحق في ذلك . اني لم ار شيئا اعظم منك ولا اشد جمالا ولا هدوءا ولا نبلا . »

وهو يخاطب السمكة الكبيرة بعبارات الاخوة ويستضيف الطيور الصغار المتعبة على الخيط الذي يشده الى السمكة ويتكلم معها بمحبة .

يشبه كارلوس بيكر الشيخ سانتياجو بالملك لير ويقول :

« لدى قدوم اول الكواسج تبدأ مأساة الحرمان التي تثير من الشفقة ما يثيره الملك لير وهو يعاني تحت تسلط بناته ذوات قلوب الكواسج . ان فرسان الملك الشيخ المائة وهم البقية الباقية من علامات سلطته وجلاله الملكي تنتقص خمسا وعشرين في كل مرة . وكذلك فان الكواسج تلتهم لقما وزنها اربعون رطلا في كل مرة حتى تحيل تلك الانتهاشات سمكة سانتياجو ذات الثمانية عشر قدما والف وخمسمائة رطل الى الهيكل العظمي الذي يأتي به الى الشاطىء »

والمقطع التالي من القصة نفسها يشير بصورة واضحة الى المسيح على الصليب :

« وحين رأى الكوسج الثاني صاح آي » وهي كلمة ليس لها ترجمة وقد لا تكون سوى الصيحة التي يطلقها رجل دون ارادة منه اذ يشعر بالمسمار يخترق يده وينغرز في الخشب » .

كان الشيخ يحدث يديه اثناء مجالدته ويدعوهما اخواتي وهما كيدي اي مصلوب زميلتان له في الالم وقد اصبح الان ثلاثة اشخاص بدلا من شخص واحد .

ويمكن للشيخ ان يزداد قوة وصبرا لو تهيأ لهؤلاء الاشخاص الثلاثة ان تتحد وتتشابك في تحمل العبء المضني.

يقول فيليب يونج :

« لو سألنا انفسنا ما الذي تدور عليه قصة « الشيخ والبحر » في المستوى العام الرمزي ، فان جوابنا لا يمكن ان يكون سوى : الحياة وهي افضل شيء تطمح حكاية ان تدور عليه . لقد كتب همنجواي عن الحياة على انها مصارعة لقوى طبيعية عسير قهرها وليس للانسان في ذلك سوى ان يخسر غير انه مستطيع ان يسيطر على نفسه بشكل يجعل من خسرانه رفعة ويحيله الى نصر .

ان الاسود التي يحلم بها الشيخ اثناء مناهضته للقوى الهائلة التي كان عليه ان يواجهها وحده تشير الى حنين نحو صباه . وتشحن القصة بتيار شعري يمضي ويعود.وكذلك يمكننا اعتبار الصبي مانولو رمزا لصبي

الشيخ. وتذكر الشيخ لصباه من الاشياء التي تساعده وتشد في عضده . ولهذا نراه كلما اشتدت ازمته يقول : ليت الصبي كان معي . ويفعل فيه هذا القول فعل التعاويذ الباعثة على الثقة والتفاؤل فنراه بعدها مباشرة يسيطر على نفسه ويقضي على العقبة التي استدعت مثل هذه الصلاة . فذكرى الصبي تشبه صلاته للعذراء من حيث انها رقية تطرد الهم والمحن .

ويلاحظ كارلوس بيكر من وجهة التركيب الفني لهذه الرائعة ان همنجواي يستخدم فيها القانون السيكولوجي في رواية القصص . وهو قانون الشد والارخاء ، وهو يرى ان الاسود تقوم بعملية الشد اما الصبي يؤدي دور الارخاء كما اننا نجد الشد والارخاء يذكران بالنص في صلب القصص وذلك حين يشد الحبل مرارا الى حد قطعه ثم يسترخى بعد ذلك لدى صعود السمكة .

وفي هذه القصة نجد الشيخ عارفا بفن الصيد مدركا لجميع الحيل وهو يحب صناعته فهو اذن نموذج جيد لبطل همنجواي الاصيل : رجل مخلص للقانون الاخلاقي المنبثق من الفعل الذي يقوم به .

لقد قال همنجواي في « الموت بعد الظهيرة » ان على الكاتب ان يعنى بفن عمارة الكتابة Architecture وليس بفن التزيين الداخلي enterior Decoration ولو نظرنا الى جميع التفاصيل الدقيقة التي يذكرها همنجواي خلال ادبه لما وجدنا فيها حيدة عن قوله هذا اذ هي ليست من فنون التزيين الداخلي كما تكون التفاصيل في اغلب القصص . عناية همنجواي بدقائق الفعل تنعكس على البناء العام للقصة ولا تظل اشياء محنطة في الداخل .

لقد حاولت استعراض اعمال همنجواي الجيدة وبقي ان نعرف شيئا قليلا عن همنجواي الرجل اذ انه احد الفنانين الذين يتحد ادبهم مع شخصياتهم وكل تعرف على شخصياتهم يلقي ضوءا على اعمالهم . وما يعنينا من شخصه ليس الاحداث ، او لنقل ليس الاحداث التي مرت عليه فحسب وانما مقومات شخصيته وجذورها . واذ نشرع في التحدث عنه فسوف نجد لزاما علينا ان نعود الى ادبه مرات ومرات .

ان معرفتنا لشخصيته تدل اولا على الشجاعة العضلية التي تحتل مكانا معبرا في ادبه . فقد درس همنجواي الملاكمة وهو في سن الرابعة عشرة وكسر انفه جراء ذلك ثم بعد هذا اصيبت احدى عينيه اصابة احدثت بها اذى دائما ولكنه اصر على تعلم الملاكمة حتى اجادها اجادة المحترفين .

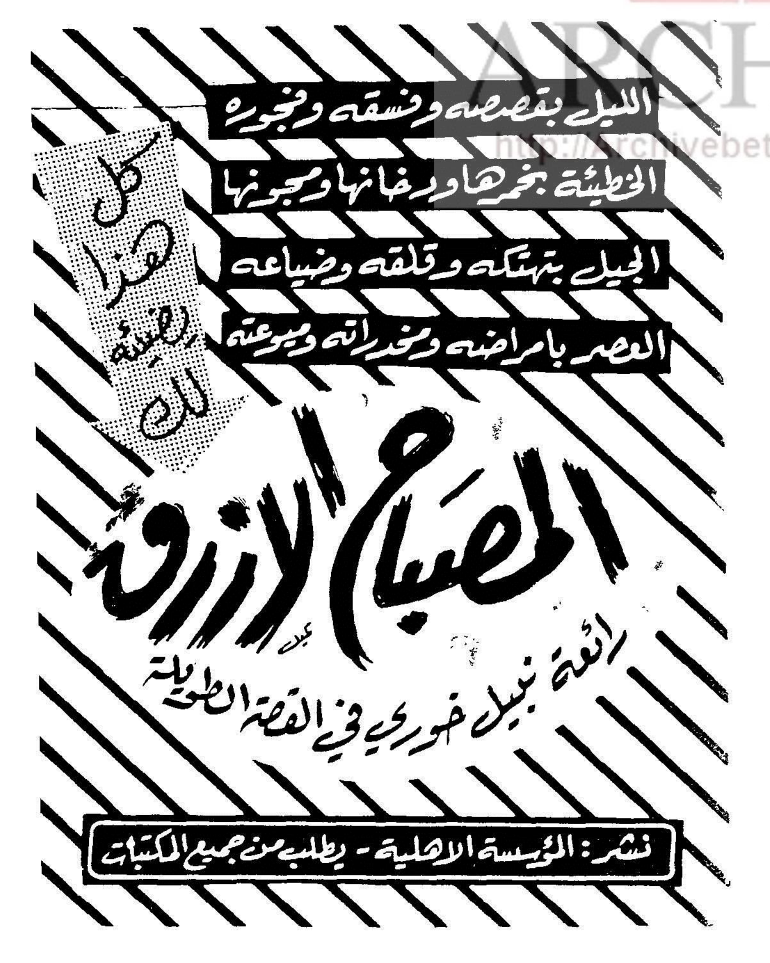
وحين دخلت الولايات المتحدة الحرب العظمى الاولى ذهب ليتطوع ولكنه رفض للاذى الذي في عينه غير انه تحايل على ذلك بأن صار سائق سيارة اسعاف للصليب الاحمر وفي الجبهة الايطالية اشترك في معركة عنيفة جدا خلفت جرحا بليغا في ساقه مما حدا بالحكومة الايطالية ان تنعم عليه بوسام الشجاعة .

عاد بعد الحرب الى اميركا وتعسر عليه الحصول على عمل ثابت وتعرف على الكاتب شيروود اندرسن وبدأ يكتب قصصا قصيرة كانت الصحف ترفضها قائلة انها لا تشبه القصص . غير ان الصحف الالمانية والاوروبية اخذت تنشر بعضها فنبهت بذلك الصحف الامريكية اليه . وبعد ان نشر في مجلة اتلانتيك الشهرية اقصوصته الرائعة « خمسون الف دولار » جاءت اليه العروض تترى من عديد من الصحف طالبة منه ان يكتب قصصا لها بشكل ثابت وكانت العروض مغرية جدا ولكنه رفض ذلك قناعة منه بأن كتابته تنحط لو علم ان ما سيكتبه مباع مقدما وكان يقول : النزاهة في الكاتب كالبكارة لدى المرأة ، لا تستعاد بعد فقدها ، ولو انه رضي بتلك العروض ولم يكره نفسه على تعلم فن الكتابة تعلما صبورا بعد يقينه من وجود الملكة عنده لظل الان كاتبا يزود الصحف الانيقة بما يسلي . وأخذ يعالج الكتابة كما يعالج الشيخ سانتياجو فن الصيد : بسيطرة واخلاص كاملين . وهذا مما يلقي ضوءا على ادبه من حيث الالتزام بالقانون الاخلاقي للفعل .

فضل همنجواي اذن ان يعيش اول مرة في فاقة تكاد تكون تامة وهو يريد - كشيخه في البحر - ان يذهب مستوحدا بعيدا جدا عن الشاطىء ليصيد السمكة الكبيرة . هذا الاخلاص الحار الهادىء لصنعة الكتابة وهو يتمسك به بكل تواضع ، هو في الوقت نفسه كل ما يملكه من كبرياء .

والعجيب في الامر ان اسلوبه الحي النابض التلقائي لا يمكن ان ينم على ان كاتبه يعاني في اختياره كل كلمة وحركة ما لا يعانيه اكبر المتكلفين من قاصدي البلاغة اللفظية . وهو يكابد جهدا لتكون النتيجة تلقائية وانسيابا رشيقا ولتكون جمله وكأنها قيلت لتوها عفو الخاطر ولتكون حروفه كأن لم يجف عليها المداد . من الذي يستطيع ان يتصور ان همنجواي كتب قصته المنسابة « وداعا للسلاح » عدة مرات وكتب الفصل الاخير سبع عشرة مرة حتى استقر على رأي فيه ؟

وكل كلام عن همنجواي انما يبدأ وينتهي من جديد بأسلوبه . وليس من كاتب في القرن العشرين استطاع ان يؤثر استعماله للغة قدر ما استطاع همنجواي بأسلوبه الطبيعي البسيط الذي لا يتكبر على اللغة العامية ويهبها فصاحة مشرقة ، والذي يبدو انه عار عن كل عاطفة وهو عار بالفعل عن كل ميوعة ودعارة عاطفية Sentimentality مستعينا بأقل عدد من الكلمات



جلها تلمس وتحس ، هاجرا كل كلمة ضخمة فقدت حدتها من كثــرة الاستعمال وسوئه (١)

ولقد افاد همنجواي من آخرين في خلق اسلوبه ثم طبعه بطابعه اهمهم الكاتبة الاميركية جيرترود شتاين التي كانت في باريس سني العشرين وقد تعلم منها همنجواي التكرار في الجملة البرقية المشحونةبالايحاءات . وقد فاقها همنجواي بعدئذ في هذا الاسلوب العجيب . كما افاد ايضــا

(١) ان سوء استعمال الكلمات وتكرارها الميكانيكي الاجوف مسألةيجب على ما ارى ان نهتم بها كثيرا فأنت ترى كلمات جميلة ذات مدلول معيـن تستعمل استعمالات قبيحة . وتحضرني الان كلمة سمفونية اذ يقال : هذه القصيدة سمفونية رائعة . وبعضهم يتنطح كالاستاذ جليل كمال الديـن فيستعملها مصدرا اذ يقول مثلا : وأجاد فلان في سمفنة موضوعه او قصيدته او عواطفه . ولسنا نعرف ان سمفنة تعني شيئا على الاطلاقوليس هناك في اللغات الاوروبية ما يقابلها وكلمة Symphonisation لا توجد في اي قاموس . اغلب الظن ان كثيرا ممن يستعملون كلمة سمفونية (ولا اعني احدا معينا ابدا) لم يسمعوا سمفونية مطلقا وان حاولــوا الاستماع اليها فان السمفونية تظل في واد وهم في واد اصابعهم فــي انوفهم توسعها نبشا . ثم لماذا السمفونية بالذات في معرض الحديث عن اجادة في التعبير ؟ ان كل ذلك لان الموسيقى اكمل وسيلة للتعبير (وهـو قول اومن به) كما قال به شوبنهاور ! وفقا للنكتة القائلة بأن فراشا فـي محكمة فاخر بأن راتبه وراتب الحاكم مائة وثلاثة دنانير والحاكم فيهذه النظرية هو شوبنهاور بالطبع) . فليســت السمفونيـة دائما اجـود الموسيقى ولست ادري من الذي بدأ هذه الاكذوبة القائلة بأن الموسيقى الجيدة هي موسيقى السمفونية فحسب . ان انبل سمفونية ألفت هي تاسعة بيتهوفن ولكن اين تقف بازاء رباعياته الوترية الخمس الاخيرة ؟ وأين تقع سمفونيات موتسارت ذات الجمال الطاغي من اوبراته التي هي بلا شك أشد اذهالا من سمفونياته؟ولكننا لم نسمع كاتبا يقول : ما اروعهذه القصيدة انها كالاوبرا . واذا كانت السمفونية هي كل الموسيقى او افضل الموسيقى فقد وجب ان نشطب على موسيقيين عباقرة لم يؤلفوا سمفونية واحدة قط مثل باخ وفيفا لدى وفيردي وفاجنر ورافيل وديبوسي وفوريه وموسوكورسكي وشوبان وغيرهم وغيرهم ولن تسمع احدا تهمه الموسيقى في شيء قليل او كثير يجدف فيقول ان سمفونيات سيبيلوس وبروكنر وتشايكوفسكي مجتمعة بكل جمال الحانها تفضل آلام القديس ماتيو لباخ.

والاستعمال الميكانيكي الرديء لكلمات كالشكل والمضمون والتكنيـك والالتزام والواقعية والواقع والواقعية الفوتوغرافية والمونولوج الداخلي وعطاء معطاء وتجاوب ومركب النقص وعملاق وعملاقة ووحدة الموضـوع والخروج عن الصدد (ورب خروج عن الصدد افضل من التمسكبوحدة الموضوع وهذا دفاع هزيل عن خروجي الان عن الصدد) وغيرها مــن آلاف الكلمات التي يخنقها الكاتب بمجرد استعمالها انما يعمل علـى انقاص القاموس فيصبح بمرور الزمان القاموس الذي ذكره جورج اورويل في احدى قصصه (لاسباب مختلقة) واشار الى تناقص كلماته في كـل طبعة جديدة . ان من واجبات الاديب العربي ابان هذه النهضة الادبية التي ليس فيها شك ان يقوم بما سماه مالارميه « تصفية لغة القبيلة ». ان اللغة دون كل هذا التدمير والتخريب فيها اداة تقصر عن البثالبعيد والمنتظر من الكتاب ذوي الحس السليم والنزاهة الفكرية ان يشحنـوا الكلمات التي تموت بمعانيها كما تشحن البطاريات حين ينتهي الكهرباء المخزون فيها .

من الكاتب الامريكي مارك توين في استخدام اللغة العامية استخداما معبرا وكذلك في التجرد الموضوعي والتواضع في التعبير حتى اصبح اسلوب همنجواي افضل من اسلوب مارك توين في كل هذه الحسنات .

كانت ام ارنست همنجواي تحب الموسيقى وتعزفها وقد علمت ابنـها الصغير مبادىء العزف على الفيولونسيل غير انه لم يكتب لهمنجواي ان يكون رجل صالونات بل رجل الهواء الطلق فترك الموسيقى ومال الى مـا يميل اليه ابوه الذي اهدى اليه بندقية صيد وهو في سن العاشرة .

والتجربة الشخصيةهي التي جعلت من همنجواي مستعبدا للحقيقة المحسوسة وهو لم يكتب ابدا عما لا يعرف ولم يصور ما لم يجرب وهـو في حدود ثراء تجربته (وهي بالطبع لا تحوي كل شيء) استطاع ان يخلق عالما اشترك فيه الخيال اشتراكا لا يغير من فحوى الحقيقة التي عاشها ابطاله : صور وظلال منه وارقهم ارقه وخوفهم خوفه (بعـد الحرب العالمية الاولى) وشجاعتهم شجاعته (بعد ان تخلص من عدم القدرة على النوم في الظلام وتغلب على كل الافكار التي اوحت اليه قصته القصيرة الرائعة : انا الان اضطجع) كما ان احترام ابطاله لمهنهم يتحدر من احترامه لفن الكتابة ونبلهم نبله وفشلهم فشله . كل ذلك دون ان يقحم نفسه بشكل رومانتيكي في ادبه . فما اندر هذه الظاهرة في تاريخالادب: موضوعية تنبثق من التجارب الشخصية وتجرد عاطفي في تصوير عواطف عاناها .

ولسنا بسبيل ذكر كل خطوات حياة همنجواي بل يجدر أن نشيـر الى القضايا الرئيسية منها كاشتراكه في الدفاع عن قضية الشعـب الاسباني الذي غدر به الفاشست وقد ساهم همنجواي في ذلك بكل ما يستطيع من قوة مادية وادبية وعقلية .

وككل شخص يحتل هذه المكانة الرفيعة ويعيش حياة مليئة تدخل الاساطير في الاخبار عنه وتروى عنه روايات قد يصعب تصديقها ولكن ما يمكن تصديقه هو ان شجاعته وحذقهللصيد والرماية والملاكمة وكرم يده الذي يبلغ حد الاسراف الجنوني امور لا يتطرق اليها الشك .

لقد اصيب همنجواي في الحرب العظمى الاولى واستخرجت ٢٣٧شظية من ساقه وقد رأى كثيرا من« الخوذ المليئة بالادمغة الممزقة » وكان ان حسب مرة في عداد الاموات . وهذه التجارب مع الموت جعلته بعـد الحرب الاولى وجعلت ابطال قصصه الاولى (وهم انعكاسات منه) يخافون النوم في الظلام ويحاولون ان يهربوا من قتل انفسهم بشتى الاساليـب التي تصرف طاقة الموت فيهم ، ان بصيد الحيوانات الضارية ام بمصارعة الثيران ام بالملاكمة ام بغير ذلك لكي يقهروا ما يمكن ان يسمى«بمركب الموت »فيهم .

على ان همنجواي وجد في الكتابة القوة العظمى للتغلب على آثار الجراح القديمة . وللكتابة عنده قيمة شفائية سحرية حتى لقد سألـه احد الصحفيين عن اسم محلله النفساني فأجاب انها آلته الطابعــة « كورونا رقم ٣ »

ثم انه تغلب على مخاوفه المتبقية عنده من الحرب العظمى الاولـى بمجرد مواجهة الخطر الصرف ونسيان الذات .ويشهد الذين اشتركوا معه في الحرب العظمى الثانية انهم لم يشهدوا في حياتهم شجاعة خارقـة كشجاعة همنجواي . ولقد قال همنجواي في تعريف الخوف « انـه عدم القدرة على ايقاف الخيال عند الخطر » وقد استطاع ماكومبر ان يقضي على الخوف بايقافه لعمل الخيال .

وجانب آخر من همنجواي خليق بالمعرفة هو قابليته على التعلم وعلى تعلم اشياء بعيدة الصلة بفن الادب .

فالمعروف انه لم يكن له حظ التحصيل الجامعي كما انه من المعروف ايضا انه يحتقر الادب الذي لا ينبثق عن التجربة الحارة ويربأ بما يسميه «الدائرة الكيركجاردية » اي ادب التأملات الفلسفية المجردة وهو من الذين يكرهون بروست (وهذا عيب فيه) وهو لم يحاول ان يخلق في ادبه جوا ثقافيا حتى في قصته « ثلوج كليمانجارو » التي تدور حول كاتب فاشل ينتظر الموت من عفن اصاب ساقه وهو في غابات افريقيه(١)

فاذا علمنا كل هذه الحقائق عجبنا بعد ذلك لاهتمامات همنجواي الدراسية وكأنه طالب يحضر لشهادة الدكتوراه . فهو بالاضافة لاجادته الفرنسية والايطالية والاسبانية وقراءته لاهم الانجازات الادبية فيها (وهو قارىء ممتاز للادب الجيد) يعرف فنونا كثيرة يشهد بها الثقاة كفن للتاريخ الحربي والتاكتيك العسكري والملاحة وجغرافية البحار والانواء الجوية وغير ذلك .

يلاحظ انه ليس في الادب كله اشخاص يشربون الخمر بالكثرة التي يشربها اشخاص همنجواي . والحقيقة ان همنجواي يزيد على اشخاصه في كثرة الشرب . وهو خبير ذواقة في الخمور ويروى انه عرض عليه مبلغ اربعة الاف دولار لتؤخذ له صورة للاعلان وهو يحتسي نوعا معينا من الخمر فرفض قائلا « لن ارضى بشرب هذا النوع لقاء اربعة الاف دولار » . وكثير من هذه القصص تروى عنه باعتباره اصبح «حديث الصحف ». ومن يصبح حديث الصحف يرو عنه ما هو اشد امعانا في الخيال من هذا .

اما من ناحية تقييمه ومكانته الفنية فان همنجواي قد نال من المتحمسين له من ادعوا انه اعظم كاتب في القرن العشرين ومن بالغ اكثر من ذلك كالكاتب العابد له جون اوهارا فقال « لم يكتب احد في اللغة الانكليزية بعد شكسبير افضل من همنغواي » . ومن بالغ اكثر من ذلك وتساءل منكرا : كيف يكون بالله شكسبير افضل من همنجواي ؟

ولو حاولنا تقييم همنجواي على حقيقته ضاربين صفحا بالحماس الاهوج له وجب علينا ان نقول ان همنجواي قد خلق من ناحية الشكل اسلوبا جديدا في الكتابة سماته التواضع في التعبير والاقتصاد في الكلمات والتجرد الموضوعي العاطفي الذي تكمن وراءه شحنات عاطفية جمة ووضوح خداع خداع يخفي تعقيدات لا تحصى. اما من ناحية الفحوى (وهي متصلة بالاسلوب الى حد كبير) فينبغي ان نقر ان همنجواي نجح في خلق الجو النفسي الذي به يتذوق .

لقد قال اوسكار وايلد عابثا وأظنه لم يكن يعني ما يقول « الفن لا يقلد الطبيعة بل الطبيعة هي التي تقلد الفن » ويصدق هذا القول على كثير من العباقرة وهمنجواي احدهم من حيث ان قراءهم يمتلكون المزاج النفسي الذي يصورونه بعد قراءتهم لهم . ثم انهم تبعا لذلك يستجيبون اليهم ويتذوقونهم اي ان طبيعتهم تقلد فنهم (على حد تعبير وايلد).

وان رجلا يستطيع ان يفعل كل ذلك لم يفعل قليلا حتى وان ظل بالقياس الى شكسبير بمثابة الشجرة الثابتة المتينة على سفح جبل مشجر مهيب عال وهو حظ لم يحالف الا قليلا ممن استعملوا الكلمات ادوات للايصال .

نجيب عبد الرحمن المانع
كركوك — العراق

(١) لقد فاتنا ان نذكر ان هذه القصة كتبت حين كان همنجواي يخشى الفشل ككاتب وكان يظن في نفسه انه سيموت ويموت ادبه معه ويتساءل ان كان يستطيع ان يرقى قمة الجبل كما رقيها الفهد فمات في الاعلى دون ان يتعفن مثلما يتعفن الكاتب في هاري في السهل ويستعمل همنجواي الجبل في ادبه رمزا للحياة كما قال ت.س. اليوت في الارض الخراب « هنالك في الجبل تحس بالحرية » ..

اما في اقصوصته المسماة « قصيدة من الالب » فان الثلج يصبح رمزا للانسان وقد مات ميتتين : ميتة حقيقية وميتة في القلب . وهي تروي قصة فلاح سويسري تموت زوجته في الشتاء ويضعها على خشبة كبيرة منتظرا ذوبان الجليد كي ينزل بها الى حيث يدفنها ثم انه يكون في حاجة الى الخشب الذي وضعها عليه ليتدفأ به وبعد هذا يجد ان انطراحها على الارض يضايقه في السقيفة التي يخزن بها ادواته فيوقفها تلقاء الجدار وكان حين يريد الدخول ليلا الى تلك السقيفة لا يجد ما يعلق عليه الفانوس سوى فكها الاسفل حتى تتشوه وتدلى من كثرة ذلك الاستعمال . فالشتاء (حين غطى الارض بثلوج النسيان على حد تعبير ت.س. اليوت في الارض الخراب) جعل الانسان ينسى حرارة القلب، والثلج يمكن ان يرمز في هذه الاقصوصة الى كل وحشية وقسوة يعتاد عليها الانسان بحيث يستطيع ان يعيش ويأكل وينام دون ان تقلقه في شيء . ان في ادب همنجواي صورا مرعبة كثيرة ولكن مقلديه اخذوا الصور المرعبة وحدها دون ان يستطيعوا تقليده في الظلال التعبرية التي تكمن وراء تلك الصور . وفي رأيي ان الظلال الخفية في ادب همنجواي تزداد وضوحا كلما اعدنا القراءة اذ ان اعمال همنجواي الجيدة لا تقرأ مرة واحدة بل مرات عديدة ولن يضيع الجهد الذي يبذله المرء مع همنجواي عبثا فما اشبه همنجواي بستندال (وبغير ستندال من العباقرة) وهو الذي قال عنه الناقد الفرنسي اندريه سواريز :
يزداد المرء ذكاء كلما ازداد اعجابه بستندال » .

مراجع هذا البحث ولزيادة البحث

1 - Ernest Hemingway - Carlos Baker
2 - Ernest Hemingway - Philip Young
3 - Ernest Hemingway - Edited by J.K.M.Mc Caffery
وهو كتاب يحتوي على مقالات حول همنجواي كتبها عشرون ناقدا
4 - Writers in Crisis - Maxwell Geismar
5 - The Novel of violence in America - W.M. Frohock
6 - Introduction to the portable Hemingway by Malcoln Cowley
من اهم البحوث القصيرة
7 - The Literature of the United States - M. Cunliffe
8 - Novelists - Philosophers - Ernest Hemingway By R. Penn Warren
9 - Hemingway in Italy - Mario Praz
10 - No Voice is Wholly Lost - Harry Slochower
11 - Tne Modern Novel in America - F.J. Hoffman
12 - The Short story in America - 1900 - 1950 R.B. West
13 - On native grounds - Alfred Kazin
14 - Cavalcade of the American Novel-E.Wagenknecht
15 - The Cycle of American Literature - R.E. Spiller
16 - Higlights of Modern literature Edited by - F. Brown.

مشاهدات وانطباعات

ـ تتمة المنشور على الصفحة ٢٨ ـ

كما ظهر للاهالي جبن الجنود الاسرائيليين فقد كانوا يتجولون في جماعات كبيرة واذا ما دخلوا المنازل لتفتيشها دخلوا جماعات والرعب ظاهر عليهم .

ـ ٧ ـ

ناحية هامة ظهرت جلية نتيجة هذه المحنة وهي اثر الفدائيين العرب البالغ في ارهاب اليهود وقض مضاجعهم واضعاف معنوياتهم وقد ظهر ذلك من محادثات الاهالي مع الجنود وفي اثناء تفتيش المنازل فقد كان الجنود يبحثون في كل شبر في القطاع عن الفدائيين ورجال الجيش الفلسطيني وكانوا يقولون اننا اتينا لننتقم لضحايانا من هؤلاء . وقد كان مجرد الشك في ان احد الاهالي من الفدائيين كافيا للقضاء عليه او لسجنه في اسرائيل او لتعرضه للضرب والاهانة وبلغ من شدة حقدهم ان نسفوا نصب الشهداء التذكاري في مدينة غزه . كما ظهر هذا الرعب من حديث اليهود المدنيين الذين كانوا يأتون لزيارة القطاع وكان مجرد النطق بكلمة فدائي امامهم كافية لبث الرعب في نفوسهم .

وقد كان في اعتقاد اليهود ان كل شاب في القطاع هو فدائي او جندي وهو ان لم يكن كذلك فسيكون يوما ما ولذلك انصبت فظائعهم على الشباب واعتقل المئات منهم في سجون اسرائيل وغزة وتعرضوا للتعذيب والارهاب وقد اكتشفت جثث عديدة بعد انسحاب اليهود من غزه يوم ٧ ـ ٣ ـ ١٩٥٧ .ففي ٢٤ ـ ٣ ـ ١٩٥٧ اكتشفت شمال غزه جثث ٣٦ شخصا من ابنائها الشباب الذين اخذوا للتحقيق كان منهم تسعة شباب من عائلة واحدة وكان اكتشافها نتيجة سيول الامطار الغزيرة وظهر ان كل هؤلاء الضحايا قد قتلوا وعيونهم معصوبة ودفنوا في حفرة واحدة كما اكتشفت قرب مطار غزه بتاريخ ٤ ـ ٦ ـ ١٩٥٧ ٢٩ جثة اخرى . وفي قرية دير البلح اكتشفت جثث ٣٩ جنديا مصريا . وبلغ عدد الجثث التي اكتشفت منذ انسحاب اليهود حوالي ٢٣٠ جثة .

وهكذا قتل عشرات من الشباب بتهمة الفدائية اما الذين عذبوا لنفس السبب فعددهم ايضا كبير وهناك حوادث عديدة منها ما حصل مع اللاجيء ابراهيم ابو طعمه الذي اتهم بأنه فدائي وتعرض لتعذيب فظيع فقد انهال عليه الجنود في السجن ضربا بالنعال والسياط واطلقوا عليه كلابهم تنهش في لحمه وتركوه دون علاج بعد ان تسلخت قدماه وتسممت مما اضطر الطبيب فيما بعد لبتر احدى ساقيه كما سلطوا احد وحوشهم الادميين على الطالب عبدالله عوض الله الذي اخذ يسومه العذاب وينهش بأسنانه في جسده وقد رأيت آثار ذلك بعد خروج اليهود من غزه بثلاثة اشهر كما قتل احد اللاجئين وهو محمد خليل وعمره ٥٥ سنة نتيجة للضرب المبرح لان ابنه كان فدائيا وكان قد هرب الى الاردن عند الاحتلال . ومع كل ما حصل فمن الواجب توجيه الاهتمام نحو جعل شباب القطاع محاربين دائما واعداد فرق الفدائيين منهم للاستمرار في قض مضاجع سكان المستعمرات المجاورة ولانشاء نواة لجيش فلسطيني دائم ولتحويل آلاف اللاجئين الى مجاهدين . ويطيب لي ان استشهد بما جاء في خطاب الرئيس جمال عبد الناصر عن الشعب الفلسطيني في غزه وعن جيش فلسطين فقد ذكر الرئيس في خطابه في المؤتمر التعاوني في ٧ ديسمبر ١٩٥٧ ما يلي « وفي غزه حارب شعب فلسطين في ظروف بربرية وقاسية واثبت هذا الشعب المقاتل انه متمسك بحقه في الحياة وبحقوق فلسطين التي سلبتها الدول الكبرى وبحقه في وطنه . حارب الشعب الفلسطيني وهو يعلم ان الجيش المصري ينسحب ليجابه هجوم بريطانيا وفرنسا ولكنهم حاربوا دفاعا عن شرفهم وكرامتهم وقد اثبت هذا الشعب انه لم تؤثر فيه الاحداث والمحن وانه متمسك بقوميته وعروبته وبقدرته على القتال » . كما ذكر البكباشي علي السوري الضابط المصري ونائب قائد الجيش الفلسطيني ان ايام معركة خانيونس كانت ايام مجد وفخار للجيش الفلسطيني وللشعب الفلسطيني .

ـ ٨ ـ

لاحظ الكثيرون من الاهالي ومن المعتقلين الخلافات المستحكمة بين اليهود الشرقيين واليهود الغربيين الذين ينظرون لليهود الشرقيين نظرة احتقار وعدم تقدير والذين يسيطرون على المراكز الهامة في الجيش والادارة والذين يسكنون المدن ويسيطرون على الصناعة والتجارة بعكس الشرقيين الذين يعيشون في القرى وخاصة في النقب ويتعاطون الزراعة ويعانون شظف العيش كما صرح الكثيرون من هؤلاء الشرقيين بحقدهم على الغربيين وبألمهم من الظلم الواقع عليهم وأسفهم لمغادرة البلاد العربية ومدى الرفاهية التي كانوا ينعمون بها . وقد تبسط الكثيرون من هؤلاء مع الاهالي وشكوا لهم مشاكلهم وانخفاض مستوى معيشتهم وكثرة الضرائب عليهم بل منهم من تمنى بأن تتحد كلمة العرب لتخلصهم من اسرائيل !! واعتقد ان هذه الناحية يجدر بنا استغلالها بطرق عديدة منها توجيه اذاعات خاصة لهذه الفئات .

كما لاحظ الاهالي ان هناك خلافا شديدا بين سكان اسرائيل الاصليين وبين هؤلاء الذين دخلوها سنة ١٩٤٨ اذ يشعر الاولون بأن وطنهم قام على اكتافهم وتضحياتهم في الحياة والمدنية والحرية في حين يشاطرهم القادمون الجدد حياتهم ويسيطرون على مقدراتهم بل منهم من صرح بذلك بجلاء لمن يعرفه من الاهالي من قبل .

ـ ٩ ـ

ناحية هامة اود ابرازها وهي موقف وكالة اغاثة اللاجئين كمنظمة دولية من هذه الحوادث في هذه الفترة وبصفتها مسؤولة عن ٢٢٠ الف لاجيء يسكنون قطاع غزة . لقد اصدر المدير العام تقريرا عن هذه الفترة يبدو منه انه كان منصفا فيه وقد جاء فيه عدة نواحي اود ان اذكرها .

لقد ذكر المدير العام ان القوات الاسرائيلية عرقلت سير اعمال الوكالة فقد ذكر « انه وجب على الوكالة تزويد الموظفين العرب بتراخيص عمل تصدرها قوت الاحتلال . واصيبت بعض سيارات الوكالة بالتلف اثناء القتال واستولت قوات الاحتلال على بعضها الاخر ونهبت قطع غيار السيارات والاطارات والبطاريات »

كما ذكر التقرير ان سير التعليم في مدارس الوكالة قد تعطل « اذ ان السلطات الاسرائيلية قررت التحري عن المدرسين وهم يزيدون على الالف قبل السماح باستئناف العمل كما قررت اعادة النظر في المنهج الدراسي »

والواقع انه كان من الواجب على وكالة الاغاثة ان تحمي هؤلاء اللاجئين وان تحتج احتجاجا صارخا على نهب ممتلكاتها وان تتعهد بحماية اللاجئين وان يكون موقفها حازما مع السلطات الاسرائيلية خاصة وانها وكالة منبثقة عن الامم المتحدة وقد ذكر لابويس نفسه ان اللاجئين اصبحوا يطلبون حماية الوكالة لارواحهم اكثر من توفير الاغاثة لهم .

موقف هام يجدر الاشارة اليه وهو الاتفاق الذي عقد بين الوكالة والسلطات الاسرائيلية للاستمرار في اعمال الاغاثة وهو موقف جدير بالذكر فقد جاء في هذا الاتفاق النقاط الرئيسية التالية :

١ ـ لا يتضمن قيام الوكالة بالاعمال الطارئة في قطاع غزه اي اعتراف منها بوضع يخرق اتفاقية الهدنة المعقودة بين مصر واسرائيل او يخالف القرار الذي اتخذته الجمعية العامة للامم المتحدة في دورتها الاستثنائية بتاريخ ٢ نوفمبر ١٩٥٦ .

٢ ـ تخضع اعمال الوكالة في قطاع غزه للتعليمات او القرارات التي تصدرها الهيئات الرئيسية للامم المتحدة .

٣ ـ تكفل الحكومة جهد استطاعتها حماية موظفي الوكالة ومنشآتها واموالها وتسمح لموظفي الوكالة المحليين بالتنقل داخل القطاع وفقا لانظمة السلطات العسكرية .

وعندما استعرض المدير الحوادث التي حصلت ذكر ان هناك تضاربا في تفسير وقوعها . وذكر بالنسبة لمدينة خانيونس « ان المدير تلقى من مصادر يثق بها قوائم باشخاص قيل انهم قتلوا يوم ٣ نوفمبر ١٩٥٦ وعددهم ٢٧٥ شخصا منهم ١٤٠ لاجئا و ١٣٥ من السكان المحليين » .

وعندما اتى على ذكر مدينة رفح ذكر انه « في ١٢ نوفمبر وقع حادث خطير في معسكرات اللاجئين في رفح وان السلطات الاسرائيلية ومصادر الوكالة تتفق على ان قوات الاحتلال قتلت وجرحت عددا من اللاجئين في ذلك اليوم » .

وعندما استعرض هذه الحوادث اذكر ان هناك اختلافا في تفسير اسبابها الا ان الاراء متفقة على انها وقعت اثناء عملية تحقيق قامت بها القوات الاسرائيلية وان السلطات الاسرائيلية تقول ان اللاجئين ابدوا مقاومة لعملية التحقيق والبحث عن الفدائيين وافراد الجيش الفلسطيني. ويضيف التقرير ان « عدد القتلى في ذلك اليوم بلغ ١١١ شخصا منهم ١٠٣ من اللاجئين و ٧ من السكان المحليين ومصري واحد » .

ويذكر التقرير ان الوكالة احتجت على هذه الحوادث لدى الحكومة الاسرائيلية وذكرت انه ما لم يوضع حد لمثل هذه الحوادث فسيستحيل على الوكالة الاستمرار في اعمالها بين اللاجئين وان وزارة الخارجية الاسرائيلية وعدت بأن تعمل جهدها كي تضمن عدم تكرار وقوع مثل تلك الحوادث .

يبدو من استعراض التقرير المشار اليه ان موقف الوكالة الرسمي كان منصفا وحياديا الا ان الواجب كان يتطلب بان يكون هذا الموقف اكثر قوة ولا يقف عند حد الاحتجاج خاصة وان عدة مراكز للوكالة تعرضت للسلب والنهب وان الوكالة مسؤولة عن توفير التموين والخدمات الصحية والتعليمية والحماية للاجئين خصوصا بعد انتهاء القتال وقد كان موقف بعض موظفي الوكالة الاجانب في غزه موقفا غير حيادي فمنهم من رفض حماية موظفيهم ومنهم من منعته السلطات الاسرائيلية من الوصول الى معسكرات اللاجئين كما لم تقم الوكالة بتوفير اسباب المعيشة الطبيعية لموظفيها من المصريين المدنيين كما كان البعض منهم يدعو لتدويل القطاع بل ان احدهم واسمه Jameson طلب من كبار الموظفين تهيئة انفسهم لانشاء ادارة خاصة بالسكان الاصليين في القطاع برئاسته للاشراف على شؤونهم كجزء من برنامج تدويل القطاع .

اما رجال مراقبة الهدنة فقد سلبتهم السلطات الاسرائيلية عند دخولها سياراتهم وآلات اللاسلكي لديهم الا ان موقف رئيسهم Bayard كان رائعا فقد آلمه ما شاهد من حوادث وخاصة حادث اللبابيدي فاصطدم بالحاكم اليهودي كما اتصل ببعض اعيان وشباب المدينة وعمل على ايصال استغاثة الاهالي بشكل رسالتين موجهتين الى هامرشولد نفسه . وقد ارسل هذا مندوبين للتحقيق عنه في الفظائع الا ان هذين المندوبين لم يقوما بالتحقيقات الوافية كما كان يرافقهما ضباط المخابرات الاسرائيلية مما لم يتح للاهالي الاعراب عن آلامهم ومع ذلك تمكن مدير معسكر رفح للاجئين من سرد الفظائع والويلات امامهم لعدم وجود آخرين معهم .

وكان يتردد على القطاع صحفيون اجانب الا ان معظمهم لم يتمكن من ان ينفرد بالاهالي للوقوف على الحقائق الفعلية بل منهم من عمل على اضعاف معنويات الاهالي وابرز ما حصل هو عند زيارة Dorothy Thompson الرئيسة السابقة لجمعية اصدقاء الشرق الاوسط فقد زارت معسكر قرية جباليا وتحدثت مع المخاتير وكان يقوم بالترجمة احد موظفي الوكالة الذي ذكر لي انها صرحت للاهالي ان عليهم الاستسلام للامر الواقع والقبول بحكم اسرائيل لان مصر والدول العربية قد تخلت عنهم ولا امل لهم وان مصر قد هزمت من اسرائيل وحدها وانهم يجب ان لا يعتمدوا على امريكا او الامم المتحدة التي لن تستطيع عمل شيء بالنسبة لهم .

ـ ١٠ ـ

ناحية هامة يجدر ذكرها وهي تلك الروح المعنوية الرائعة التي كان يتحلى بها اهل القطاع فبالرغم من هذه الويلات فان ايمانهم لم يتزعزع فقد شاءت ظروفهم التعسة ان تحكمهم عصابات اسرائيل نتيجة مؤامرة غادرة ومع انهم كانوا يعيشون في سجن رهيب وفي ظل حكم شديد ومع انعزالهم عن العالم العربي فانهم كانوا يؤمنون في قرارة نفوسهم بأن يوم النصر آت وان طال به الامد وان من ورائهم الشعوب والحكومات العربية تشد ازرهم وتهدد مصالح الغرب لاجلهم كما لعبت الاذاعات وركن فلسطين دورا هاما في تقوية عزائمهم وخاصة اذاعة صوت العرب وركن فلسطين فيها وكذلك اتصال ادارة المخابرات المصرية ببعض الاهالي بعد انسحاب المعتدين من منطقة القناة .

ولقد تآلفت قلوب الاهالي ووحدت مشاعرهم النكبة الفادحة وتضامنوا لخير القطاع وتساعدوا في اغاثة عائلات الشهداء والمعتقلين قدر المستطاع كما كان موقفهم من العائلات المصرية في القطاع موقفا رائعا فقد اعتقل اليهود جميع المصريين من مدنيين وعسكريين ثم اسكنوا عائلاتهم في منطقة

محددة في مدينة غزه واحاطوها بالاسلاك الشائكة وفرضوا عليهـــا الحراسة ومنعوا اتصال الاهالي بها ومع ذلك استطاع الاهالي بوسائـل عدة منها الرشوة والحيلة والشجاعة ان يستمروا في مد هذه العائلات بالماكولات والنقود وان يشددوا من ازرها ويقووا من عزيمتها وان ينقلوا اخبارها ورسائلها لاربابها وقد ذكرت الصحافة المصرية الكثير عن ذلك على لسان العائدين من المدنيين المصريين ومن ذلك ما جاء في جريدة الاهرام المصرية بتاريخ ٢٩ يناير ١٩٥٧ ـ حيث كانت غزه لا تزال تحت الحكم الاسرائيلي ـ تحت عنوان ما قل ودل بقلم الاستاذ احمد الصاوي « تحية لاهل غزه الابطال . تحية لرجالها ونسائها وتحية للاطفال . حدثني القاضي الاستاذ صلاح عبد المجيد بما يجعلنا مدينين لهم على الايام .اذ كانوا خلال الاعتقال يحرمون انفسهم ويزودون الاسرى بالملبوســات والطعام والنقود وكانوا يلقون اليهم بعشرات بل بمئات الجنيهات احيانا من وراء الاسلاك الشائكة ليتمكنوا من شراء ما هم في حاجة اليه .اما يوم علموا بابعادهم عن غزة فقد سرى النبأ بينهم وكان يوم حداد وخرجوا من الساعة الخامسة صباحا يودعون المصريين ويهتفون لمصر والعروبة وجمال عبد الناصر .» كما بذل الاهالي جهدهم في اخفاء عشرات الضباط والجنود واخفاء اسلحتهم .

الا ان الناحية الهامة التي اود ذكرها تحت هذا البند هي الحركة الوطنية والمقاومة الشعبية التي نظمت في غزه اثناء الاحتلال اليهودي والتي شملت شباب القطاع المثقف ولعبت دورا هاما في رفع معنويات الاهالي وفي المقاومة السلبية لاسرائيل الغاشمة .

تألفت الحركة الوطنية في بدء امرها من بعض شباب المدينة المثقف بعد دخول اليهود بأربعة ايام بغرض تكتيل جهود الاهالي وتوحيد اتجاهاتهم وتصرفاتهم نحو السلطات الحاكمة وذلك عن طريق الاجتماعات والاتصالات الشخصية ثم اتسعت هذه الحركة وألفت لجنة وطنية تضم حوالي الفي شاب تكونت منهم لجنة تعمل على طبع المنشورات السرية وعلى توجيه الاهالي والرد على الدعايات الصهيونية السامة وعلى اصحاب النفوس الضعيفة فصدر اول منشور يدعو للامل ولعدم الاستسلام لليأس وعدم التسلل من القطاع ويوضح قرارات الامم المتحدة وقوة الراي العام العربي والعالمي . ثم صدر المرسوم الثاني يدحض فكرة التعديل ويدعو لعودة القطاع لسابق عهده وللجلاء التام غير المشروط وكان المنشور الثالث يدعو للمقاومة السلبية ويوضح العلاقات الطيبة التي تربط القطاع بمصر . وبعده صدر المنشور الرابع يحتوي على ميثاق وطني كان اهم ما جاء فيه الاتفاق والاصرار على عودة مصر الى غزه وانسحاب اسرائيل ومقاومة التعديل ومقاومة الاستعمار وعملية الصهيونية والمطالبة بالحكم الذاتي عند عودة الادارة المصرية الى القطاع وتأييد الوحدة الفدرالية العربية .

وقد كانت هذه المنشورات تعلق في شوارع غزه في الليل وساهم الاطفال في ذلك كما انتشرت بين صفوف الاهالي

ثم اتجهت هذه المنشورات نحو اذكاء روح المقاومة الشعبية السلمية فكانت تدعو التجار لعدم فتح محلاتهم والموظفين لعدم تأدية واجباتهم والطلاب لعدم الذهاب الى المدارس وتحذر من تضعف نفسه وتتخاذل عزيمته وكان ذلك ردا على مختلف الوسائل التي اتبعتها السلطات

الاسرائيلية وعقدت اجتماعا في مدرسة فلسطين حضره بعض الرجال بالقوة ووعد الحاكم بفتح المدارس ثم فتح ابواب الجامعة العبرية امام الطلاب ومع ذلك وقف احد وجهاء المدينة خطيبا في الناس وذكر لهم ان هذه المدرسة عربية بنيت بأموال عربية وأياد عربية وانها لن تفتــح ابوابها الا عند عودة الادارة العربية لغزه . وكانت نسبة حضور الطلاب لا تتجاوز ١٠ ٪ وحتى المرضى في المستشفيات رفضوا ان يعالجهم الاطباء اليهود .

كما استجاب معظم التجار للنداء او عمد الجنود الى فتح محلاتهـم بالقوة . كما عمدت السلطات الاسرائيلية الى الضغط على اعيان خانيونس وغزه لاصدار بيانات يؤيدون فيها حكومة بن غوريون ويطلبون منها البقاء في القطاع فرفض الاهالي رغم الوعيد كما طلبوا من رئيس بلدية غزه السيد رشدي السقا ان يسافر الى الامم المتحدة ويدعو لذلك فقدم استقالته للحاكم وكانوا يجبرون الاعيان على حضور الحفلات او مشاهدة الاستعراضات .

لقد جن جنون السلطات الاسرائيلية نظرا لقوة هذه الجبهة الوطنية وعمدت الى مكافحتها واعتقلت حوالي ٧٠ شابا مثقفا من اعضائها زجت بهم في السجون يتعرضون لافظع انواع الضرب والاهانة وينامون على الارض ويعانون الجوع وكان رجال المخابرات اليهودية يحاولون بالحيلة الوصول الى معلومات عن هذه الحركة فلم يستطيعوا فعمدوا الى الشدة والضرب وقد حصلت عدة حوادث معظمها مع هؤلاء الشباب المثقفين ومنهم الشاب عيسى سابا الذي حاولوا اغراءه باثارة النعرة الطائفيـة وعندما فشلوا معه ذكروا له بأن اليهود صلبوا المسيح وليس هناك مـا يمنعهم من قتله واستمروا في ضربه وتعذيبه الى ان استحلفهم بـأن يقتلوه ليستريح فرفضوا كما ضربوا احد هؤلاء الشباب وهو سعيد فليفل من موظفي وكالة الاغاثة ضربا مبرحا في ساحة السجن امام المعتقلين ومنهم والده ومع ذلك لم يعترف كما اعتقلوا نائب رئيس البلدية الاستاذ منير الريس وقاضي صلح غزه فاروق الحسيني بتهمة التعاون مع الجبهـة الوطنية ولرفضهم تلبية الدعوة لزيارة تل ابيب وبقي هؤلاء ٦٢ يوما في السجن يعانون الشدة والبرد ولم يسمح لهم خلالها بتغيير ملابسهم وكـان الحاكم اليهودي يحقق معهم وهو يداعب مسدسه بيده . واتجه الحاكم نحو خوري الطائفة اللاتينية الاب يوحنا النمري يحاول استمالته ولكنه ثار في وجهه واظهر شجاعة فائقة ورفض اقامة صلاة عيد الميلاد احتجاجا على الارهاب وحدادا على ارواح الشهداء الابرياء هذا بالرغم من تهديد ووعيد الحاكم بل انه اقام صلاة شكر عند انسحاب القوات الفرنسيـة والبريطانية من بور سعيد ودعا لمصر ولرئيسها بالنصر ودعا الله ان ينعم على غزه بنعمة الجلاء والحرية ومما هو جدير بالذكر ان هذا الراهب كان يخفي عشرات الضباط المصريين في سرداب الكنيسة .

لقد نجحت حركة المقاومة السلبية واعمال الجبهة الوطنية في غزه ولعبت دورا هاما وتعرض الكثيرون من اعضائها للتعذيب وبقي عشرات منهم في السجن الى ان اخرجتهم منه قوات الطوارىء الدولية .

واذا ما ذكرت هذه الوقائع فلا بد من ذكر الواقع وهو ان هناك بعض الاشخاص ممن ضعفت نفوسهم وقل ايمانهم ممن تعاونوا مع القـوات الاسرائيلية لاسباب مختلفة منها الحاجة للمال او انهم سجناء اطلـق

نجد لهم العذر فيما شاهدوه من فظائع ووحشية وفي غريزة حب البقاء وهي غريزة انسانية طبيعية كما ان كل امة في كل زمن لا تخلو من ضعاف النفوس ومن الخونة المارقين وشواهد التاريخ على ذلك كثيرة الا انهؤلاء قلة يجب ان لا نأخذ المجموع بجريمتهم .

ولقد بلغت من قوة الجبهة الوطنية ان استطاع بعض افرادها اغتيال احد المتعاونين مع اليهود في وضح النهار وفي وسط مدينة غزه مما افقد اليهود صوابهم فبحثوا عن الجناة بعد ان عرفوا اسماءهم من بعض اعوانهم ولما لم يجدوهم احرقوا منزل احدهم واعتقلوا أخا الاخر وأخذوه معهم الى اسرائيل وافرجوا عنه بعد انسحابهم باربعة اشهر واسمه محي الدين الجمل بعد ان ساموه العذاب وبعد ان احرقوا شعر جسده وانتزعوا شعر راسه وكانوا يجبرونه على اكل شعره وبعد ان سلطوا التيار الكفهربائي عليه ثم وضعوه في ثلاجة عدة ساعات الى ان اشرف على الموت ثم اطلقوا عليه الكلاب وكل ذلك انتقاما من اخيه . اما اسم الخائن الذي لقي حتفه فهو محمد العرايشي من اهالي مدينة العريش وكان محكوما عليه بالسجن المؤبد للاتجار بالمخدرات فاطلق اليهود سراحه ليتعاون معهم بعد ان كان يتعاون معهم في بيع المخدرات .

— ١١ —

كلمة اخيرة ارغب في ذكرها وهي ان السلطات الاسرائيلية كانتتعتقد انها باقية في غزه يعاضدها في ذلك الغرب وقد عمدت الى البدء في اعمال توحي للناس بذلك فاستقدمت مندوبين عن وزارات المعارفوالصحة والتجارة وغيرها وبدأت في رسم المشاريع العمرانية وتعيين اعضاءالبلديات والمجالس الفردية واستبدلت النقود المصرية وسهلت هرب بعضالشباب من القطاع الذين هربوا خوفا على حياتهم وهي بذلك كانت تمهد لحكم غزه اما منفردة او تحت نظام التدويل وأبدت اتجاهها ببث الدعاية لذلك وباضعاف الروح المعنوية لدى الاهالي والقضاء على العناصر المقاومة واظهار مصر والدول العربية بموقف المتخلي عن قطاع غزه ولكن مقاومة الاهالي واتحاد الشعوب والحكومات العربية وضغط الرأي العام العالمي والتهديدات الروسية وتهديد مصالح الغرب البترولية والملاحية كل ذلك ادى الى تحرير هذه البقعة الغالية من الوطن العربي بعد ان عاشتفترة بغيضة احس بها الاهالي وكأنها سنوات طويلة وبعد ان عانت من حكم وحشي ارهابي لم يرو له التاريخ مثيلا وبعد ان مرت بتجربة فريدة مريرة من حياة الامة العربية .

لقد علمتنا هذه المحنة القاسية ان نثق بانفسنا وبامكانياتنا وبمقدرتنا خاصة اذا ما اتحدنا كما علمتنا اثر المقاومة الشعبية والروح المعنوية وكذلك زادت من تصميمنا على الثار والانتقام لضحايانا العديدين من الرجال والنساء والاطفال الابرياء . لقد قدم الشعب الفلسطيني مواكب من الشهداء وقد آن لنا ان نثار وان نستعيد وطننا السليب الى الوطن العربي الكبير . ويوم تزول اسرائيل تطمئن ارواح الشهداء في مقرها الاخير ويجد المشوهون والمعذبون عزاء لمصابهم وتهدأ نفوس عائلات الضحايا والشهداء فكم من زوجة فجعت بزوجها امام ناظريها وكم من اب فجع بوحيده بين يديه وكم من طفل فقد والده امام عينيه .

واذا ما انعم الله على قطاع غزه بالحرية فهل ننسى ما خلفته هذه النكبة من مآسي ونكبات وهل ننسى ان كل شهيد سقط هو شهيد العروبة وان كل شرف انتهك هو شرف الامة العربية . لقد جلتاسرائيل الا انها خلفت وراءها في قطاع غزه حوالي ٨٥٠ شهيدا و ٦٥٠ مشوها وجريحا و ٢٠٠ مفقودا لا يعلم امرهم وأغلب الظن انهم اضيفوا الىسجل شرف الاستشهاد ولحقوا بمواطنيهم او انهم لا يزالون يلاقون صنوف العذاب . هل ننسى عائلات الشهداء وهل ننسى مئات الجرحى والمشوهين . ألا يجدر بنا ان نمد يد العون لهم فنكفكف دموعهم ونوفر لهم سبل العيش فنقوم بأقل ما يفرضه الواجب تجاه من افتدوا العروبة بدمائهم واجسادهم . لعلنا نفعل ذلك ولعل هذه المحنة تذكرنا بوضع قطاع غزه الذي يضم ٣٥٠ الف شخص منهم ٢٢٠ الف لاجيء ضاقت في وجههم سبل العيش واحاط بهم العدو من الشمال والشرق . لا بد من تعاون العالم العربي لاغاثةاهالي هذا القطاع وهو البقية الباقية التي تحمل اسم فلسطين فلنكفكف دموع عائلات الشهداء ولنساعد هؤلاء مع مئات الجرحى المعذبين ولنمد يد العون لاهالي القطاع فنجعل منهم جنودا وفدائيين ويوم تحين معركة الثار يسير هؤلاء في طليعة ركب التحرير فيثأرون لشهدائهم وينتقمون لجراحاتهم . يجب علينا ان لا ننسى هؤلاء فمن عللنا وما اكثرها علة النسيان وعلينا ان نذكر ابناءنا بمآسينا وشهدائنا وان ندرس ابناءنا تجاربنا وآلامنا وان تتعاون في ذلك الحكومات والشعوب عن طريق الكتب المدرسية وغير المدرسية والمعارض والصور الفوتوغرافية واللوحات الزيتية تعلق في المدارس والنوادي وعن طريق ادبنا القومي يصور آلامنا وتجاربنا وامانينا وما اكثرها وما اقل ما نعمل نحوها .

عدنان العلمي

مُناقشَات

النقد الذي نريد

بقلم كامل السوافيري

ما اشد خطر الاراء الشخصية على الادب ! انها اشبه بالمعاول التي تحطم البناء الشامخ ، وتنقض حجارته من اساسه ، نقرر هذا — ونحن نطوي جوانحنا على الاسف — بعد ان قرأنا ما كتبه الاستاذ سامي الدروبي في عدد فبراير من الاداب تحت عنوان ((قرأت العدد الماضي)) .

لقد عجبنا للطريقة التي عالج بها الكاتب ابحاث العدد الماضي لانه لم يحتكم الى منهج علمي يعتمده ، ولم يستند الى مقياس ادبي ينكىءعليه، ولم يرتكز على اساس من اسس الفن او نظرية من نظرياته يطبقها . بل ارسل القول كما اتفق له ، وارتجل الاراء ، وتعجل الاحكام ، على نمط اهدرت فيه القيم ، وشوهت الحقائق وجونبت العدالة .

ولو جانب الكاتب الحق مرة واحدة لهان الامر وقلنا كبوة جواد ،وزلة كاتب وعثرة قلم ولكن الكاتب جانب الصواب كثيرا وتجافى عن العدالةعدة مرات .

لقد خيل الينا اول الامر ان بحثنا هو الوحيد من بين الابحاث الذيلم يعجب الكاتب الحصيف فعدنا نتلمس نزاهته في ابحاث غيرنا من الكتاب وللاسف لم نجد لها اثرا فلم ترق في نظره ابحاث السادة الافاضل رئيف خوري ومحمود تيمور وابراهيم العريض والدكتورة سهيرة القلماوي وبعبارة ادق ان الكاتب قد هاجم وتحامل واثار اعتراضات على ثمانية ابحاث من مجموع ابحاث العدد الماضي التي بلغت ثلاثة عشر بحثا . ولا نريد ان نتولى مهمة الدفاع عن الذين هاجمهم الكاتب فكل واحد منهم صاحب قلم ماض ولسان ذرب وكل واحد منهم علم بارز من اعلام الادب لا يغض من قدره راي عاجل يكتب ، واعتراض طارىء يثار ولكنا نود ان نوضح للكاتب الفاضل بعض الحقائق التي نعتقد انه يجهلها عنبحثنا، والتي لو عرفها قبل ان يكتب نقده لتغير اسلوبه ، وتبدلت احكامه .

والحقيقة الاولى ان البحث الذي القيناه لم يكن عن (نكبة فلسطين في ادبنا القومي) كما تصوره قراء الاداب الذين لم يشهدوا جلسات المؤتمر ولكنه عن (النثر والقومية العربية) وبون شاسع بين الموضوعين وغفر الله للدكتور سهيل ادريس هذا الموقف منه الذي افهم القراء انياتحدث عن اثر النكبة في الادب في حين اني اتحدث عن النثر والقوميةالعربية . اما اثر نكبة فلسطين في الادب العربي الحديث فان رئيس التحرير يعرف صلتي به منذ زمن .

*

الحقيقة الثانية ان قصر كلمتي على الخطبة والمقالة والكتاب كان مقصودا لان دور الاستاذ تيمور كان بعدي مباشرة وقد افسحت له المجال في القصة والمسرحية اعتقادا مني انه سيبين دورهما في القومية وتبين لي بعد ذلك اني كنت مخطئا حين وجدت الاستاذ لم يتناولهما بكلمة ، واثار ذلك اعتراض الدكتور سهيل ادريس المسجل في وقائع المؤتمر وقد اوضحت له الحقيقة وعذري فيها مقبول .

الحقيقة الثالثة اني بينت في منهجية علمية امينة، وفي نظرة تتفق مع روح المؤتمر — الذي لم ينعقد لمناقشة الابحاث مناقشة علمية عميقة — الدور الذي ادته الخطبة والمقالة والكتاب في ايقاظ الوعي ، والدعوة للتحرر ، واشعال الثورات ، وقدمت الامثلة ، واعتذرت بضيق المقام عن الاكثار منها لان اعضاء المؤتمر صفوة مختارة من ادباء العرب تكفيهم اللمحة الخاطفة والاشارة العابرة وبينت المراحل التي مر بها النثر ، ولم اغفل اثر فلسطين في تطوير الادب من جهة وخلق ادب جديد من جهة اخرى وسردت اسماء بعض الكتب التي عالجت القومية العربية والتي يمثل مؤلفوها الاقطار المختلفة ، وقلت عن المقالات والخطب انها لا تقع تحت حصر وعن الكتاب والخطباء الذين يلتمع الايمان القومي في مقالاتهموخطبهم انهم كثر ، وذكرت بعض الاسماء ، وقدمت بعض النماذج .

افكان يريد الكاتب الفاضل مني ان اقرا جانبا من بحث للاستاذ ساطع الحصري او انقل مقالة كاملة للاستاذ قسطنطين زريق ، ام كان يريد مني ان اذكر عشرات الاسماء ، وعشرات الكتب ، وعشرات الفقرات ؟

*

بعد توضيح هذه الحقائق كنت احب ان يرشدني الكاتب الكريم الى جوانب النقص ، ويوجهني نحو الكمال ، ولو فعل لازجيت له خالص الشكر .

ولا اريد ان احمله تبعة كل كلمة تحدث بها عني لان هذه الكلمات لم تكن الا آراء ذاتية لا موضوعية ولم تكن الا عرضا صحفيا سريعا .

ولن يقسو قلمي عليه كما فعل ولن تتسعر كلماتي ، وتتقد حروفها لان قلمي يقدس عفة الاديب ونزاهة الكاتب وسمو ذوقه وعدالة احكامه .

ولا املك الا ان اقول له ولكل كاتب يزن آثار غيره الادبية نريد النقد النزيه الذي يتوخى العدل ، ويمس الموضوع ، وينأى عن الذات . النقد الذي يبني ولا يهدم ، ويرشد ولا يعيب ، ويوجه ولا يطعن . النقد الذي تختار فيه كل جملة بل كل كلمة بحيث لا تجرح شعورا ، ولا تؤذي احساسا . وغفر الله لقلم الكاتب ما نعتني به من صفات ، وما رمى به شخصي من تهم .

وللكاتب الفاضل خالص تحياتي .

مصر الجديدة — كامل السوافيري

حول قضية الشعر الجديد

بقلم هادي العلوي

وقفت في العدد الاخير من« الاداب » على مناقشة الشاعرين حسن فتح الباب ومحمد الجيار ، نقد الاستاذ عبد اللطيف شراره لقصائد نشرت في عدد سابق من المجلة وقد احسست وانا اقرأ هذه المناقشة بشيءمن الصعوبة في اساغة ما اورداه عن الشعر الجديد .

يبدو ان الشاعرين يتحدثان عن هذا النمط الجديد من الشعر العربي حديث الواثق المطمئن الى حقيقة تجاوزت مرحلة الشك والجدل الى مرحلة اليقين والاقرار فأخذت مكانها لا في فراغ سابق عليها بل في محل حقيقة كانت قبلها هي ذلك الشعر العربي الاصيل او التقليدي كما يسمونه . غير اني اعتقد ان الشعر الجديد لا يعدو ان يكون نمطا جديدا من الشعر يصح ان يضاف الى الانماط المألوفة ليسير معها جنبا الى جنب كما سار الموشح في العصور السابقة . وهو ليس ضرورة املاها التطور الجديد في واقع الحياة العربية بل هو تأثر الادب الغربي اي انه عمل فني صرف وليس لواقع الحياة علاقة في ايجاده لان مشكلة التعبير عن التجاوب الحادثة في هذا الواقع واحدة في كل من الطريقتين التعبيريتين ، القديمة والجديدة ، وانما يقرر استخدام احدهما مقدرة الشاعر – كما يرى بعض النقاد – فقد لا يجد في نفسه الاستعداد اللغوي او الفني لكي ينتهج الطريقة القديمة ويجد السبيل ميسرة له في الشعر الجديد . المقدرة هي اساس منشأ هذا الشعر وعليها بنيت حجج المدافعين عنه ، يوضح ذلك تسميته بالشعر الحر اي الذي تحرر من اطار القافية وتحكم التفاعيل العروضية ، وتحرر به الشاعر من قيود كانت تمنعه من الانطلاق وتحد من قابليته ذلك بالنسبة لبعض الشعراء ، وآخرون منهم لم يشاءوا التحرر من تلك القيود لانهم وجدوها لا تمنعهم من الانطلاق فتمسكوا بها ولعل في الجواهري اكبر دليل على تحكم المقدرة في ايجاد الشعر الجديد فقد استطاع هذا الشاعر ان يعي واقعه فيصور كابرع ما يكون التصوير تجاوب أمته في الكفاح وما مرت به وتمر من احداث تعترض سبيل تقدمها او تدفعها الى الامام في طريق الحياة. لا يتسع المجال لاعرض هنا لبعض الصور من ديوان الجواهري بل ارجو من الشاعرين المحترمين ان يرجعا اليه ليقرآه بانصاف وتجرد وانا مطمئن انهما سيجدان ان القافية ليست عجوزا قميئة ولا عتيقة محدودبة وان الاطار القديم ليس قفصا حديديا يمنع الشاعر اذا اوتي الموهبة الفنية والمقدرة اللغوية من التحليق .

انا لا انكر مع هذا ان لذوق الشاعر اثرا قد لا يكون قليلا في اختيار الطريقة التي يسلكها في نظم القصيدة .

والشكل والمضمون ليسا متلازمين في كل حين ويحدث كثيرا ان يؤدى مضمون جيد بشكل رديء او ان يحدث العكس وكما يمكن للقارىء ان يتأثر بايقاع موسيقي في قصيدة لا تعبر عن موضوع ذي قيمة يمكنه ان يستشعر غنى الموضوع المؤدى بشكل رديء لان الموضوع (فكرة) قد لا يصعب على القاريء المثقف ان يستخرجها من خلال ضباب الاسلوب .

ان انفعال الشاعر او اندماجه في موضوع قصيدته لا يعني بالضرورةانه – كما اراد الاخ فتح الباب ان يؤكده – سيخرج لنا قصيدة جيدة الاداء مؤثرة الاسلوب فقد يكون عاجزا في تلك اللحظة عن التعبير بطريقة فنية وناجحة رغم انفعاله ، واذن فليس مستغربا ان يفهم الاستاذ شرارةموضوع قصيدة (دم على البحيرة) دون ان يتأثر باسلوبها . واذا كان لا بد من صلة بين الشكل والمضمون من هذه الناحية فهي في هذا الاضطراب او الغموض الذي يكتنف المضمون المعبر عنه باسلوب رديء .

كلمة اخيرة ، اقولها للشاعرين المحترمين أن على الانسان ان يجمع الادلة ليستنتج منها حقيقة جديدة لم يكن يعيها من قبل وليس عليه ان يؤمن بالحقيقة ثم يبحث لها عن مبررات .

بغداد هادي العلوي

*

تعقيب

جاء في المقال القيم للشاعرة المبدعة الانسة نازك الملائكة عن «العروض والشعر الحر » أنه قد وقع الخطأ الصغير التالي في وزن قصيدتي « قصة صيادين » المنشورة في عدد ديسمبر من الاداب الغراء :

وحكايا فلاح أخرق

يرويها من الشط المعتم

صياد معدم

والحقيقة انه تصحيف في الطبع ادى الى استبدال حرف « من » بحرف « في » وصحته في الاصل المخطوط هكذا :

يرويها في الشط المعتم

وقد وقع هذا التحريف المطبعي نفسه في قصيدتي « الخوف » المنشورة في العدد الماضي حيث ورد البيت الاتي :

يضيء من موسم الحصاد

وصحته : يضيء في مواسم الحصاد

وتكرر هذا الخطأ في بعض قصائدي الاخرى المنشورة على صفحات الاداب ومنها على سبيل المثال (في قصيدة غريب في القرية عدد سبتمبر ١٩٥٧) :

من مصرع الجدود من سنابك الجياد

وصحته : من مصرع الجنود في سنابك الجياد

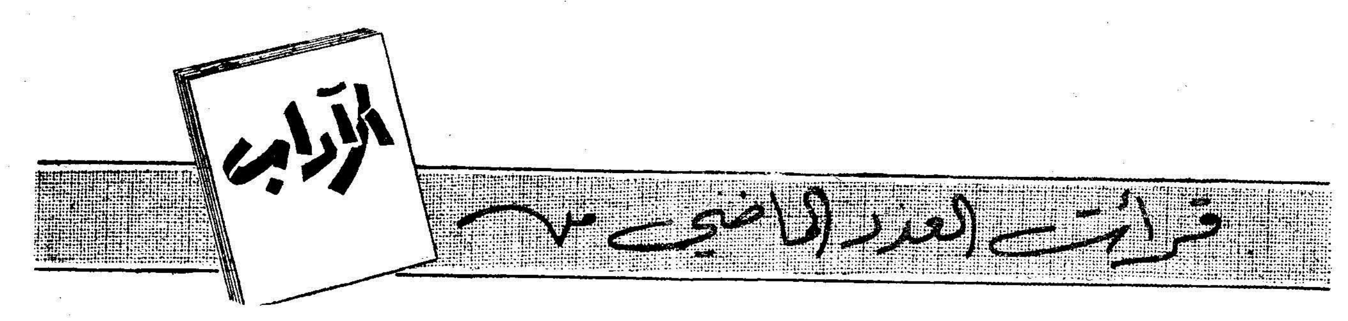
وفي قصيدتي « دم على البحيرة » في عدد نوفمبر ١٩٥٧ :

لم يحك رجال من عودتهم

وصحته : لم يحك رجال في عودتهم

وبعد فشكرا للناقدة الفاضلة لدفاعها عن الوزن الشعري ، وعذرا لآلة الطباعة عن بعض هفواتها

القاهرة حسن فتح الباب



القصائد

بقلم صلاح عبد الصبور

من المزالق التي قد ينحدر اليها الشعر الحديث ، هذه السهولة الاعتباطية التي يقترب بها كثير من الشعراء من تجاربهم .. التجربة تظل فجة حتى تعاش بعمق ، ثم يعبر عنها بعمق ايضا . فلا خير في البسط المسترخي الذي يلم التفاصيل الكثيرة الفقيرة في دلالتها دون ان تجمع تلك التفاصيل في فكرة عميقة واحدة .

هذه الفكرة العميقة التي نطلبها ، هي تلك التي طلبها القدماء في اطارهم القديم حين فتشوا عن بيت القصيد ، وقد تظل تلك الفكرة خفية بعض الخفاء ، وقد يضن بها الشاعر ان تبسط او تقال ، ولكنها رغم ذلك تظل مرفرفة فوق التفاصيل كأنها افق سماوي فوق خضرة .

وعبث في الشعر ان نثرثر دون ان نلقي بالحكمة في حنايا ثرثرتنا ، وعبث كذلك ان نحكي « الحواديث » دون ان نعرف منها العبرة ، وعبث كذلك ان تكون العبرة مبتذلة ساذجة تدفع بالقارىء بعد القراءة الى ان يلقي بسؤال ساذج ايضا « وماذا في ذلك ... هه ؟ »

دفعني الى ذلك القول ان في كثير من شعر هذا العدد من الاداب ثرثرة لا طائل تحتها وبخاصة في قصيدة « توحيدة » للشاعر مجاهد عبد المنعم مجاهد وقصيدة « فقدت ابنتي » للشاعر ابراهيم نجا .

الشعر ما زال وسيظل « فن اصطفاء » . ولست اعني بذلك ان اللفظ يجب ان يصطفى بحيث يكون شعريا مثلا ، فانا انكر هذا الكلام منذ امد بعيد ، ولكني اقول أن الجملة تصطفى بحيث تكون لبنة في بناء . ولا بد من مبرر للبنة المعوجة او الحائط المنحدر في بناء كله استقامة . والثرثرة شيء من هذا ، ولا بد لها ما يبررها ، والا اصبحت عبثا

واحب ان اقول ايضا ان لكل قصيدة « مزاجا » ويجب ان يتغلغل هذا المزاج في ثناياها ، ففي بعض الشعر تستملح اللفظة العامية او التعبير الدارج ، وفي بعضها يستملح البناء اللغوي المحكم او البلاغة المشربة العنق . والخلط الاكبر هو أن تتذبذب قصيدة واحدة بين عامية وفصحى، وبين سذاجة لفظ تتبعها تقعيرة نحوية او لغوية .

وبعد هذه الافكار المتعجلة امضي في قراءة شعر هذا العدد من الاداب

اغنية انتصار ... لطروادة

للشاعر يوسف الخطيب

قصيدة من أطيب الشعر ، خلت من هذا الذي يعاب على الشعر الحديث . ولكني ما زلت اسأل الشاعر لم جعل من آخيل رمزا لهذا الطغيان الذي عاشت المدينة تحت اقدامه ؟ ولم اختار طروادة ؟ اليس الرمز هنا عامل ضعف بدلا من ان يكون عامل قوة ؟

ان روعة الرمز — عندي — ان يكون لقاء لكل الافهام ، الرمز نمط رفيع من التشبيه ، وما دامت غاية التشبيه هي الايضاح فتلك غاية الرمز ايضا. المرموز يجب ان يحمل خصائص اشمل مما يحمل المرموز اليه ، ، والا فسدت قيمة الرمز البلاغية ولا شك ان مدينة ما في وطننا العربي ،سواء أكانت حلبا او انطاكية او وهران او غيرها تحمل من الايحاء — حين تلقى في السمع — اكثر مما تحمل طروادة في كفاحها لاسترداد هيلين .

ان اخيل وطروادة وحصان أوليس هي عندي عناصر دخيلة على هذه القصيدة .

والقصيدة مع ذلك غنية بنبضها الدافىء ، وصورها الشعرية المتكاملة ، وهذه البقية المشرقة من الكلاسيكية التي تتراوح بين ابياتها .

توحيدة

للشاعر مجاهد عبد المنعم مجاهد

هذه قصيدة رديئة، ومعذرة لصديقي شاعرها . وسأخال ان الشاعر اراد ان يكتب قصة شعرية ، ولذلك اختار لها هذا البحر السهل.ولكني فوجئت ببعض التركيبات التي لا ارى لها مبررا الا أن الوزن قد ارهق الشاعر

يقول الشاعر :

وكأن البدر تنازل يوما

فلقد اعطاها خده

وأنا اسأل لم استعمل الشاعر « فلقد »

ويقول :

ما من مخلوق في الحي هنا الا يعرف توحيده

وكلمة هنا .. دخيلة .. دخيلة .

ويقول الشاعر ان عبد الجبار كان يشتهي توحيدة « ويتفكر فيها في اثم » ثم لا يملك تشبيها لهذا الحال الا ان يقول :

اما في الحي يراها يصبح مسكين

كالفرخة شاهدت السكين

فهل يريد شاعرنا ان يقول ان الفرخة تشتهي السكين ؟

ثم انا اسأل الشاعر عن قوله :

قصتي كيف تراها كانت اصلا في كل عراك

والشاعر حين بسط القول بعد ذلك حتى لم ينس لون فستان توحيدة ومشيتها ، لم يذكر لنا كيف كانت توحيدة اصلا في العراك ثم ما هذا بالله !؟

لم يعرف عنها الاعداء

ابدا شيء

او

كل عيون الحي تراها تمشي خلف الكعب العالي

كيف تمشي العيون ؟

او

وتكون في صمت نهدان

هل يتكون نهدان في ضجة ؟

أظن اني لو فتشت في القصيدة عن عيوب اخرى لملأت كثيرا من الصفحات . ولكني سأحاول ان اتمثل وجهة نظر الزميل الشاعر ، وأفتش عن مبرر لهذا الذي يفعله بالشعر.

ربما كان الزميل يقصد كتابة قصة شعرية ، ودرب القصة الشعرية مطروق ومأهول ، وكان بامكان الزميل ان يستأنس بمن ساروا فيه لكي يصل الى شيء مما يريد .

وربما كان الشاعر يريد ان يجعل من الشعر فنا اجتماعيا ، وهو كذلك ، ولكن اجتماعية الفن لا تكون بالعدوان عليه او التبذير فيادواته. وانا احب ان انبه الى خطأ خطير يتردى فيه كثير من الزملاء . وهذا الخطأ هو انه ليس معنى ان يكون الشعر للجماهير ان يتنازل عن فنيته. وما زال وسيظل لكل فن رأيه العام الضيق الدائرة ، او « القلة المتحمسة » . وارضاء هذه القلة المتحمسة هو السبيل الى ارضاء الكثرة لان هذه القلة هي التي تفرض مثلها وقيمها الفنية .

ولننظر في قصة الزميل الشعرية ، فنجدها قد زحمها بالتفاصيل ، ولكن هذه التفاصيل خانته حين حاول ان يتعرض لدور توحيدة الوطني، ترى ماذا فعلت توحيدة بالاعداء ؟

عند الفجر تعود

توحيدة بالجسم المكدود

في اعينها شي ء

ونظل رغم هذا البيان غير الوافي نسأل ماذا كانت تفعل توحيدة بالاعداء ؟

المحروم

للشاعرة ملك عبد العزيز

قصيدة غنائية عذبة ، تحوم حول تلك الفكرة المأثورة القائلة بأن الحرمان ينضج الفن ، وصاحبتها شاعرة سباقة ، وان كنت لم اقرأ لها شعرا منذ زمن بعيد . وقد امتلأت القصيدة بتلك الفكرة التي أشرت اليها ،وعبرت الشاعرة عن فكرتها تعبيرا غنائيا عذبا :

زين الالام بالصبر الجميل

وابتدع فيها الفنون الخالدات

وأحل هذي الدموع الذائبه

مثلا للحسن .. غرا رائعات

الخوف

للشاعر حسن فتح الباب

القصيدة تدعو للسلام ، من خلال صورتين من شقاء الحرب ، احداهما صورة جندي مشوه ، والثانية صورة امرأة فقدت وحيدها . ولولا التكرار الذي هو حرى بأن يفقدبعض الاشياء دلالتها لكانت هذه القصيدة من جيد الشعر .

لا بد من شيء جديد لكي نصنع شعرا جديدا . والشاعر الخالق هو من يقول كلمته هو . ولست اعني بذلك ان شاعرنا قد تأثر احدا من الشعراء فكل ما في القصيدة من نبر ولفظ وجرس هو من نفسه ومن وجدانه . ولكني أقول ان هذا الموضوع قد طرقته اقدام سابلة الشعراء حتى أوشك خطو اللاحق أن يقع على أثر السابق .

ان الحديث عن السلام محيط دامع ، وحبذا لو كتب لنا شاعر عن السلام ، من زاوية جديدة .

الساقي

للشاعر زكي قنصل

منذ سقاة ابي نواس ، لم يحدثنا احد هذا الحديث الملىء بالحب عن ساقيه ، واذا كان بين أبي نواس وساقيه حبل مودة ، فأن شاعرنا المحدث يعجبه من ساقيه كلامه وذلاقة لسانه فحسب . وربما نظر الى وجه الساقي نظرة الف واستبشار ، لا تلك النظرة النواسية التي تشمل الوجه والقفا وما دونهما

ان في الساقي العصري محاسن هذا العصر ، فيه القدرة على الكلام وادارة الحديث بما يتفق واهواء الشرب ، ورواية الاساطير والخوض في سير الناس . ان هذا الساقي « جنتلمان عصري » قد علق على شفتيه ابتسامة

القصيدة صورة حية لنموذج بشري متواتر

فقدت ابنتي

للشاعر ابراهيم محمد نجا

انا ضعيف القلب امام الموت ، ومع ذلك فلم اشعر بالحسرة الا دبيبا لا يكاد يتجاوز الضلوع امام هذه القصيدة التي يتحدث فيها الشاعر عن موت ابنته

ليس الشعر شيئا يقال ، بل طريقة يقال بها هذا الشيء ، والشعر الحديث في جوهره احتجاج على الابتذال ، والتعبير الذي لا اصالة للفرد فيه تعبير مبتذل مهما تذرع بذرائع من الصراخ والموجدة

ان ابن الرومي يقول

طواه الردى عني فاضحى فراره — بعيدا على قرب قريبا على بعد

واولادنا مثل الجوارح أيها — فقدناه كان الفاجع البين الفقد

وتظل ابيات ابن الرومي تحلق في سماء لا تصل اليها هذه القصيدة رغم طولها

✶

كان في حديثي عن شعر العدد بعض حدة ، ولكنها — واقسم — طيبة النية ، وليراجعني الزملاء فيما قلت ، فلعلي مخطيء ، ولكن الحقيقة على كل حال ليس لها الا وجه واحد .

صلاح عبد الصبور

القاهرة



الأبحاث

بقلم عبد الجليل حسن

تكشف مقالات هذا العدد عن مدى تجاوب كتاب الآداب مع القضايا الثقافية لواقعنا العربي وعن عمق تناول لموضوعاتهم واحتشادهم لها بشكل عام.. واسجل قبل كل شيء عظيم اعجابي بكتاب هذه الابحاث، والملاحظات التي ابديها مهما قد يبدو عليها من طابع نقدي يختلف مع الكتاب الافاضل من بعض النقاط ، فان الاخلاص يحدوها والاعجاب يسبقها .

١ ـ العربي الانسان للدكتور عبدالله عبد الدائم

يثير الكاتب مشكلة من أخطر مشاكل واقعنا العربي المعاصر ، هي مشكلة مضمون قوميتنا العربية ومسئوليتها ويسهم في حل هذه المشكلة بشقيها حلا سليما واعيا ، فالمضمون انساني النزعة يطمح الى تحقيق العدالة الاجتماعية في الواقع العربي، وهو يستمد من وعي الفكرة العربية القومية ذاتها والوعي بالفكرة القومية هو الذي يولد الشعور بمسئولية قوميتنا وهو الذي يحدد اسلوب العمل ازاء ما في واقعنا من تباين ، ففي طرف منه اجزاء متقدمة تقدما نسبيا واجزاء متخلفة بشكل زري،فهو يفرض مسئولية متضامنة على الاجزاء الناهضة منه ان تنهض باجزائه المتخلفة ... ولكن هل يكفي ان نقول ان الفكرة العربية انسانية شاملة وان الشعور الانساني جزء لا يتجزأ من الشعور القومي حتى نامن الاخطار ؟ ان معنى الانسانية مختلف نسبي غير محدد ولكل ان يحدده كيفما شاء ويطلقه على ما يهوى، ولا بد من تحديد مضمونه واطاره .

٢ ـ فن مؤتمر التضامن الاسيوي الافريقي لرئيف خوري

يتناول الكاتب مقررات وتوصيات المؤتمر من زاوية القضايا العربية ، والقضية التي يثيرها هي الكيان العربي والقومية العربية التي يهددها وجود اسرائيل فهل تكفي مقررات المؤتمر التي ادانت سياسة اسرائيل العدوانية واعلن انها قاعدة استعمارية ـ هل تكفي لتوضيح القضية ؟ ويتساءل «هل اذا كفت اسرائيل عن سياستها العدوانية وعن ان تكون قاعدة استعمارية .. هل يكون من حقها ان توجد حينذاك؟» تلك هي القضية الهامة الجريئة التي تثار والتي يجب ان تثار دائما حتى تحل .. وجود اسرائيل المفتعل الذي يجب ان يصفى ، « ولا مندوحة لنا عن المطالبة بتصفيتها لتقوم مقامها دولة عربية لفلسطين الموحدة » والاستاذ رئيف خوري يعبر بذلك عن امانينا جميعا وعن تصميمنا وعزمنا المشروع على تصفية هذا الكيان الدخيل الذي يهددنا بالخطر .. تلك هي قضيتنا الحياتية التي يرخص في سبيلها كل شيء .. ولكن كيف السبيل الى هذه التصفية وما الوسيلة ؟ هذا شيء اخر علينا معالجته على مستوى صريح وجريء كذلك

٣ ـ العروض والشعر الحر لنازك الملائكة

يثير هذا المقال الهام قضية من اهم قضايا الشعر الحديث هي قضية الشعر الحر وارتباطه بالعروض او تحلله منه ، ولست ازعم لنفسي معرفة بالعروض كافية او غير كافية او خبرة بالشعر الحر ادنى خبرة ، ولكنني احسست اهمية الموضوع واستشعار الكاتبة للمسئولية الشعرية وانتصارها لها ودعوة مخلصة الى تفهم تقاليد الشعر العربي وخوفا من الفوضى التي قد يخلقها التحرر التام الذي ربما قضى على طبيعة الشعر الحر نفسه ، والمقال ليس بحثا مجردا وانما هو دراسة تطبيقية لقصائد عدد من الاداب ، والدراسة التطبيقية هي اساس النقد ، والمقال قضية مطروحة امام اصحاب الشعر الحر ونقاده ليناقشوها باخلاص حتى تجلى هذه هذه القضية .

٤ ـ تيارات الادب في مصر المعاصرة للدكتور محمد مندور

هذا المقال ليس مجرد تسجيل ورصد بل تقييم لهذه التيارات ، والمقال يصرح بالوضوح الناتج عن تمثل تام ودراسة معمقة للادب المصري ، وهو في حدوده كمقال واحد يتناول موضوعا عريضا قد حقق الهدف منه وبين معالم هذه التيارات « فالتيار التقليدي يحرص على سلامة الصياغة اللغوية وقوتها والتجديد فيها والتيار الرومانسي يحرص على الجو الشعري وعلى الموسيقى وعلى ظلال المعاني المرهفة » والتيار الثالث المنتصر هو التيار الواقعي الاشتراكي الجديد ، وتقييم الكاتب لهذه التيارات والاتجاهات تقييم منصف واع وخاصة حين يبين مدى ما يمكن ان يستفيده التيار الجديد من التيارين السابقين ونقدهما له ، وتتوفر في احكام المقال روح التحفظ في القائها تلك الروح التي يجب ان تكون روح النقد العلمي المنصف .. ولكننا نلاحظ ان المقال ليس تخطيطا لتيارات « الادب » بقدر ما هو تخطيط لتيارات الشعر بخاصة فالحديث في مجمله منصب على الشعر .

٥ ـ مكسيم غوركي لسلامة موسى

جوركي من الكتاب الذين يعرفهم قراء العربية جيدا فقد ترجم الكثير من اثاره ، وسلامه موسى من الكتاب المصريين الذين كافحوا كفاحا دائبا لنقل الثقافة الغربية الينا ، وهو في مقاله هذا لا يعرض لنا حياة جوركي بقدر ما يعرض ما يهمه من مضامين مؤلفاته ودلالتها بالنسبة لنا ، والمقال ممتع معجب مفيد مرب من حيث الافكار التحررية المنثورة في ثناياه واما من حيث هو دراسة او بحث فانت لا تملك الا ان تتريث في اعجابك كثيرا فهو ليس ببحث بل انعكاسات الكاتب وانطباعاته عن حياة جوركي او مؤلفاته ، ولا تعرف ان كانت القضايا المقررة قضايا جوركية ام « موسوية » فهو ينطق جوركي بما يحب ويكره هو ، وانت تحس فيه روح الحماس وافتقاد النقد ثم ان الكاتب يتساءل في نهاية مقاله « هذا هو مضمون الفن عند جوركي ، والان ما هو الشكل؟ ويجيب على هذا السؤال بسؤال آخر هو : هل لنا الحق بعد ان عرفنا المضمون ان نسأل عن الشكل ؟ » وتلك قضية لا تحل على هذا النحو الساذج ولا تدفع بمجرد اثارة سؤال اخر ثم تركها لان المضمون عند جوركي استغرق كل ذهن الكاتب ، اذ المضمون مهما كان عظيما او رائعا او حتى مقدسا (؟) لا يكفي لكي يجعل من العمل الادبي عملا فنيا بل يكو ن اي شيء .. اخلاقا او سياسة او علما ولكنه لا يكون فنا ابدا ،واعمال جوركي نفسه لم تكن قط مجرد تقرير يخلو من « الشكل » الذي اكسبها طابع العمل الفني

٦ ـ التكييف الحضاري واصول الفكر العربي المعاصر للدكتور صابر

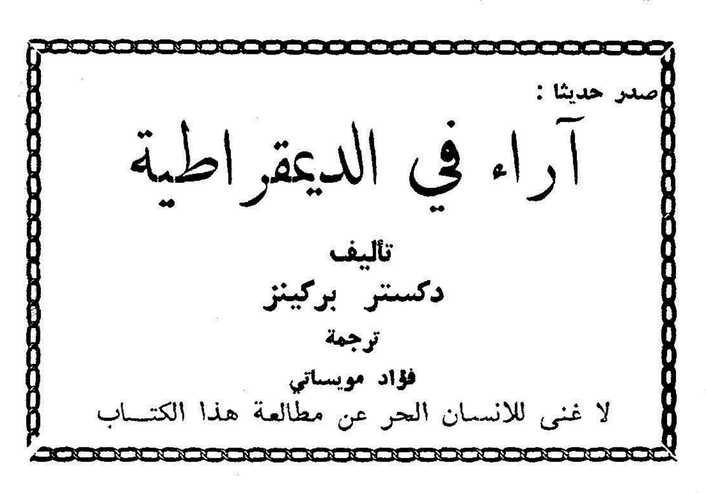
هذا مقال جاد وهام ، فهو محاولة لدراسة مشخصات الفكر العربي المعاصر والاصول التي تحدد سماته وشخصيته والعمليات الحضارية التي تعمل على تكييفه ، والكاتب يواجه موضوعه مواجهة تاريخية تحليلية تهدف الى تخطيط للقيم والاساليب التي يجب ان نلتزمها للعمل على تطوير مجتمعنا وفكرنا العربي ، والشيء الهام في هذا المقال هو تناول الموضوع باحساس فتمثل لتاريخنا العربي وعوامل تطوره ، والامر الاخر الهام كذلك هو نوع فهمه لواقعنا الحديث القديم معا ، والتفسيرات التي يقدمها للظواهر الحضارية المشاهدة والمتولدة من هذا الواقع ، والكاتب مهما قد تختلف معه في تفسيراته وتصويره الا انك لا تملك الا ان تحترم جدية دراسته وسمو مقصده .

والملاحظات التمهيدية التي تناول بها الكاتب الفكر العربي منذ ان كان بدويا رعويا ثم مرحلة الالتقاء بين الثقافة الاسلامية والثقافات المعاصرة القديمة كالفارسية واليونانية والسريانية والهندية ثم قيام الخلافة العثمانية وانفرادها بالسيطرة ، ملاحظات تكشف عن دراسة متأنية لتطور الفكر العربي وتحدد ملامحه الحضارية العامة ، ولنا على هذه الملاحظات ملاحظتان : اولا ان التأثير الاجنبي في الميدان الفكري لم يكن تأثيرا منهجيا في طريقة البحث اكثر من تأثيره في المضمون والافكار. ان هذه الملاحظة عامة وقد تنطبق على الادب ولكنها لا تنطبق على الفلسفة الاسلامية (وانا اقصد وليس علم الكلام) ولا على العلوم كالفلك والطب والكيمياء كما قرر الكاتب نفسه بل ان مضامين وافكار كثير من المعارف السياسية والعلوم النحوية فارسية ويونانية على الترتيب ، وثانيا « ان الخلافة العثمانية لم تقم على اسس تيولوجية ، وانها لجأت الى عنصرية اتنولوجية في نهاية الامر قاومتها العناصر العربية بمثلها » بل ان السيطرة العثمانية قامت من اول الامر على اساس عنصري توسعي استعماري (بالصورة القديمة للاستعمار) وان لجوءها الى التبرير التيولوجي الاسلامي المزيف انما كان مظهرا سطحيا خارجيا ولجأت اليه بشكل واضح اخيرا كدفاع عن كيانها ازاء التهديد الاوروبي ، وكذلك فليست « اوربا هي التي كانت تعمل على انفصال العناصر العربية ، واستقلالها وشانها ، وتقوى فكرة القومية الوطنية « اذ ان ذلك كان نتيجة طبيعية لحركة التمرد الحديثة على السيطرة التركية التي بدأت بعلي بك الكبير والتنبه القومي الذي أثارته الحملة الفرنسية بشكل غير مباشر ومحاولة ارساء شخصية قومية مستقلة واكبت حركة عرابي في مصر .. ومن المؤلم حقا ان يقرر الكاتب ان اوربا كانت تعمل على استقلال العناصر العربية ورفعة شانها وهذه دعوى تشبه الى حد ما دعوى كرومر !!

ثم يصل الكاتب الى دراسة التكييف الحضاري الحديث للفكر العربي فيرجع عوامله الى الحضارة الصناعية والاستعمار الذي ارتبط بها في مراحلها الاولى والذي نقلها معه الى الحضارات الزراعية والرعوية ، ولكنه لم يقم قط بتوريث هذه الحضارات ـ كما يزعم الكاتب ـ الاصول الفكرية للحضارة الصناعية كالديمقراطية والحرية وحقوق الانسان .. لا لم يقم الاستعمار بذلك كما يقرر الكاتب بشكل خطير مغلوط ولم يورثها اصول حضارته الفكرية كالديمقراطية والحرية ... وان تقرير هذه القضية بهذا الشكل تقرير مشوه فان العنصر الذي تشرب هذه المثل والمبادىء انما تشربها قسرا عن الاستعمار ورغما عنه وبشكل غير مباشر ، والكاتب بما يقرره عن العنصر المشابه الذي آمن بالقيم الحديثة في الحضارة الصناعية وبوسائلها في العمل والذي عمل على تحويل الفكر العربي الى فكر مشابه للفكر الغربي ، وعن العنصر المغاير الذي لجأ الى مذخورنا الديني القديم وتعاون العنصرين معا في محاربة الاستعمار الغربي، وما عمله الاستعمار لتقسيم الامة العربية الى وحدات مصطنعة كوسيلة لمحاربة الشعور القومي العربي، لينقض ما يقرره من ان الاستعمار هو الذي نقل المثاليات الحضارية الغربية الى العالم العربي فهو لم ينقلها وانما اخذت بالرغم منه، والمثاليات الحديثة كالديمقراطية والحرية وحق تقرير المصير افكار مجردة ما كان يمكن ان تؤثر في المجتمع العربي ما لم يتفاعل معها ويتجاوب ، وهذا شيء لا ينقل بمجرد الاحتكاك والمعرفة .. وملاحظات الكاتب هامة وعميقة وبعضها عام يحتمل الجدل والخلاف ويتطلب تفصيلا. وكم كان بودنا ان نناقشها جميعا ؟ ولكن هناك ملاحظة رئيسية لا يمكن ان نغفلها رغم هذه الاطالة وهي دعوته الى ـ « ان الفكر العربي لا يمكن الا يتحرر الا اذا اصبح معبرا اصيلا عن الحضارة الصناعية المعاصرة » « واننا حين نقبل هذه التنظيمات (فكرة القومية والديمقراطية وحق تقرير المصير) لا بد ان نقبل المضمون الذي ننظمه بها (يعني الحضارة الصناعية) فلا يمكن ان ننظم بهذه التنظيمات مضامين اخرى » .. هذا الكلام صحيح الى حد ما ولكن اذا لاحظنا ان هذه التنظيمات تولدت قبلا في الماضي عن حضارة مغايرة وانها ليست جامدة ثابتة بل مرنة متغيرة ومفاهيم اجتماعية وظيفية اتضح لنا في الحال ان جزم الكاتب لا مبرر له اذ ان تصويره للقضية على هذا النحو يجعل الامر يبدو كنقل ميكانيكي ، فكأنه يقول ما دمنا قبلنا هذه المفاهيم والتنظيمات فعلينا ان نكون مجتمعا كالمجتمع الذي نبتت فيه ، دون مراعاة لظروفنا وحضارتنا المغايرة ودون مراعاة للتعديل والتشكل الجديد الذي يحتمل ويمكن ان تتخذه هذه المفاهيم وهذه الحضارة الصناعية .. ان الكاتب من العنصر المشابه المنبهر بتعبيره هو .

٧ ـ رأي في كتابة تاريخنا لنوفان قرقوط

وهذا مقال اخر يعبر باخلاص عن حاجتنا الى كتابة تاريخنا كتابة جديدة تستهدف احياءه في النفوس والعقول ، كتابة على اساس عقائدي يؤمن بامكانيات المستقبل كما يؤمن بحقائق الماضي .. والمقال ، رغم اعجابنا به ، ينم عن اتجاه عاطفي يزعم لنفسه العلمية ، وهو يعبر عن حاجة يستشعرها المفكرون عندنا وهي اتخاذ الدراسة التاريخية كسلاح في صراعنا الراهن ، ويتخلل المقال ايمان بان هناك روحا عربية ونظرة كلية عربية اصيلة في الوجود والحياة ومهمة المؤرخين ان يفرقوا بين ما هو عارض دخيل مدسوس على هذه الروح .. وتلك قضية « عقائدية » تجعل المؤرخ يلوي التاريخ حتى ينطقه بما يريده ويزعم ان كل ما لم يوافق هواه « ضد واقع هذه الشعوب » ... ومثل هذا الاتجاه في كتابة التاريخ له مخاطره الكثيرة التي اهمها خيانة العلم وروح النقد ، وقد كثر الحديث اخيرا عن قضية



الروح العربية ((وخصائص العرب الذاتية)) ونظرتهم الى الانسان والكون)) .. كثر الحديث حولها ولكنها لم توضح وتبرز بل تطرح بشكل دعوى وزعم ولن نستفيد من طرحها على هذا النحو بل يجب ان توضح وتحدد ويكشف عنها ليس فقط بالمنهج التاريخي بل به وبالدراسات الاجتماعية والنفسية والفلسفية ، اما تركها كدعوى ومناقشتها كقضية عامة مبهمة وعويلنا باننا لا نستهديها من سلوكنا المعاصر فلن يجدينا نفعا ، ولـن ينفعنا كذلك ان نكشف عنها ((بمستوى العقل العلمي المؤمن المتفاعـل بصدق مع تيارات الفكر العالمي)) ما معنى هذا ؟ ما معنى ((العقل العلمي المؤمن)) ؟ ان العقل العلمي لا يؤمن بفكرة سابقة ثم يوجه بحثه ليخدم ما آمن به من قبل،انه موضوعي. والعقل العلمي المؤمن تعبير متناقض مع نفسه بهذا المعنى .. اننا بحاجة الى تحديد ما نلقيه من قول وبحاجة الى الدراسـة الموضوعية غير المتحيزة والدراسة النقدية الحرة ، ولسنا ابدا بحاجـة الى دراسة عقائدية تؤمن بافكار مسبقة مهما كانت عزيزة علينا .

٨ ـ الانسان المأساة في شعر نزار قباني لمحيي الدين صبحي

كل ما استطيع ان اقوله انني استمتعت بقراءة هذا المقال .. ولكـن الاحظ ان عنوانه اكبر من مضمونه فهو عن المرأة في شعر نزار بالدرجـة الاولى ومن الانصاف انتظار كتاب الكاتب الذي سيصدر له قريبا .

٩ ـ العذريون والتصوف لاحسان الملائكة

يقرر هذا المقال ((ان الشعراء العذريين كانوا اكثر من مجرد عشاق)) ، كانوا متصوفين ، فالحب العذري تصوف وقيس متصوف ، وحبيبته ليلى هي في ((اعتقاده التفسير الوحيد لمعنى الحياة)) ولما لم ينلها جن وهام في البراري ينشد نفسه)) .. هل الحب العذري مرحلة من مراحـل التصوف الاسلامي ؟ وهل قيس رائد للمتصوفة ؟ تلك قضية طريفة ولكنها غير صحيحة وغير مبررة الا تبريرا عاطفيا وتبريرا معكوسا ، ((فليلى قيس ليست نفسه)) والاستشهاد بقول ابن الفارض .

وما زلت اياها واياي لم تزل ولا فرق بل ذاتي لذاتي احبت

استشهاد متعسف فابن الفارض لا يعني هنا كل عاشق ، وانما هو يعبر عن شعور المتصوف بالاتحاد بالمعشوق الذي هو الذات الالهية التي تتجلى في الوجود وفي ذاته وتتحد فيها ، فابن الفارض ، وغيره مـن شعـراء المتصوفة وليس قيس منهم بحال، استعان بالعشق ، عذري او غير عذري، كرمز للتعبير عن حالته ونحن لا يمكن ان نفهم ابن الفارض على ضوء قيس والعكس كذلك غير صحيح اي ان قيسا لا يفسر لنا ابن الفارض ... ان المقال يحمل الشعر العذري ما لا يطيق باقحام التصوف عليـه ، فالشعر العذري لا يمكن ان نفهمه الا في دائرة الجنس الواسعة ، وفي ضـوء

الدراسة السيكولوجية ، ويبلغ التعسف اشده حين يقال ((ولو كان قيس من ابناء عصرنا الحاضر لكان وجوديا مائة بالمائة)) ما هذه الوجودية وكيف يكون ذلك ولم هذه الفرضية المتعسفة ؟

١٠ ـ المدنية سرابها ويقينها لشريف الراس

هذا المقال عرض لكتاب مترجم بنفس العنوان لجورج باستيد ، وانا لم اتمكن من قراءة هذا الكتاب بعد .. ولكـن نلاحظ ان الموضوع كبير وخطير في آن ، والجزء الذي لخصه الكاتب دراسة لافكار الفلاسفة الضـالين (في رأي الكاتب او المؤلف على الاقل) الذين يبحثون في سراب المدنيـة وهم طوائف ثلاث ، التجريبيون والنفعيون والانجليز خاصة منهم ثـم الربانيون وفلاسفة الصيرورة ... والكاتب يسخر بشدة من فلسفـة تجريبيين واصحاب المنفعة فهم سند فكري للاستعمار وتبرير له .. وهذا كلام تقريري يشبه جدا الايمان ولا يقبله بسهولة دارس للفلسفة والكاتب واحد منهم ، وينقصه الانصاف في الحكم والاحتراز في القاء التهم وتقدير اهمية مساهمة الفلسفة التجريبية في المنهج العلمي ، ولا تطلق مثل هذه الاحكام الدافعة العامة بمثل هذا اليقين دون ان يكون الكاتب متجنيا .. والجزء الثاني من المقال سيكون بحثا في المدنية كيقين ترى ماذا سيقول لنا هو او المؤلف على الاصح بعد ان توهم هدم هذه الفلسفات ... نرجو الا يكون مجرد عقيدة وايمان بفكرة واحدة ترفض ما عداها .

١١ ـ النقد والشعر العراقي الحديث لعبد الجبار داود البصري

يتناول الكاتب موضوعه فيحشد له كل شيء .. رأيه في النقد وفي مراحل تطور النقد العربي ثم يستعرض موقف النقد من الشعر العراقي الحديث، ويقسمه الى اطوار ثلاثة .. ويمثل الكاتب لما يذكره بكثير من الشواهد ، وفي المقال جهد ودرس ومحاولة واضحة للتخطيط والتحديد والتقسيم والمقارنة والكاتب مولع بالتصنيف المحدد والمقارنة وذكر المحاسن والمساويء والميزات والعيوب في كل ما يذكره مما قد يضفي على دراسته طابعـا تعليميا ، ولست ازعم لنفسي دراية كافية بالشعر العراقي الحديث تسمح لي ان اناقشه في احكامه الكثيرة التي اصدرها على نقاده ، ولكن الذي يعنيني طريقته في تناول موضوعه فهو يصدر احكاما عامة ويطلقها كـأنهـا شيء مسلم به والامثلة على ذلك كثيرة مثل قوله اكثر من مرة ((ومن هذه المقاييس الخاطئة اعتبار كذا ـ الخ)) لماذا هي خاطئة وكيف تقرر ان عـن فلان او هذه الطريقة كذا ـ الخ)) لماذا هي خاطئة وكيف تقرر ان نزعته صحفية ومعروف عند من .. هل هناك اجماع ..؟ ان هذه الاحكام والتقريرات تتطلب تبريرا ، وهذا امر واضح في مجمل المقال ، فهو يقرر قضايا جدلية كانها امور مقررة .. ولعل هذا راجع الى تناول موضـوع عام واسع في مقال وليس نقطة واحدة من النقاط العديدة التي اثارها ليوضحها .. ومع هذا فانني لا انكر ان المقال تخطيط بارع لموضوعه .

القاهرة — **عبد الجليل حسن**



بقلم فاروق خورشيد

لعله مما يلفت النظر ان نشهد هذه الايام تحول الاهتمام في حياتنا الادبية عن القصة القصيرة التي كانت مركز اهتمام ومحور ارتكاز في نشاطنا الادبي منذ سنوات .

ذلك ان القصة القصيرة احتلت منذ فترة وجيزة المكان الاول فاتجه الى كتابتها معظم المثقفين الملهمين ، وعني بدراستها كثير مـن النقـاد

والدارسين ،والتفتت اليها دور النشر فظهرت المجموعات القصصية التي اصابت حظا من الرواج بين جمهور القارئين دعا الكثير من النقاد انيعلنوا أن القصة القصيرة هي فن هذا العصر وأداته التعبيرية الاولى . ولم تعد هناك جريدة يومية او مجلة اسبوعية تنشد لنفسها الذيوع لا تفرد صفحة او صفحات للقصة القصيرة . بل لقد ظهرت المجلات المتخصصة في نشر هذا اللون من الانتاج .. ثم بدأ الاهتمام يتحول تدريجيا عنها وينصرف تارة الى الشعر الجديد وتارة الى الرواية الطويلة ، وبدأ الجمهور ينصرف عنها اما الى البحث والرواية والقصيدة .. او الى الريبورتاج الصحفي والخبر المثير والفكاهة السريعة ..

والواقع ان ما شهدته القصة القصيرة من اقبال واهتمام يحتاج الى دراسة وتقص ، وكذا ما أصيبت به من اهمال واعراض يحتاج ايضا الى دراسة وتقص .. فليس من السهل ان نشهد هذه الظاهرة الادبية دون ان نحاول ان نعلل لها ونبحث عن اسبابها ومسبباتها ..

وربما كان هذا البحث بعيدا بعض الشيء عما نحن بصدده من حديث عن قصص العدد الماضي من الاداب لولا ان هذه القصص في جملتها تبرز لنا هذه الظاهرة منعكسة على نماذج من الانتاج المنشور ... وليس اقسى على النفس من اصدار حكم عام في طبيعة القسوة والعنف ، ولكن الواقع ان قصص هذا العدد بالذات تجعلنا نتساءل عن السر في اختفاء النماذج الجيدة التي كانت منذ فترة زمنية قصيرة جدا تملأ كل مجالات النشر الادبية ..

الشيخ حداد لعثمان سعدي ، والعيد للجميع لعلي بدور، ومغامرة لادكار سركيس : هذه هي القصص الموضوعة التي تقدمها لنا الاداب .. وقصتان منها تشيران الى سبب يعلل للظاهرة التي اثرناها ، وقصة ثالثة تشير الى سبب آخر .. والقصص في مجموعها تشير الى سبب ثالث ، بينما تقدم لنا القصة المترجمة « انتيستا » سببا رابعا ..

الشيخ حداد

بقلم عثمان سعدي

اول ظاهرة في هذه القصة هي هذه الهوامش الكثيرة التي ذيلت بها تترجم لبعض المصطلحات البيئية . (فالصفية) صخرة مستطيلة ورقيقة.. و (الكسكس) اكلة شعبية في المغرب .. الى آخر هذه الترجمات التي تتحدى القارىء في ذيل كل عامود .. والذي نعرفه ان القصة ليست درسا في اللغة ، والكاتب قد احس بغرابة هذه الالفاظ على القارىء فكان عليه ان يرفعها اصلا من قصته وخاصة وقد جاءت كلها في السرد لا في الحوار .. اما اذا كان يريد بها ان يرسم جو البيئة التي تعيش فيه القصة فما كان احرى به ان يرفع تفسيراته او ترجماته من ذيل الصفحات فقد اذهب هذا كل ما لهذه الالفاظ من ايحاءات بيئية وصرف القارىء الى الدراسة اللغوية التي قدمها له القاص ..

والقصة بعد كل هذا تحكي شيخا جزائريا في قريته يحرث الصخر ليزرع ما يقيم اوده وأود احفاده فقد طرده الفرنسيون من ارضه الخصبة وذهب اولاده الكبار للجهاد ضدهم ولم يبق له الا صخر ينبت منه زرعه في عسر وأحفاد يربيهم على معاني الكفاح في سبيل الحرية وفي سبيل القوت .

ولكن هذه الحكاية شيء وما قدمته من القصة شيء آخر .. فالقصة وقفة طويلة مع الشيخ في هذا الحقل الصلد العسر وحفيدته تحمل له نبأ خطف الفرنسيين .. لشاة !! وهنا فجاة يتغير سياق القصة وتنطلق العبارات الرنانة ..

(ـيا لهؤلاء الفرنسيين الانذال ، قتلوا كل جمالنا ، ولم يبقوا لنا من قطيع مئة راس سوى عشرين شاة .. لقد احرقوا الزرع في الحقول ... والسنابل في البيادر .. حتى الكلاب قتلوها ، انهم اوغاد .. اوغاد جبناء .!)

وأنت تفاجأ بهذه العبارات تخفي عنك ما جهد الكاتب ان يرسم من صور لتعاطف الشيخ العجوز مع حيوان حقله وآلة زرعه وذكرى ايامه وأمل مستقبله في هذه الحفيدة الصغيرة .. تفاجأ بأن الصورة التي شغلت بقراءتها ليست هي القصة وليست هي اي شيء .. وانما هناك شيء آخر يريده الكاتب عن عمد كما اراد هذه الهوامش عن عمد وهو هذه العبارات الحماسية الخطابية التي ما كان يحتاج في ايرادها الى كل هذا العناء وهذا الجهد ..

والقصة بهذا قد خرجت من الاطار الفني التي كانت تسير فيه الى عمل خطابي يبدو منفصلا وباهتا ولا علاقة له بالقصة في معناها الفني على الاطلاق ..

وهذه الظاهرة تتكرر في القصة الثانية .

العيد للجميع

بقلم علي بدور

حكاية اسرة صغيرة تستعد للاحتفال بعيد ميلاد الابن ، الاب قلق يرقب الولد الصغير ، والام مشغولة في فرحة تعد كعكة العيد وتتأهب لاستقبال المهنئين وتعد الشمعات وتنثر الزهور وترتب المقاعد ، والطفل لاه بلعبته ، راقد في سريره يحلم بأمل الغد ..

ولكن الكاتب هنا ايضا لا يحب ان يتركك مع القصة في امان الله .. بل لا بد له ان يفاجئك هو الاخر بالعبارات الحماسية الخطابية ...

(شكرا على .. شكرا لله الذي جعل ايامنا كلها اعيادا اليوم ، عيد الطفل ، عيد سامي ، وعيدي كمواطن ، انه عيد العروبة بحريتها الحقة ، واستقلالها الكامل)

فالاب يستدعى فجأة الى قيادة المقاومة الشعبية وفي هذه الليلة بالذات ليستلم سلاحه لان المستعمرين يتربصون ببلده فيترك الحفل الصغير لتقول الام :

« بابا .. متى يكبر لاراه شابا ، قد تطوع في المقاومة الشعبية كما تطوع ابوه اليوم ، جنديا في معركة الحرية والكرامة والشرف ، معركة القومية العربية من المحيط الى الخليج)

وماذا تستطيع ان تفعل ما دام الكاتب يريد لقصته هذه النهاية المؤلمة

... من قصة الى مقال ، ومن عمل فني يرسم حياة اسرة ذات لحظة سعيدة الى خطيب قد وقف على منبر يوجه الجماهير .. لن تستطيع ان تفعل شيئا امام رغبة الكاتب هذه الا ان تضرب كفا بكف حسرة على المجهود الذي ضاع بلا مبرر ..

سبب اول

قلنا ان هاتين القصتين تمثلان سببا من اسباب ظاهرة انسحاب القصة من مكانها الاول .. والواقع ان القصتين تعطيان في وضوح هذا الفهم الذي بدأ يغزو مفاهيم كاتبي القصة ، وهو ان القصة مجال للوعظ والارشاد .. وانها لا بد ان تحوي مفاهيم كفاحية حتى ولو كانت هذه المفاهيم خطبا وعبارات حماسية ، واختلط الامر فغدا البناء الفني تمهيدا للخطبة المنبرية ..

فانت في القصتين تجد نفسك اول الامر امام بناء قصصي متكامل ثم تحس انك ساذج حين يسحبك هذا البناء القصصي رغم انفك لتقرأ عبارات لا هي في العير ولا في النفير كما يقولون ..

افهم أن تريد القصة التعبير عن كفاح الجزائريين او عن بطولة الفدائيين، ولكني اظن ان هذا اللون من القصص يكون من اوله مقصودا لذاته فتمهد الاحداث ويمهد السياق ويمهد السرد بلا انتقال وبلا عبارات طنانة وبلا خطب مثيرة لمفهوم معين ليظهر من خلال العمل وقد تكامل ونضج ..

اما ان تسبب سرقة شاة او استدعاء لمواطن ليستلم سلاحا كل هذه الضجة الخطابية فمعناه في وضوح ان الكاتب يعز عليه ان ينهي قصته في سلام ، وان فهمه للمضمون فهم فيه سطحية تتلف عمله كفنان اتلافا تاما ..

وبعد فلعل القصاص يدركون ان المضمون ليس شيئا اعتسافيا جبريا انما هو كل متكامل لا يظهر في جمله وانما يبرز من خلال الكل وأن فنية العمل الفني لا تضحى اطلاقا من اجل اي شيء مهما كان هذا الشيء ..

مغامرة

بقلم ادكار سركيس

هذه قصة قصيرة ناجحة لولا ..

ولنترك (لولا) الان لنعود الى القصة ..

القصة تعبر عن تجربة انفعالية تحس فيها الصدق الفني والفهم الصحيح لمشكلة بطلها . .والتجربة هي مغامرة لص هاو يقتحم بيتا لاول مرة ... والقصة تحكي لك في دقة انفعال بطلها وتردده وخوفه وقلقه ثم الرعب الهائل اذ يملكه الوهم انه قد ضبط متلبسا .. ثم هي تحكي لك هذه الاسترخاءة عندما يحس انه كان يحارب طواحين الهواء ، الاسترخاءة التي تنيم اعصابه واعصابك وقد شدها الكاتب حتى آخرها بسرده الرائع وحواره القصير المعبر ، ورسمه الناضج للاختلاجات النفسية عن طريق الحركة الخارجية المرسومة بدقة وحرص ..

فهي اذن عمل متكامل لانها تعبير عن تجربة صادقة تعبيرا موحيا ... ولانها تناولت لحظة زمنية في عمر الانسان فقدمت من خلال هذه اللحظة كل آلام هذا الانسان وكل نوازع نفسه المضطربة القلقة ..

ونعود الان الى (لولا)

القصاص من اول الامر يريد ان يعتذر لك عن تقديم هذا النموذج البشري .. فهو يسوق لك قبل ان يبدأ في قصته تحليلا اعتذاريا عن موقف بطله وهو يضمن هذا التحليل جملا اعتراضية ليضعها بين اقواس ليتأكد هذا الاعتذار ولتفهم ان لم تكن قد فهمت ان الحياة هي التي اوقفت البطل هذا الموقف لا الكاتب فالبطل يقول في هذه المقدمة الطويلة ..

ــ ماذا اعمل لاشبع جوعي ؟ السرقة !

ثم يعقب الكاتب واضعا كلامه بين قوسين :

(لا تتعجبوا من كلامي هذا ، فان السرقة هي اشرف جريمة يرتكبها انسان يقبل على الموت جوعا . ودعوني اقول لكم بصراحة : اني اعرف اثرياء ــ لا اذكر اسماءهم ــ لا يتورعون عن سرقة الفقراء مع انهم غير مضطرين الى السرقة) .

وجمله التي يضعها الكاتب بين اقواس تكثر في هذه المقدمة كثرة توحي لك بأن الكاتب يعتذر .. وانت لن تجد سببا لاعتذاره الا محاولته التملص من النموذج الحي الذي يقدمه .. لماذا ؟

سبب آخر

واذا عدت الى اول هذا الحديث رأيت اننا قد قلنا ان القصص الثلاث تعطي سببا من اسباب ما اصاب القصة القصيرة اخيرا .. والسبب الذي نعنيه وتجمع عليه هذه النماذج جميعا هو هذا الخوف الذي يملأ نفس الكاتب من النقاد . ففي «مغامرة» رأينا الكاتب يريد ان يعتذر عن نموذجه وفي « الشيخ حداد » و « العيد للجميع » رأينا الكاتبين يخرجان عن سياق القصتين ليقولا شيئا آخر ..

فاللص الذي يريد ان يسرق، والفلاح العجوز وماشيته وما بينه وبين بيئته من تعاطف ، والاب الفرح بعيد ميلاد ابنه لا تكفي وحدها وانما لا بد من اعتذار عن اللص ولا بد من أن تتضمن القصتان حكايات بطولية ..

لعلهم النقاد الذين تحدثوا عن المضمون والادب الهادف والالتزام والمسؤولية .. والادب الكفاحي ودور الاديب في الفترة الراهنة .. لعلهم جميعا يتقاسمون مسؤولية هذا الخوف الذي يحسه القصاص من نماذجه الاصيلة التي يكتب عنها منفصلا وعن تجربة شعورية صادقة ..

لعلهم جميعا يتقاسمون المسؤولية فيما اصبح القصاص يحسه من واجب في كتابة نماذج كفاحية وصور بطولية فاذا كان النموذج لصا ــ وليس اللص نموذجا كفاحيا ــ فلا بد من الاعتذار واذا كان شيخا او أبا فلا بد من عبارات الحماس تعتذر للنقاد الذين اضاعوا في غمرة التمتمات والتعويذات والارهاب ثقة الكتاب بفنهم وثقتهم بانفسهم وثقتهم بواجبهم التعبيري المقدس .

انتيتسا

ترجمة نقولا طويل

اختيار هذه القصة للترجمة اختيار موفق فهي عمل انساني عام يتناول المرأة كجنس في تهكم خفيف وسخرية طريفة ، وهي تصلح بفنيتها

المحبوكة لتكون درسا في كتابة القصة القصيرة الناجحة . فالقصة تريد ان تقول ان لسان المرأة يأكل الاخضر واليابس وانها مهما بلغت من الرقة والجمال فلسانها اقسى من اي سلاح ولكنها لم تحتج الى العبارة المباشرة والقول المأثور بل لجأت الى السرد المدروس لتقدم لك تجربة عجوز احب كنته الصامتة خضوعا لتقليد معين فاراد ان يسمع صوتها وذبح لهذا عجلا وأولم وليمة ليحطم التقليد بتقليد ... وتتكلم كنته وسرعان ما يسرع ليذبح عجله الاخر الباقي حتى تعود الى صمتها ..

هذه هي القصة المترجمة الموفقة في الاختيار وسط ما قدمنا من نماذج موضوعة تحتاج الى مثل هذا الدرس في (التكنيك) ...

ولكنها تثير قضية هامة من اخطر القضايا التي تعرض لنا في حياتنا الادبية .. وهي قضية الترجمة .. فالمترجم قد التزم الحرفية الكاملة في النقل عن الاصل الانجليزي ، فالجمل امامك قد كتبت بالعربية ولكنها تفقد التركيب العضوي المأثور عن لغتنا وتبدو فيها بوضوح تركيبات اللغة الانجليزية للجمل ... وسأورد لهذا مثلا واحدا في كل القصة .. ذلك هو انتقاله من السرد الى الحوار يقول ..

(صباح الخير يا جميلتي

هتف العجوز وقد نفد صبره)

والسؤال هو هل يتجاهل المترجم انه ينقل الى لغة لها مميزاتها وخصائصها التي تخضع الكتابة بها لقواعد وأصول لا بد من التزامها ويكتفي بالنقل الحرفي حتى ولو جافى هذا النقل كل خصائص لغته هو التي يترجم اليها .. ام يتصرف المترجم في النص تصرفا يطوعه للغته وامكانياتها ..

الذي احب ان اقوله هو ان هذا ان جاز في النص العلمي فهو لا يجوز على الاطلاق في النص الادبي ، اذ لا بد ان يفهم الكاتب النص فهما تذوقيا ثم يقدمه لنا تقديم الفاهم الذي يحس النص ويتذوقه ولو ادى هذا الى تدخله تدخلا نسبيا

سبب ثالث

ولعل هذه القصة المترجمة تعطينا سببا ثالثا من اسباب تنازل القصة القصيرة عن مكان الصدارة في انتاجنا .. هذا السبب هو ما ينقص كتابنا من تذوق للغتهم فلا تكفي المعرفة اللغوية ولا التمكن اللغوي وانما نحن في حاجة ما دمنا نعبر تعبيرا فنيا الى احساس بعبقرية اللغة التي نستعملها في التعبير بحيث تغدو في ايدينا لغة طيعة وأداة سهلة ميسرة ..

وبعد

فلعلي اسوق في آخر هذا الحديث اعتذارا الى الزملاء الكتاب الذين تعرضت لاعمالهم هنا فلست احب ان نجامل بعضنا على حساب العمل الفني ، ولست احب ان تفوت فرصة من فرص الفحص الصادق الباني دون ان ننتهزها علنا نثري نقدنا الادبي بقيم مستمدة من انتاجنا نحن قبل ان نطبق عليه ما استوردناه من قواعد نقدية .

القاهرة فاروق خورشيد

الجمهورية العربية المتحدة

لمراسل الآداب الخاص في القاهرة

المسؤوليات الجديدة

أهم الاحداث التي وقعت اخيرا حادث : الوحدة بين مصر وسوريا... انه حادث الاحداث ، ونقطة التحول الكبرى في تاريخ العرب العصري ، وسيكون لهذا الحادث تأثيره الجوهري على شتى المجالات في مصروسوريا وبقية اجزاء الوطن العربي ، سوف يؤثر على الاقتصاد والثقافة والعلاقات الاجتماعية ، وسوف يكون تأثيره بعيد المدى الى درجة تحتاج الى وقت كاف لدراسته والتنبؤ به ومحاولة الاستفادة منه حسب مصالح العرب ، ولم تظهر بعد دراسات كافية تعمل على توضيح صورة المجتمع العربي القادم توضيحا تفصيليا ، وتخطيط مستقبله في المجالات المختلفة تخطيطا كافيا ... وسوف يحتاج هذا كله الى بعض الوقت ، وان كان الامر يبدو علىجانب كبير من الاهمية ... انه واجب عاجل من واجبات المفكرالعربي.

وقد كتبالدكتور لويس عوضمقالا قيما عنالمسؤولياتالجديدة التي تقع على عاتقنا بعد الوحدة ، وقد بدأ حديثه بقوله :

لا شك ان المسؤوليات السياسية والاقتصادية يدركها رجال السياسة والاقتصاد تمام الادراك ، ويضطلعون بها على اكمل وجه ، اما المسؤوليات الثقافية فهي تحتاج الى مزيد من التوضيح والتنويه ... فهذه المسؤوليات لن تقف عند حد توحيد برامج التعليم ، او انشاء اتحاد لكتاب العربية او غير ذلك مما يتصل بحياتنا اتصالاً مباشرا ، ولكنها تتجاوز ذلك الى اخرى تبدو في ظاهرها انها بعيدة عن الحياةولكنهافي الحقيقة متصلة بها اشد الاتصال » .

ثم قال الدكتور لويس :

« واول هذه المسؤوليات هي محاولة اكتشاف انفسنا .. نعم ، ينبغي علينا ان نعمل على اكتشاف انفسنا في كل بلد من البلاد العربية ، فنحن الى اليوم نجهل الكثير عن انفسنا ، واكتشاف النفس لا تكفى فيه العبارات العاطفية ، بل لا بد وان يقوم على اسس قويمة من العلم والثقافة والتفكير الموضوعي .. ولقد نازعتنا النوازع الى الوحدة فاتحدنا وكان من المقومات التي بنينا عليها هذه الوحدة وحدة اللغة والثقافة في العصور الحديثة ، فهل مقومات وحدتنا لم يكن لها وجود قبل ان تنتشر اللغة العربية والثقافة العربية من الخليج العربي الى المحيط الاطلسي ؟ ام ان جذور هذه الوحدة اللغوية والثقافية كانت ضاربة في اراضينا منذ اقدم العصور ؟ ... ان من يقرأ كتاب « الغصن الذهبي » للسير جيمس فريزر في معتقدات هذه المنطقة كلها ايام العالم القديم ، وفي دياناتها ، وفي طقوسها ، يعلم حق العلم ان الوشائج التي كان يرتبط بها ابناء هذه المنطقة وشائج قوية تبلغ مبلغ التجانس وربما الوحدة الاتنولوجية ، فالعبارات متجانسة والمراسم متجانسة ، ومن قرأ ما كتبه العلماء حول اديان التوحيد يعرف حق المعرفة ما كان بين ثقافات بلاد المنطقة كلها من تداخل وانسجام حتى لنوشك ان نقول انها ثقافة متجانسة تتخذ صورا شتى بحسب البيئة التي تحل فيها وتنمو ، ومن قرأ قصة الصراع بين الوثنية والمسيحية في المنطقة كلها ابان العصر الروماني خرج بهذه النتيجة عينها وهي ان اسباب التجانس الثقافية – والفكرية والروحية لم تجد في عالمنا منذ ان اتخذنا من اللغة العربية اداة مشتركة للتفاهم بيننا ، وانما كانت لها جذور ضاربة في اراضينا وفي نفوسنا منذ القدم»

ثم قال الدكتور لويس عوض :

« اما مسؤولياتنا الكبرى فهي ان ندرس كل هذه الاشياء بموضوعية العلماء لا برغبة الراغبين في افتعال نتيجة بعينها ، والا نجزع اذا رأينا البيئة المحلية وغيرها من العوامل قد لونت هذه الثقافة المتجانسة وهذه اللغة والافكار والمشاعر المتقاربة فجعلتها تختلف من اقليم الى اقليم ، فلقد رأينا ان بعض الادباء العرب مثلا يجزعون امام استخدام اللغات العامية في الاداء المسرحي والحوار القصصي ، يخشى ان يضعف هذا من وحدة اللغة ، ومن وحدة الشعور بوجه عام ، وان يدعم الفكرة الاقليمية والاحساس الاقليمي ، ورأيناهم لهذا يدعون الى اصطناع الفصحى في كل انتاج ادبي ، ولعلهم لا يدركون ان في دعوتهم هذه قتلا لبعض فنون الادب التي لا سبيل للتعبير عنها الا باللهجة الدارجة ، فالكوميديا مثلا تموت في مجموعها اذا لم تقم على الحوار العامي وروح الفكاهة يضيع اكثرها اذا التزم صاحبها قواعد النحو والاعراب ، ومن التراجيديا الوان تضر فيها الفصحى اكثر مما تنفع ، ومن الموشحات والاغاني ما يستمد جماله وطلاوته من بلاغة التعبير العامي النابع من القلب دون ان يمر في العقل ويلبس ثوب الفصحى القشيب » .

... تلك اجزاء من مقال الدكتور لويس عوض ، وهي اجزاء تلخص الافكار الرئيسية في مقاله ، ومقال الدكتور لويس هو اول مقال يعالج مشكلة الوحدة بين مصر وسوريا من جانبها الثقافي علاجا علميا ناضجا ، ولا شك ان اراء الدكتور تحتاج الى المناقشة وتحتاج الى مزيد من البحث، ومن الضروري ان نعمل على معالجة مشاكلنا الثقافية من زاوية الوحدة معالجة علمية دقيقة بقدر الامكان ، فان هذه المعالجة العلمية هي التي ستفتح الطريق الى ادب يعبر عن الانسان العربي على نطاق واسع ، وهي التي ستفتح الطريق الى التمديد الصحيح لمناهج الدراسة والثقافة العامة في الوطن العربي .. اننا في حاجة الى مزيد من التفكير والمناقشة ، واعادة النظر في مقومات ثقافتنا العربية ومنابعها .

البيرق النبوي

عرضت اخيرا في مصر مسرحية غنائية شعبية هي مسرحية « البيرق النبوي » ، وقد كتب هذه المسرحية بالشعر الشعبي : عبد الفتاح مصطفى ولحنها: احمد صدقي، واشرف على اعدادها وتقديمها: علي احمد باكثير..

وتروى المسرحية قصة حب دارت في عهد المماليك قبيل الحملة الفرنسية على مصر ، ففي ذلك الحين كانت مصر خاضعة لحكام متنافسين متصارعين من المماليك ، أثقلوا عليها في الضرائب ، واهملوا شئون الاصلاح فيها ، واستبدوا بالشعب اسوأ استبداد ، وبدأ الشعب يقاوم طغيان هؤلاء الحكام ، وتمثلت المقاومة الشعبية المصرية كما صورتها مسرحية « البيرق النبوي » في شخص شاب مصري اسمه : حسين ، وكان حسين هذا قد خطب فتاة احبها اسمها : جميلة ، ولكناحدالمماليك اعجب بالفتاة عندما رآها فاختطفها وضمها الى « حريمه » ولكنها أبت ان تفرط في شرفها وفاء لحبيبها الذي كان غائبا عن القاهرة .. وعاد الحبيب الغائب وعرف ان فتاته قد وقعت اسيرة « المملوك» الشرير العابث .. فذهب ليدافع عن شرفه .. عن فتاته .. ولكن المماليك قبضوا عليه .. ولم

النشاط الثقافي في الوطن العربي

تلبث الامور العامة في مصر ان تطورت فدخل الفرنسيون تحت قيادة نابليون الى مصر ، وانهار بدخولهم حكم المماليك ، وخرج الفتى وحبيبته من سجن المملوك الذي هرب ... ولكن الحياة لم تلبث ان كشفت للمصريين ان الفرنسيين هم اعداء ينبغي مقاومتهم بشدة .. فبدأت حركة المقاومة ضد الفرنسيين ، وتكون جيش تحت راية « البيرق النبوي » ، وسمي هذا الجيش باسم « البيرق النبوي » لمقاومة الفرنسيين ، ولكن الجيش المصري هزم بعد مقاومة عنيفة مشرفة ، ودخل «حسين» السجن ضمن ابطال المقاومة الشعبية ضد الفرنسيين ، ولكن المقاومة استمرت حتى خرج الفرنسيون من مصر بعد ان رحل « نابليون » الى باريس، وقتل « كليبر » واستسلم « مينو » اخر الامر ... وعاد حسين الى حبيبته جميلة ... بعد رحلة طويلة من الكفاح ضد المماليك والفرنسيين .

هذه هي الخطوط العامة للقصة التي دارت حولها مسرحية « البيرق النبوي » ... وهي مسرحية شعبية غنائية ... وقد لقيت هذه المسرحية نجاحا لا بأس به ، ودلت دلالة واضحة على ان هذا اللون من الفنون الذي تغلب عليه الاغاني الجماعية الشعبية، هو لون ناجح مطلوب ، وقد سبق في العام الماضي ان قدمت « مصلحة الفنون » ايضا لوحات غنائية شعبية هي لوحات « يا ليل يا عين » .. وكانت هذه اللوحات ناجحة كتجربة اولى .. واقبل عليها جمهور كبير جدا ، ولقيت ترحيبا واسعا من النقاد .

ولكن الاخطاء التي برزت في تجربة « يا ليل يا عين » قد اتضحت اكثر في تجربة « البيرق النبوي »

وعلى رأس هذه الاخطاء ان تدريب المشتركين في هذه المسرحية الغنائية لم يكن كافيا، وذلك لضيق الوقت الذي اعدت فيه المسرحية وقلة الامكانيات فمعظم الذين اشتركوا في « البيرق النبوي » هم من ممثلي المسرح، بينما يحتاج هذا اللون من المسرحيات الغنائية تربية طويلة وتدريبا من نوع خاص . ان هذا اللون لن ينجح على المسرح ابدا الا اذا فتح معهد لتربية الاصوات والامكانيات الفنية ،على ان يسبق هذا المعهد بحث طويل في المدارس والمصانع والمؤسسات المختلفة في شتى جوانب المجتمع عن اصحاب المواهب والامكانيات الفنية ، والتقاط هذه المواهب وتعهدها بالرعاية والتدريب حتى تثمر ثمرة طيبة في المستقبل ، ان هذا اللون من الفنون الشعبية اشبه تماما بفن « الباليه » ، يحتاج الى تعليم وثقافة وتدريب طويل ... ولكن الذي حدث في « البيرق النبوي » ومن قبل في فرقة « يا ليل يا عين » ان الممثلين الذين اشتركوا في اداء الاغاني قد اختيروا من بين ممثلي المسرح المحترفين ، ولم يطل تدريبهم اكثر من شهر ، وعندما انتهت « يا ليل يا عين » في العام الماضي ، وعندما انتهت مسرحية « البيرق النبوي » في الشهر الماضي.. ذهب هؤلاء الممثلون لاداء انواع اخرى مختلفة من الفن المسرحي لا علاقة لها بالمسرح الغنائي بحال من الاحوال .

وقد ادى الادوار الغنائية الرئيسية في هذه المسرحية : حورية حسن في دور « جميلة » .. وكارم محمود في دور « حسين » ، وقد كان واضحا جدا ضعف هذين الصوتين على المسرح ضعفا ملموسا ادى الى اضعاف المسرحية ... فهذه الاصوات اذا كانت صالحة امام الميكروفون فانها لا تصلح بحال من الاحوال على المسرح الذي يحتاج الى صوت قوي قادر يستطيع ان يصل الى الاذان والقلوب .. وقد فكرت وانا اشاهد هذه المسرحية في الاصوات الصالحة لاداء الادوار الغنائية الرئيسية ، وانصرف ذهني على الفور الى اكبر طاقة صوتية في الشرق العربي : ام كلثوم ... ان ام كلثوم هي التي تستطيع اداء هذا الدور اداء قويا صحيحا خالدا ، فصوتها القوي يصمد للمسرح الغنائي الذي يشبه ذلك الفن المعروف بـ « الاوبرا » ، والى جانب قوة صوتها وارتفاع طبقته ، فانها تستطيع ان تغنى لمدة طويلة بنفس القوة والمستوى ، مما يتيح فرصة ناجحة امام الاغاني الطويلة ... ولكن هل ترضى ام كلثوم باداء هذا الدور ؟.. كلا بالطبع .. انها تصر على طريقتها الراهنة في الغناء ، وهي طريقة لها ميزاتها ،ولكنها تحتوي على عيوب اخرى خطيرة .. ان ام كلثوم تتأبى على الاشكال الفنية المختلفة ، وخصوصا ذلك الشكل الذي يجعل منها صوتا لا يعتمد على ذاته وحسب ، وانما يعتمد ايضا على بعض الاغاني الجماعية ... وام كلثوم بموقفها الذي لا يخلو من جمود واستعلاء على الفن تخسر فرصة نادرة للاستفادة من صوتها الممتاز ، وتفقد المسرح الغنائي فرصة لتدعيم اشكاله المختلفة ... وتحتمل نفس المسئولية مع ام كلثوم طاقات صوتية اخرى مثل : فايزة احمد ونجاة الصغيرة وغيرهما من المطربات ذوات الصوت القوي .

ونفس الموقف ينطبق على « مطربينا » الكبار من امثال : عبد الوهاب ، وعبد المطلب وغيرهما من اصحاب الاصوات القوية .

اننا في حاجة الى مزيد من التعاون والتواضع والاحساس بالمسئولية ازاء فنوننا وثقافتنا ، كما اننا في حاجة الى ان ننظر الى الفنون الناشئة نظرة رعاية واهتمام ، لا بد من البحث عن الخامات ، وانها لموجودة بحق وتحتاج الى الايدي التي تبحث وتنقب ثم تدرب وتصقل ... ولا بد ان نضمن لهذه الخامات لونا من الاطمئنان والضمانات التي تدفع الى العمل دون قلق او اضطراب ، كما ينبغي الا نضن على هذه الفنون بامكانياتنا الموجودة فعلا ، فلو ان « ام كلثوم » اخذت الدور الرئيسي في « البيرق النبوي » لاتاح ذلك لهذه المسرحية الغنائية لونا من البقاء والخلود ، ولاتاح ذلك لام كلثوم نفسها نوعا من البقاء والخلود ، لم يخطر لها على بال ولن يفكر فيه الذين سوف يكتبون تاريخ الفن في بلادنا ...

كان باستطاعة ام كلثوم ان تصبح جزءا كبيرا من تراثنا الثقافي والفني الخالص ، اما هي اليوم ، فانها طاقة ضخمة تستنفد في معظم نشاطها الفني للتسلية والمتعة .

وهذا نفسه ما ينطبق على فنانينا الكبار امثال : عبد الوهاب .

حديث ثقافي هام

في سلسلة قيمة يكتبها الاستاذ حلمي سلام بمجلة«الاذاعة المصرية»تحت عنوان « محايد في روسيا » .. نشر الاستاذ حلمي حديثا دار بينه وبين وزير الثقافة الروسية عن بعض قضايا الفكر والفن .. وقد دار هذا الحديث بين الاستاذ حلمي وبين وزير الثقافة خلال رحلة الوفد الثقافي المصري الى روسيا تحت رياسة السيد فتحي رضوان وزير الارشاد القومي

كتب الاستاذ حلمي يقول :

« قلت للرفيق ميخايلوف :

عندما كنا في لينينفراد سمعت من نائب محافظ المدينة ، ان عدد الكتب الذي بيع فيها خلال السنة الماضية ، قد بلغ ٦٠ مليون كتاب ، اي بمعدل ٢٠ كتابا لكل واحد من سكانها ... فالى اي شيء تردون هذا الرواج الثقافي الذي لم اعرف له شبيها ؟

قال الوزير :

ـ لا شك ان المستوى الثقافي العالي لافراد الشعب هو الذي يساعد ، في الدرجة الاولى ، على اقبالهم على القراءة .. الا اننا بجانب هذا الاعتبار الهام ، نقوم بدعاية واسعة للكتب ، ولتوجيه افراد الشعب نحو القراءة ... وهذه الدعاية تكلفنا كثيرا ، ولكنها ـ مع كل الانتصارات التي احرزتها الثقافة عندنا ـ لا تزال ضرورية .. وواجبة .

قلت للرفيق ميخايلوف :

الفكرة التي عندنا عن الكاتب او الاديب السوفياتي انه لا يملك حرية التعبير عن نفسه .. ويهمني كصحفي من بلد صديق ان اعرف حقيقة حدود الحرية التي يتمتع بها الكاتب السوفييتي.. وهل يسمح له مثلا بان ينقد ما لا يروقه في المجتمع الروسي ، وبان يبلور نقده في كتاب ينشره على الناس ؟

قال : هذه فكرة يروجها بعض الكتاب الغربيين ضد الادباء السوفييت لاغراض تعتبر جزءا من خطط حكوماتهم ضد الاتحاد السوفييتي

اما جوهر هذه المسألة في رأيي فهو ان « حرية الابداع » مفهوم غير واقعي في المجتمع الطبقي .. ففي المجتمع الرأسمالي لا يستطيع الكاتب ان يعتبر ابداعه حرا دائما ، ذلك لان حريته تصادر ، او على الاقل يحد منها على نحو يقرب من المصادرة .. ولقد عرفنا في تاريخنا الروسي القديم كثيرين من اعظم رجال الفكر ، وقد ضحوا بحياتهم في سبيل الحصول على حرية التفكير .. ومن هؤلاء الشاعر الكبير الكسندربو شكين وفي الوقت الذي لا يستطيع فنان امريكي مثل « بول روبنصون » مثلا ان يغادر امريكا ليحيي حفلاته في اماكن اخرى .. تجد الفنانين السوفيت يتمتعون بحرية كاملة في ابداعهم ، ذلك لان من طبيعة المجتمع السوفييتي ان نبني الانسان الجديد عن طريق الانتقاد .. والانتقاد الذاتي .. وعلى ذلك ، فانه يمكن القول ان هذه الاساليب ، اعني اساليب النقد ، موجودة عندنا في الادب .. كما هي موجودة في سائر الفنون الاخرى :

قلت للرفيق ميخايلوف :

ـ فيما عدا رواية « ذوبان الجليد » التي كتبها كاتبكم « ايليا اهرنبرج » وانتقد فيها سيطرة الدولة على توجيه الفنون ـ هل يستطيع السيد الوزير ان يذكر لي عملا ادبيا اخر نهج فيه صاحبه على منوال اهرنبرج ؟

قال الوزير :

ـ أجل عندنا عمل ادبي اخر شبيه بعمل اهرنبرج .. وهو الرواية المسرحية « كورنيشوك » تحت عنوان « لماذا اضحكت النجوم ؟!! ». وفي هذه المسرحية انتقد الكاتب البيروقراطية ، والجهل ، والقصور عن فهم الفن، واهمال حاجات الشعب ... ثم هناك فيلم سينمائي سوفييتي عرض عندكم في مصر اسمه : « ليلة الكرنفال » وهو ايضا يتناول بالنقد نفس العيوب التي انتقدتها المسرحية السابقة تقريبا »

جمعية الادباء العرب بالاقليم السوري

عقدت الهيئة العامة لجمعية الادباء العرب ، للاقليم السوري ،اجتماعا انتهى الى انتخاب اللجنة الادارية للعام الحالي ، وفاز السادة : شكيب الجابري ، نزار قباني ، مطاع صفدي ، الفة ادلبي ، طلعة الرفاعي ، يوسف الخطيب ، مدحة عكاش ، سعد صائب ، عبد الرحمن خزندار .

وقد كان من باكورة اعمال هذه اللجنة ان ألفت لجانا فرعية ثلاثة للقصة والشعر والدراسات ، لينصرف اعضاء الجمعية الى مباشرة الانتاج الايجابي. وقد قوبل انشاء هذه الجمعية بالترحاب والتشجيع من الاوساط المثقفة هنا وكان لبيانها ايقاع طيب في النفوس ، خاصة وان انشاء هذه الجمعية رافق تحقيق الجمهورية العربية المتحدة .. وجدد ايمان العاملين بالحقل الادبي والثقافي بامكانية خلق مؤسسة اجتماعية عربية للادب تضم جهودها الى جهود هذا العهد الثوري الابداعي الذي تعيشه امتنا .

وفيما يلي نص بيان جمعية الادباء العرب :

ان جمعية الادباء العرب في دمشق يسرها ان تعلن بيانها على الجمهور العربي الكريم

في الوقت الذي تتجه فيه امتنا العربية الى تنظيم امكانياتها في شتى حقول الفعالية القومية يرى الادباء العرب في دمشق استجابة للمرحلة التاريخية المبدعة التي تجسدت فيها وحدة امتنا وتبلورت فيها اهدافها وغاياتها ومثلها ان يسعوا بدورهم الى تعبئة جهودهم ضمن منظمة فكرية اجتماعية تدعى « جمعية الادباء العرب » .

لقد كان الادب دائما احد الدوافع الاساسية في نهضات الشعوب، يعمل في سبيل اذكاء قوى الحرية وتهيئة الوعي المسؤول لدى الاجيال الصاعدة لتفهم قضايا الانسان وايضاح المعاني الثورية التي ينطوي عليها وجوده . واذا كان ثمة اهداف حقيقية يضعها الشعب العربي كمعادل طبيعية لوجوده الذي يرعاه بدمه وثوراته ونضاله الفاصل ، فان من تقاليد الادب العربي انه السباق الى تحقيق اهداف كل مرحلة تاريخية في وجدان الامة كشعور اصيل بحق الحياة وكرامة الانسان ، وكايمان يغذيه الفكر وتبدعه الحقيقة ... حتى كان ادبنا لا يؤلف فحسب مجرد جزء من التراث القومي ، بل هو الذي يقلب هذا التراث الى قيم خالدة ويرفع منه الى مستوى التراث ـ الانساني بما يكشف في اعماقه من نماذج مثالية تصح منطلقا صميميا للحضارات .

وفي هذه المرحلة الفاصلة من تحرر امتنا العربية تعظم مهمة الادب حتى تتجسد برسالة الجمهور المكافح من اجل حرية العرب ووحدتهم وعودتهم الى مكانتهم التاريخية ، ليساهموا من جديد في سير البشرية نحو السلام الحقيقي المبدع .

وليست هذه الجمعية الا مظهرا من مظاهر التنظيم الاجتماعي لفعالية الادباء حتى تجد لها الاطار الواقعي المنتج ، وبهذا تجعل من الغاية التي اخذها الادباء عهدا على وجدانهم الفني بأن يساعدوا في ابداع الانسان العربي الجديد ، وينتشلوا قيم التراث العربي من رواسب عصور الانحطاط ، وان يكشفوا في الامة عن تطلعها الاصيل نحو عالم يتحد فيه الفن بالحقيقة ، وينسجم الواقع مع المثل الاعلى وتخيم شريعة الحرية النابعة من اعماق تاريخنا .

ان الادب العربي يجب أن يعبر عن هوية العرب ، وان يكون وجها واضحا لحقيقة ثورتهم الانسانية الراهنة . واذا كان يبحث عن اصالته فلن يلقى لها مصدرا ثرا الا في تراث الابداع العربي الصافي، ولن يلقى له مبررا راهنا مثل قدرته على استشفاف نوازع المرحلة الانقلابية التي بدأت ملامحها تطبع وجه حاضرنا بما يشرف انساننا العربي . فادبنا عربي

الشكل عربي المضمون يخاطب وجدان كل انسان اصيل بما يفتح فيه اعمق نزوع نحو الصدق والبراءة وتمجيد الحرية الفعالة في واقع المجتمعات المتناقض الحائر .

وان ادبنا ليشعر بازدواج رسالته اليوم . فهو اولا عليه ان يساهم في خلق انساننا العربي الجديد بأن يفجر في اجيالنا طاقة المثل الاعلى ويدفعها الى اعظم نضال من اجل أدق مرحلة تاريخية تمر بحياة امتنا والانسانية معا . وله رسالته الثانية الى العالم الذي يثق بأن خيره اعظم من شره ، وبأن حقيقته اقوى من ضلاله ، وبأن ثوريته الشاملة لتنسجم مع ثورية كل شعب حي يعاود الحياة والكرامة . يؤدي رسالته الى العالم بأن ينقل اليه تجربة الشعب العربي بكل ما فيها من صدق وحق ، ومن ثورية ومثالية ، ومن فن اختلط بالدم ، ومن تراث امتزج بروحية الانسانية وشارك في دورات تطورها وانتقالها من البدائية الى المدنية ، ومن الحيوانية الى الوعي البشري من فن وعلم .

ان جمعية الادباء العرب تضع نصب عينيها ذات اهداف الامة العربية في النضال من اجل حرية الانسان وكرامته ورسالته الحضارية . وهي تعتبر ذاتها جزءا من جمعية الادباء العرب لكل العرب ، وبذلك تحقق جزءا من اغلى اهداف الامة وهي الوحدة العربية الحقيقية . وتعتقد ان الفن كان دائما متحدا بالحقيقة ، فلا فن بدون ايمان بحقيقة الامة وما انطوت عليه من خصائص وبطولات انسانية وميزات قومية . ولا فن ان لم يكن متقدا بحيوية النضال ومتحدا معه وهو يدك صرح الاستعمار ويحطم من أطر الحياة العتيقة البالية التي ساهمت مع الاستعمار في تأخر امتنا وضعفها .

فالجمعية تلتزم اذن قضايا الامة النابعة عنها وتناضل من اجلها بوسائل الادب الحقيقي وهي لذلك ستأخذ على عاتقها محاربة الميوعة في الادب والاستهتار باللغة العربية ومحاولة التيارات المعادية للهبوط بتراثنا من المعاني والالفاظ الى درجة العامية المحلية التي هي سبب من اسباب انحطاطنا الحضاري . كما انها ستناوىء النزعات الانحلالية وكل مسعى للانحراف عن معنى التقدم والتطور القومي الاصيل ، كما انها ستشجع كل مضمون جديد شرط ان يصدر عن حياتنا العربية الايجابية ، وكل شكل مبدع للتعبير ، شرط الا ينبو عن ذوقنا العربي ، وانها لتقدر كل فعالية صادقة لنقل التراث الادبي العالمي الى ادبنا اينما كان ادبا انسانيا اصيلا ، كوسيلة للتقارب في اذواق البشر والشعور بمشاكلهم، شرط الا يقصد منه القضاء على شخصية ادبنا الجديد .

وان الجمعية ما هي اليوم الانواة صغيرة متواضعة بالنسبة الى ما تأمل أن تصير اليه في المستقبل بفضل مشاركة الجمهور العربي الواعي لها ومساندته لجهودها ، وهي لتفتح صدرها لكل اديب عربي مؤمن بعروبته يجد نفسه قادرا على المساهمة المشتركة في تحقيق غاياتها الفنية ،وتوكيد أهدافها القومية .